السبت 11 أيار 2024
العدد 5195 السنة الثامنة عشرة
Samedi 11 Mai 2024 no 5195 18ème année
28 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات
أدباء لبنان المنسيّون
[2 ـ 5]

مزارع شبعا والقرى السبع السليبة: صيف وشتاء تحت احتلال واحد [5]

المقداد يراسل بو حبيب: مؤتمر بروكسيل منصّة للهجوم على سوريا [2]

(أ ف ب)

البلاد

ملحق
النكبة والهيمنة
فلسطين بين المحو والموت
عن منير شفيق
[17 ـ 19]

ملف

تعاونيات لبنان والودائع وسوليدير
بلد الحقوق المنهوبة
6

قضية اليوم

رسالة سورية للبنان:
مؤتمر بروكسيل منصة للهجوم على دمشق

فراس الشوفي

قبل أسبوعين من انعقاد مؤتمر بروكسيل 8، على مستوى وزراء الخارجية، والذي يشارك فيه لبنان بوفد يرأسه وزير الخارجية عبدالله بو حبيب، تسلّم الأخير رسالة من وزير الخارجية السوري فيصل المقداد يشرح فيها موقف دمشق من المؤتمر، ومن أزمة النازحين عموماً. رسالة المقداد انتقدت تغييب سوريا، الدولة صاحبة الشأن، عن المؤتمر، في مقابل دعوة أطراف «بعضها يرتبط بجماعات إرهابية»، في إشارة على الأرجح إلى «منظّمة الخوذ البيضاء»، وذكّر بأن «التغييب المتعمّد للجمهورية العربية السورية، الممثل الحقيقي للشعب السوري، هو تأكيد على النوايا العدوانية لمنظّمي المؤتمر وإصرارهم على النهج العدائي تجاه سوريا التي تعاني من الإجراءات القسرية والاعتداءات

> دمشق تطلب من لبنان تنفيذ أي تعهّدات يقطعها بالتنسيق مع الحكومة السورية

من الاحتلال الإسرائيلي والقوات الأجنبية المنتشرة بشكل غير شرعي على أراضيها».

واعتبرت الرسالة «مؤتمر بروكسيل منصة للهجوم على سوريا، حيث تقدّم تعهّدات واهية للشعب السوري»، وأن «المنظّمين هم السبب والمعرقل لجهود إعادة النازحين إلى وطنهم الأم»، مشيرةً إلى خطورة «ترسيخ سابقة الحوار مع (المجتمعات المدنية المزعومة) داخل الدول لمناقشة مستقبلها بدون التنسيق مع حكوماتها الشرعية» باعتباره خرقاً لميثاق الأمم المتحدة، ولفتت إلى أن «الأمم المتّحدة تراجعت عن صفة الرئيس المشارك للمؤتمر واكتفت بالمشاركة على مستوى الخبراء».

وتوجّه المقداد إلى بو حبيب بالقول: «نتفهّم بأن مشاركتكم في هذا المؤتمر تأتي بنيّة طيبة وتنطلق من حرصكم على مساعدة الشعب السوري، لهذا سنقدّر إصراركم على أن يتم الوفاء بأي تعهّدات يمكن أن تقطعوها بالتنسيق مع الحكومة السورية أو من خلال مكاتب الأمم المتحدة ووكالاتها والمنظمات الدولية المعتمدة في دمشق حصراً، آخذين في الاعتبار عدم إمكانية ضمان وصول المساعدات الإنسانية التي تُقدّم في المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيمات الإرهابية إلى مستحقيها من المدنيين السوريين».

وفي الجزء الثاني من الرسالة، أكّد المقداد أن سوريا «تتطلّع أيضاً إلى أن يتم توجيه هذه المساعدات لتمويل مشاريع التعافي المبكر والصمود وسبل العيش، بما يسهم في تحسين الوضع المعيشي للشعب السوري، وتيسير جهود إعادة اللاجئين والمهجّرين السوريين إلى بيوتهم، وذلك وفق التفاهم الذي تمّ التوصل إليه مع المفوّضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين». كما ذكّر بالتحدي الإضافي أمام السوريين الذي شكّله الزلزال، وأن الحكومة السورية «منحت الإذن لإدخال المساعدات الإنسانية من خلال معبرين حدوديين (إدلب السلامة - الراعي)، فدخلت بموجب ذلك 891 قافلة وسهّلت قيام الأمم المتحدة والمنظمات الدولية المعنية بـ 388 زيارة إلى شمال غرب سوريا».

وختم المقداد رسالته بالتأكيد على أن «المساعدة الحقيقية للشعب السوري تتطلّب تغييراً في المقاربة الخاطئة التي تتبناها الدول المنظّمة للمؤتمر كما تتطلّب رفعاً فورياً وغير مشروط للإجراءات القسرية الانفرادية المفروضة على الشعب السوري وانسحاب كلّ القوات الأجنبية المتواجدة بشكل غير شرعي ووقف نهب الموارد والثروات السورية، لأنه في حال استعادتها ستسهم في اعتماد السوريين على أنفسهم في إعادة بناء حياتهم ومستقبلهم». تأتي رسالة المقداد في توقيت بالغ الأهمية، لتضع سياقاً سياسياً لما يمكن أن تقبل به دمشق من خطوط عريضة لحل أزمة النزوح بشكل جذري وما تتوقّعه من لبنان في بروكسيل، وحتى في بيروت. وتتزامن الرسالة مع احتدام ملفّ النزوح وحماة التخبّط اللبناني حياله، بعد انكشاف موقف الاتحاد الأوروبي السلبي تجاه الحلول الجذرية للأزمة، خصوصاً خلال الزيارة الأخيرة لرئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين إلى بيروت، وفي ظلّ تصاعد حملات التحريض والعنصرية ضد السوريين.

ولا يمكن إخفاء الامتعاض السوري من بعض الاقتراحات الشعبوية، مثل طروحات رئيسي القوات سمير جعجع والتيار الوطني الحر جبران باسيل بإعادة النازحين بحسب انتمائهم السياسي إلى مناطق سورية مختلفة، تحت عنوان «مع وضد النظام».

المزايدات السياسية بين القادة الموارنة، وسعي جعجع إلى استخدام الشارع، قابلتهما أيضاً حملة مزايدة إعلامية وقانونية من الحكومة اللبنانية من دون أي تنسيق مع الحكومة السورية، أوّلاً بالإيحاء بوجود جديد لدى الاتحاد الأوروبي حيال لبنان وهو أمر مجافٍ لما كشفته وقائع زيارة فون دير لاين، وثانياً برمي كرة النار بين يدي المدير العام للأمن العام بالوكالة اللواء الياس البيسري من رئيس الحكومة نجيب ميقاتي على الهواء مباشرةً، ومن ثم في الاجتماعات المغلقة، على أساس أن حل الأزمة أمني وليس سياسياً. ووصل الأمر إلى الحديث عن قوافل عودة غير حقيقية وعن تنسيق غير موجود مع سوريا. وكذلك الأمر بالنسبة إلى وزير المهجّرين عصام شرف الدين، الذي أخذ «الضوء الأخضر» من ميقاتي لـ«التصعيد» ضد النازحين بعد فترة طويلة من التوتر بينهما، فخرج بتصريحات غير واقعية حول وجود 20 ألف مسلح سوري في لبنان.

الضغط على البيسري وجهاز الأمن العام، من الحكومة ومن بعض القوى السياسية ولا سيّما من جعجع الذي أوفد النائبة ستريدا جعجع إلى البيسري لعرض أفكار «غريبة عجيبة» حول أزمة النزوح، دفع الأمن العام إلى محاولة سحب فتيل التفجير من الشارع إلى القانون، متخذاً إجراءات قاسية، بعضها انفعالي تجاه السوريين. ففي الفترة الأخيرة، بدأ الأمن العام بسحب الإقامات النظامية من سوريين مقيمين بشكل قانوني في لبنان لدى زيارتهم دمشق، وكذلك مسألة تعديل منح الإقامات السنوية سنداً لاتفاقات مصرفية وإبدال ذلك بكفالة نقدية توضع في صندوق الخزينة لدى وزارة المالية.

(علي حشيشو)

تقرير

سفيرة الاتحاد الأوروبي: لن نخفّض الدعم... ولا أموال جديدة

لمس نواب من تكتل «لبنان القوي» تناقضاً كبيراً في كلام سفيرة الاتحاد الأوروبي ساندرا دي وايل التي زاروها أخيراً للاستيضاح عن «رشوة» المليار يورو للبنان التي أعلنت عنها رئيسة المفوّضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين لدى زيارتها لبنان مطلع الشهر الجاري. فلدى سؤال السفيرة عن «الهبة»، فُهم أن الاتحاد الأوروبي لن يخصص مبالغ جديدة، وأن إعلان فون دير لاين جاء لطمأنة لبنان بأن الاتحاد سيبقي في السنوات الأربع المقبلة على المبالغ نفسها التي يقدّمها إلى لبنان منذ 13 عاماً، فيما يخفّض مساعداته للدول المضيفة الأخرى. ولدى سؤال النواب عن نسب توزيع المساعدات بين اللبنانيين والسوريين، أجابت دي وايل بأن ثلثي المبلغ تستفيد منه أسر لبنانية ومؤسسات ومدارس رسمية بشكل غير مباشر، لكنها عادت لتشير إلى أن نسبة المساعدات للبنانيين تصل إلى 45%، مشيرة إلى أن الاتحاد لم ينته بعد من إعداد الدراسة حول تنوّع النسب. وبدا الانفعال الشديد على السفيرة الأوروبية لدى اقتراح بعض النواب أن تُدفع الأموال بذلك أن تراعي حساسيات حلفاء لها في لبنان، لأن ذلك يشكل إضاءة إيجابية في موقفها تجاه واشنطن، على عكس فرنسا التي أثارت استياء أميركياً بذهابها بعيداً في مدّ جسور العلاقات مع حزب الله. موقف واشنطن، قبل أشهر قليلة من الانتخابات الأميركية، لا يزال هو نفسه في «الحرص على مصلحة لبنان». وهذا الموقف لا ينحصر بتأكيد الاستمرار في دعم لبنان، بل يتعداه إلى الكلام عن رفض تقديم أي تنازلات تتعلق به، ربطاً بما يحصل في المنطقة وحرب غزة ونتائجها. وإذا كانت الرسائل الأميركية إلى إيران واضحة في هذا الشأن، فإنها تضاعفت بعد حرب غزة وتدهور الوضع في الجنوب، على قاعدة أن أي «ابتزاز» لتقديم تنازلات أميركية في ترتيب تفاهم مع إيران لن يُكتب له النجاح.

هذا الموقف الذي تُرجم حتى الآن تجميداً للوضع اللبناني، ومعه الكلام الرئاسي وتسوية الجنوب، يفتح في المقابل نقاشاً موسّعاً حول كيفية مقاربة استحقاق وضع الرئاسة على الطاولة الأميركية. فحتى الآن، لا يزال الملف الرئاسي في واشنطن عبارة عن «مسوّدة أولية» لا أكثر. والنقاش الذي يتعدى ما سيحصل في حرب غزة، يتناول ثلاثة نماذج رئاسية، على أساس السؤال المبدئي عن أي حل يراد للبنان في المرحلة المقبلة، ووفقاً لذلك يمكن تحديد هوية الرئيس المقبل.

حتى الآن دارت انتخابات الرئاسة حول طرفين متعارضين، لكنّ جوهر العملية التنافسية انحصر بالقوى السياسية التي سمّت مرشحيها. ما يناقش أميركياً هو أن أي نموذج من داخل الطبقة السياسية سيعكس حكماً

> لم تُدخل واشنطن حتى الآن أي شريك في إدارة الملف اللبناني

صورة الانهيار في الواقع الحالي الذي يعيشه لبنان منذ سنوات. وهنا لبّ المشكلة. فالرئيس من داخل النادي السياسي يعني، إضافة إلى استمرار الأزمة وإبقاء لبنان في المسار المتدهور، قبض القوى السياسية على مفاصل السلطة. وهذا في حد ذاته مؤشر سلبي بالنسبة إلى من يحاولون إنقاذ الوضع من خارج الحدود اللبنانية. والطبقة السياسية، بحسب هذه النقاشات، متمسّكة بهذا الخيار لأن ذلك يبقيها في إدارة اللعبة مباشرة أو غير مباشرة. النموذج الثاني هو أن أي كلام من جانب قوى سياسية عن موظفين مدنيين أو عسكريين (واشنطن ليست مع أي من المطروحة أسماؤهم بغضّ النظر عن التأويلات اللبنانية والفرنسية والقطرية) أو مرشحين من خانة «لا طعم ولا رائحة لهم»، يعني حكماً أن الرئيس المقبل هو رئيس مرحلة انتقالية، وإبقاء للبلد في خانة الانتظار وتأجيل حلول أزمته، وهذا ما تحاول أيضاً بعض القوى السياسية الترويج له، وجذب دول في اللجنة الخماسية إليه. لكنه بالنسبة إلى الأميركيين يعبّر أيضاً عن مصالح القوى السياسية التي تلتقي، رغم اختلافها على اسم المرشح، على إبقاء الوضع اللبناني على سكة الانتظار، مع هشاشة أكثر لاعتبارات معروفة.

أما النموذج الثالث فهو اللجوء إلى خيار من خارج الاصطفاف السياسي بخيارات تتقاطع عليها واشنطن والسعودية، ما يسمح بإخراج الرئاسة من أيدي القوى السياسية الحالية، ووضعها في المكان الذي ينقل الأزمة إلى مساحة أخرى يمكن من خلالها إنجاح المعالجات المطلوبة سياسياً واقتصادياً. وهذا الخيار الذي تحاول القوى السياسية القفز فوقه بلاقي ارتياحاً أميركياً، ويتقدّم في النقاش، من دون الذهاب بعيداً في التفاؤل بإمكان نجاحه، رغم أنه بالنسبة إلى الأميركيين الوسيلة الأضمن للعبور نحو لبنان آخر.

هذه النماذج ترتبط حكماً بأي مستقبل يراد للبنان، وهل يمكن لواشنطن أن تخفّض النظر عن تقدّم واحد من النموذجين الأوّلين أو الترويج للخيار الثاني بين لبنان وبعض أعضاء اللجنة الخماسية والمفاضلة بين السيّئ والأسوأ كما يحصل في الأسابيع الأخيرة، خلال لقاءات يصل مضمونها إلى واشنطن. يكمن الجواب في أن إدارة الأزمة، كما الحلول المرتقبة للوضع الإقليمي، تتعلق بأكثر من دولة، ولو أن واشنطن حتى الآن متمسّكة بعدم التسليم بمقايضة حول وضع لبنان والرئاسة فيه. لكن الخشية تبقى قائمة من أي غضّ نظر أميركي، يُفهم منه القبول بخيارات تبقي لبنان في المكان نفسه، لانشغال واشنطن بملفات كثيرة دولية وإقليمية في انتظار نضوج تسوية كبرى، أو ترحيل كل الملف إلى حينه، ولا سيما أن القوى السياسية المحلية تمعن في التمسك بالخيارين الأوّلين، من دون أي حرج، ما يجعل الميزان قائماً بين مصالح طبقة سياسية بكل اختلافاتها، ومحاولة لتقديم منظار آخر للبنان، سياسي واقتصادي، يجري الكلام عنه في هذه النقاشات.

تقرير

نقاشات أميركية حول ثلاثة نماذج رئاسية

هيام القصيفي

النقاشات حول رئاسة الجمهورية في لبنان تأخذ في دوائر أميركية معنية منحى مختلفاً عن الكلام اللبناني حول اتجاه رئاسة الجمهورية. وينطلق النقاش للنظر إلى دور رئاسة الجمهورية وتحديد هوية الرئيس المقبل أساساً من سؤال حول مستقبل لبنان وما يُراد له.

يصعب تجاوز أمرين في النقاشات التي تصل إلى أوساط لبنانية مطّلعة: موقف القوى الإقليمية والدولية التي تريد تقاسم نفوذها مع واشنطن في إدارة الملف اللبناني، والموقف الأميركي من لبنان قبل حرب غزة وبعدها، لفهم على أساسه ماذا يريد الأميركيون من رئاسة الجمهورية.

في الموقف الأميركي، لم تُدخل واشنطن حتى الآن أي شريك في إدارة الملف اللبناني، لا رئاسياً ولا سياسياً. ورغم اقتراب مصر وقطر وفرنسا منها، إلا أن هناك هامشاً محدداً للتحرك لكل من هذه الدول من دون الالتزام بأي قرار يتعلق بمستقبل لبنان. أما السعودية فلها إطار مختلف، انطلاقاً من الموقف السعودي نفسه الذي لا يزال يتعامل بعناية فائقة مع خصوصية لبنان وعدم التفريط به على حساب صياغة تفاهمات إقليمية. ولا يضير الرياض بذلك أن تراعي حساسيات حلفاء لها في لبنان، لأن ذلك يشكل إضاءة إيجابية في موقفها تجاه واشنطن، على عكس فرنسا التي أثارت استياء أميركياً بذهابها بعيداً في مدّ جسور العلاقات مع حزب الله. موقف واشنطن، قبل أشهر قليلة من الانتخابات الأميركية، لا يزال هو نفسه في «الحرص على مصلحة لبنان». وهذا الموقف لا ينحصر بتأكيد الاستمرار في دعم لبنان، بل يتعداه إلى الكلام عن رفض تقديم أي تنازلات تتعلق به، ربطاً بما يحصل في المنطقة وحرب غزة ونتائجها. وإذا كانت الرسائل الأميركية إلى إيران واضحة في هذا الشأن، فإنها تضاعفت بعد حرب غزة وتدهور الوضع في الجنوب، على قاعدة أن أي «ابتزاز» لتقديم تنازلات أميركية في ترتيب تفاهم مع إيران لن يُكتب له النجاح.

هذا الموقف الذي تُرجم حتى الآن

> لم تُدخل واشنطن حتى الآن أي شريك في إدارة الملف اللبناني

صورة الانهيار في الواقع الحالي الذي يعيشه لبنان منذ سنوات. وهنا لبّ المشكلة. فالرئيس من داخل النادي السياسي يعني، إضافة إلى استمرار الأزمة وإبقاء لبنان في المسار المتدهور، قبض القوى السياسية على مفاصل السلطة. وهذا في حد ذاته مؤشر سلبي بالنسبة إلى من يحاولون إنقاذ الوضع من خارج الحدود اللبنانية. والطبقة السياسية، بحسب هذه النقاشات، متمسّكة بهذا الخيار لأن ذلك يبقيها في إدارة اللعبة مباشرة أو غير مباشرة. النموذج الثاني هو أن أي كلام من جانب قوى سياسية عن موظفين مدنيين أو عسكريين (واشنطن ليست مع أي من المطروحة أسماؤهم بغضّ النظر عن التأويلات اللبنانية والفرنسية والقطرية) أو مرشحين من خانة «لا طعم ولا رائحة لهم»، يعني حكماً أن الرئيس المقبل هو رئيس مرحلة انتقالية، وإبقاء للبلد في خانة الانتظار وتأجيل حلول أزمته، وهذا ما تحاول أيضاً بعض القوى السياسية الترويج له، وجذب دول في اللجنة الخماسية إليه. لكنه بالنسبة إلى الأميركيين يعبّر أيضاً عن مصالح القوى السياسية التي تلتقي، رغم اختلافها على اسم المرشح، على إبقاء الوضع اللبناني على سكة الانتظار، مع هشاشة أكثر لاعتبارات معروفة.

أما النموذج الثالث فهو اللجوء إلى خيار من خارج الاصطفاف السياسي بخيارات تتقاطع عليها واشنطن والسعودية، ما يسمح بإخراج الرئاسة من أيدي القوى السياسية الحالية، ووضعها في المكان الذي ينقل الأزمة إلى مساحة أخرى يمكن من خلالها إنجاح المعالجات المطلوبة سياسياً واقتصادياً. وهذا الخيار الذي تحاول القوى السياسية القفز فوقه يلاقي ارتياحاً أميركياً، ويتقدّم في النقاش، من دون الذهاب بعيداً في التفاؤل بإمكان نجاحه، رغم أنه بالنسبة إلى الأميركيين الوسيلة الأضمن للعبور نحو لبنان آخر.

هذه النماذج ترتبط حكماً بأي مستقبل يراد للبنان، وهل يمكن لواشنطن أن تخفّض النظر عن تقدّم واحد من النموذجين الأوّلين أو الترويج للخيار الثاني بين لبنان وبعض أعضاء اللجنة الخماسية والمفاضلة بين السيّئ والأسوأ كما يحصل في الأسابيع الأخيرة، خلال لقاءات يصل مضمونها إلى واشنطن. يكمن الجواب في أن إدارة الأزمة، كما الحلول المرتقبة للوضع الإقليمي، تتعلق بأكثر من دولة، ولو أن واشنطن حتى الآن متمسّكة بعدم التسليم بمقايضة حول وضع لبنان والرئاسة فيه. لكن الخشية تبقى قائمة من أي غضّ نظر أميركي، يُفهم منه القبول بخيارات تبقي لبنان في المكان نفسه، لانشغال واشنطن بملفات كثيرة دولية وإقليمية في انتظار نضوج تسوية كبرى، أو ترحيل كل الملف إلى حينه، ولا سيما أن القوى السياسية المحلية تمعن في التمسك بالخيارين الأوّلين، من دون أي حرج، ما يجعل الميزان قائماً بين مصالح طبقة سياسية بكل اختلافاتها، ومحاولة لتقديم منظار آخر للبنان، سياسي واقتصادي، يجري الكلام عنه في هذه النقاشات.

مقالة

يومٌ واحدٌ بلا سوريّ واحد

جمال غصن

قبل عشرين عاماً، قام المخرج السينمائي المكسيكي سيرجيو آراوو بعرض فيلم بعنوان «يومٌ بلا مكسيكيّ». يتناول سيناريو الفيلم أحداث يوم عاديٍّ في الولايات المتحدة الأميركية في حال اختفى فجأةً العمّال الوافدون عبر الحدود الجنوبيّة. هذا الفيلم كان قبل التنافس الانتخابي بين حزبي واشنطن على سياجٍ وأقفاصٍ لمنع تدفّق المهاجرين. أو اليدُ العمالةُ الرخيصة التي يحتاج الحوار الإمبراطورية إلى استغلالها للحفاظ على هيمنته. إلى أرض الحلم الأميركي. لا أريد أن أفسد الفيلم لمن يودّ مشاهدته، لكن عنوانه واضحٌ بإيحائه أن أيام سكّان الولايات المتّحدة لن تكون على ما يرام في حال اختفى المكسيكيون عن وجه الأرض، أو دعوا إلى إضرابٍ عماليٍّ عام مثلاً. التأثير الاقتصاديّ للعمّال الوافدين يطال القطاعات كافةً من دون استثناء، وهو غالباً ناتجٌ عن حاجة في سوق العمل لا يمكن تلبيتها بالعمالة المحلّيّة لسببٍ أو آخر.

إذا ما تصوّرنا السيناريو نفسه في لبنان من دون مكسيكيين، لن يتغيّر شيءٌ غير غياب التملّق إلى المغترب كارلوس سليم الذي رُوِّجَ له في يوم من الأيّام قبل الانهيار كمنقذٍ. لكنّ إذا أغمضنا أعيننا وحلمنا بيومٍ لبنانيٍّ من دون سوريٍّ واحد ضمنّ مساحة الـ10452 كيلومتراً مربّعاً المقدّسة، فالأمر يختلف كلّيّاً. أولاً، يخفّ الاكتظاظ في السجون، ما يسمح للأكثريّة اللبنانية في سجون الوطن، ومنهم كثرٌ مظلومون بالمناسبة، بأن «يترحرحوا» أكثر في زنزاناتهم وأقبيتهم. رغم أن نسبة السجناء السوريين من عامة السكان السوريين في لبنان تقلّ كثيراً عن نسبة السجناء اللبنانيين من عدد السكان في الوطن، غير أنّ صيت الإجرام يلتصق بالأوّل.

نعم، هناك سوريون يرتكبون جرائم مختلفة في لبنان، معظمها جنح صغيرة وبعضها شنيعٌ جدّاً يتحوّل وقوداً عنصريّاً لمن يشتهيه، لكن ماذا تفعل غالبيّة السوريّين المقيمين في لبنان الذين لم ولن يرتكبوا أي جرم؟ الإجابة عن هذا السؤال ترسم صورة يوم في لبنان إن اختفى السوريّون عن مساحته، أو دعوا إلى إضراب عماليٍّ عام مثلاً. طبعاً، عندما يبدأ العنصريّ سمّه على السوريّ فهو لا يعني العائلات المالكة لمصارف لبنان التي تذلّ من أودع ماله عندها، فمليارات المودعين اللبنانيين والسوريين وغيرهم التي استولى عليها آل الأزهري والصحناوي وغيرهم تجعلهم لبنانيين أصيلين. «السوري» غير المرغوب فيه في لبنان هو العامل الذي يعفي اللبناني من أعمالٍ لا يرى اللبنانيّ أنها تليق به. في الواقع «السوري» مرغوب جدّاً من الاستغلاليين الرأسماليين، فهو يقلّص الكلفة عليهم ويسهّل لهم استغلال العامل اللبناني.

حماية العامل المحلّي واجب على وزارة العمل، والحجة الشائعة في الحملة المستجدّة على العمّال السوريين هي أنّهم يقومون بأعمالٍ بأجرٍ أقل من العامل اللبناني وفق مأ ينصّهُ القانون باطلة، فالمشكلة هنا ليست في العامل بل في تطبيق القانون والمكلّفين تطبيقه. فجأة، وفي خضم موجة التحريض على العمّال السوريين، تحرّكت الأجهزة الموكلة حماية القانون وتطبيقه وبدأوا حملة ملاحقة لعمّال «أجانب» مخالفين لشروط إقامتهم المكبّلة. طبعاً لم تبدأ حملة الأمن العام عند الغربيين الذين يديرون مؤسسات استعمارية فاحتة تعيث فساداً داخل حدود لبنان وخارجها المعفيّين من تأشيرة عبورها. هؤلاء يتقاضون أضعاف رواتب العمّال السوريين ساعاتٍ عن العمل عنهم، ولم يجرؤ وزيرٌ ومديرية أمن على مساءلتهم أو أربابهم عن أعمالهم أو عن أحقيّة توظيفهم قبل اللبنانيّ. وفي المناسبة، العشرات ممّن يدخلون ويعملون في لبنان بفيزا سياحية يعملون على التأكّد من استمرارية أزمة اللجوء، ويمنعون الدولة اللبنانية من إيجاد حلول مع الشقيقة الأبدية. ارتأت الدولة اللبنانية بحكوماتها ومؤسساتها الأمنية تنفيس الاحتباط العام بـ«فشّة خلق» ضد العمّال السوريّين الذين قد تشوّب ظروف إقامتهم شائبة.

أيّها المواطن ورجل الأمن والسّياسي اللبنانيّ، تدركون جيّداً أن لا غنى لكم عن العامل السوري. إن أضرب العمّال السوريون ساعاتٍ عن العمل تعمّ الفوضى ويغرق لبنان في الوسخ. إذا كان يزعجكم فعلاً وجود عمّال أجانب يقومون بأعمالٍ لا يريد القيام بها آخرون وبرواتب بخسة، فالحلّ بسيط. إن أصرّيتم على المشاركة في حصار سوريا تلبية لرغبات الغرب وأوامره، لن ينهض اقتصاد سوريا ولن يعود عمّالها إليها. صدّقوني هم ليسوا هنا لسواد عيونكم ولا لرواتب بلا حقوق أو حماية. هم هنا مجبرون، ولن ينهضوا ويخلصوا، ولن تنهضوا وتخلصوا إلا سويّاً.

تقرير

مرسوم «تنفيعات» للتمديد لضباط الاختصاص

في خضمّ أزمة سياسية وعدوان إسرائيلي، ثمة من يسعى جاهداً للتحايل على القانون لتمرير تجاوزات وخدمة منتفعين، كما في المرسوم الذي يجري تحضيره، استناداً إلى الفقرة الثانية من المادة 91 من القانون 17 لتنظيم قوى الأمن الداخلي، التي تنص على أن «الضباط والأفراد الذين يُعتبرون اختصاصيين بسبب ممارستهم العمل في حقل الاختصاصات المنوّه عنها، يُمكن استبقاؤهم في الخدمة الفعلية لمدة سنتين على الأكثر وذلك بعد بلوغهم سن الإحالة على التقاعد الحكمي».

وفي التفاصيل أن ضباطاً في أمن الدولة يتقدّمهم العميد عامر أليس الذي يتردد أن قرابة تجمعه بمقرّبين من الرئيس نجيب ميقاتي طلبوا من رئيس الحكومة إعداد مرسوم بهذا الشأن. إلا أن الأخير، بعد التشاور مع فريق عمله، أبلغ هؤلاء بأن الحكومة لا يمكن أن تعدّ مرسوماً في هذا الشأن كون الفقرة الثالثة من المادة نفسها تنص على أن «قواعد وشروط الاستبقاء تُحدد بمرسوم يُتخذ في مجلس الوزراء بناءً على اقتراح وزير الداخلية المبني على اقتراح المدير العام». فكانت التخريجة بأن توجّه الضباط إلى وزير الداخلية بسام المولوي الذي أوعز إلى المدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان بإعداد مقترح وإرساله الى مجلس شورى الدولة لإبداء الرأي. وعلمت «الأخبار» أن شورى الدولة أبدى موافقته على الاقتراح الذي سيرسله وزير الداخلية إلى الحكومة على أن يُدرج على جدول أعمال مجلس الوزراء لمناقشته في جلسته المقبلة.

ويُعتبر ذلك، في حال مرّ المرسوم، تمديداً غير مبرّر، إذ ما من شيء يستدعي بقاء الضباط في مواقعهم، فضلاً عن أن عدد المنتفعين منه يبلغ حوالى 100 ضابط في كل الأجهزة (الأمن العام، قوى الأمن الداخلي وأمن الدولة) باستثناء الجيش الذي لا يخضع للقانون 17. وإلى الظلم الذي سيلحقه المرسوم بضباط أحيلوا على التقاعد، فقد تنتج عنه خضة سياسية في حال طاول عدداً من الضباط من طائفة معينة أكبر من عددهم من طائفة أخرى. كما أن فكرة الاختصاص التي يحاول المنتفعون الاختباء وراءها ليست سوى «فذلكة»، إذ فمن يحدد عدد الذين يمارسون الاختصاص في مواقعهم؟ ومن يضمن أن لا تنتج عن ذلك «انتفاضة» داخل الأجهزة في حال طاول المرسوم أشخاصاً دون سواهم، خصوصاً أن الطريقة التي سارت بها الأمور بالتنسيق بين الحكومة والداخلية ومسؤولين في الأجهزة تؤكد أن المرسوم كله ليس سوى حفلة «تنفيعات»؟

(الأخبار)

الحدث

الجليل يشتعل بنيران المقاومة: الحريق بالحريق

تداعيات قرار قيادة العدو مواصلة الحرب وتوسيع نطاقها البري إلى رفح، انعكست على الجبهة الشمالية على الحدود مع لبنان، حيث تواصل تساقط الصواريخ على المستوطنات رداً على الاعتداءات الإسرائيلية، وتواصل معها استهداف تجمّعات الجنود الذين لم يحل تخفّيهم دون اكتشافهم من قبل أجهزة الرصد والمراقبة التابعة للمقاومة.

كما واصل حزب الله تطبيق المعادلات التي يفرضها على هذه الجبهة للجم محاولات العدو التفلّت من «هوامش» المواجهة. لذلك، لم تأتِ الحرائق الواسعة التي اندلعت في كريات شمونة ليل أمس من قبيل الصدفة، إذ إن حزب الله ردّ بالمثل على استخدام إسرائيل القنابل الفوسفورية في اعتداءاتها على القرى اللبنانية، ليطرح معادلة «الحريق بالحريق» بعد «التدمير بالتدمير» و«التهجير بالتهجير». وأعلن المتحدّث باسم جيش الاحتلال أن 20 صاروخاً سقطت في المستوطنة، فيما بثّت وسائل إعلام إسرائيلية مشاهد للحرائق، وتحدّثت القناة 14 عن تسجيل أضرار جسيمة في البنى التحتية والمباني.

وواصل حزب الله أمس عملياته النوعية ضد مواقع وثكنات وتجمعات جنود العدو على طول الحدود مع فلسطين المحتلة، من بينها قصف قوة للعدو في موقع المالكية بالمدفعية، أدى إلى «إصابات مؤكدة»، وتدمير التجهيزات التجسسية المستحدثة في موقع مسكفعام، واستهداف موقع السماقة في تلال كفرشوبا، وقصف قاعدة خربة ماعر ومرابض مدفعيتها بصلية من صواريخ الكاتيوشا، وإعادة قصفها بعشرات صواريخ الكاتيوشا أثناء تجمّع الجنود لرفع الأضرار، إضافة إلى قصف ثكنة يفتاح بالأسلحة الصاروخية وراجمة «فلق».

وعلى وقع هذه العمليات يتعزّز الأفق المسدود أمام المستوطنين الذين يواصلون رفع الصوت من دون أي قناعة بإمكانية أن يلقوا نتائج في المرحلة الحالية، بعدما بات الجميع مدركين بأن خيارات إسرائيل محدودة ومليئة بالمخاطر، وأن لا إمكانية لوقف القتال على جبهة لبنان قبل وقف الحرب على غزة. ويزيد من منسوب التشاؤم ما كشفته تقارير إسرائيلية عن إقرار مندوب الاستخبارات العسكرية (أمان) خلال نقاش سري في لجنة الخارجية والأمن في الكنيست، بأن أي اتفاق ضمن القرار 1701، قد يؤثّر على وجود علنيّ عسكري لقوات حزب الله التي تعمل في المنطقة الحدودية، لكنه لن يزيل بشكل تام «التواجد المدني» لمقاتلي «قوة الرضوان»، مشيراً إلى أن حزب الله حرص لدى إنشاء هذه القوة على أن تضم سكان القرى، ليكونوا قريبين دائماً من الحدود مع إسرائيل.

كذلك خلص مؤتمر أكاديمي - أمني عُقد في الجليل الغربي إلى أنه بعد 7 أشهر على الحرب، فإن القدرة العملانية لـ«قوة الرضوان» لم تتضرّر. وحذّر رئيس قسم الأبحاث في معهد «ألما»، المتخصص بالساحة الشمالية، طال باري، في المؤتمر من أنه «إذا قرّرت قيادة حزب الله احتلال منطقة صغيرة من إسرائيل بواسطة 100 أو 200 مخرّب، فإن الحزب قادر على تنفيذ ذلك»، مشيراً إلى أن حزب الله مستعد للحرب، ومهيّأ لمواجهة كل السيناريوهات. وأنهى مداخلته بأن «أيّ اتفاق سياسي مع حزب الله لن يمنع الحرب في الشمال. وكل ما يمكن أن يحقّقه هذا الاتفاق هو كسب الوقت إلى أن يحين موعد المواجهة الشاملة عام 2026 في أبعد تقدير، أو في المدى القريب».

هذا الواقع الأمني والسياسي المتفاقم على كل الجبهات بما فيها جبهة لبنان، انعكس خيبة في مواقف الجمهور كما جاء في استطلاعات للرأي نشرتها صحف عبرية، أظهرت تراجع نسبة المتفائلين بمستقبل «دولة إسرائيل» وسط اليهود إلى 37%، وأن 70% من الإسرائيليين لديهم درجة منخفضة أو منخفضة جداً من الثقة بالحكومة. إلا أن اللافت هو تراجع الثقة أيضاً بشكل ملحوظ بقادة الجيش من 75% في آذار الماضي إلى 59%.

إلى ذلك، أعلن حزب الله استشهاد الجريح حسن علي كريّم من بلدة دير سريان وأحمد علي مهدي (زين) من بلدة عدشيت. ونعت جمعية كشافة الرسالة الإسلامية المسعف في الدفاع المدني غالب حسين الحاج من بلدة شيحين، فيما أعلنت سرايا القدس - الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، استشهاد محمد قاسم السمنة «على حدود فلسطين المحتلة في جنوب لبنان».

(الأخبار)

حرائق في كريات شمونة (أ ف ب)

> خبراء العدو: اي اتفاق لن ينهي «الوجود المدني» لـ«قوة الرضوان»، وحزب الله مستعدّ لكل السيناريوهات

تقرير

«نازحو الشمال محبطون وملّوا الوعود الفارغة»

حزب الله يدفع «إسرائيل الصغرى» إلى الانفصال!

بيروت حمّود

أسبوع واحد يفصل عن تصويت الحكومة الإسرائيلية على الخطة الحكومية «الضخمة» لإعادة تأهيل الجليل، فيما تكشف مسوّدتها أن المضامين التي صاغها يوسي شيلي، المدير العام لمكتب رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، لا تلبّي مطالب رؤساء المجالس الإقليمية لمستوطنات المنطقة التي تئنّ تحت وطأة ضربات حزب الله منذ أشهر طويلة، والتي هُجّر أكثر من 80 ألفاً من مستوطنيها.

ولأن خطة «إعادة التأهيل» لم تتطرّق إلى مطالبهم بشأن مستقبل المنطقة والاستيطان فيها، طالب رؤساء المجالس الاستيطانية حكومتهم بعدم إقرارها قبل التنسيق معهم، مهدّدين بـ«الانفصال» وإعلان «استقلال» ما سمّوه «دولة الجليل»، وعدم التعاون مع الحكومة الإسرائيلية.

ويتوقع أن يُعلن هؤلاء «الاستقلال»، بالتزامن مع ما يُسمى «يوم استقلال إسرائيل» (النكبة الفلسطينية) في 14 الجاري، بالتزامن مع تصعيد في الشارع، عبر تنظيم تظاهرات واحتجاجات في مدينتَي حيفا والقدس المحتلّتين للضغط على حكومة نتنياهو - الغارقة من رأس الناقورة إلى البحر الأحمر - بتلبية مطالبهم بحلّ عسكري يبعد حزب الله عن الحدود، لتمكينهم من العودة إلى مستوطنات الشمال قبل بدء العام الدراسي المقبل.

وفي مقابلة له مع «القناة 13»، سخر رئيس المجلس الإقليمي لـ«مطية أشر»، موشيه دافيدوفيتش، من وزير الأمن يوآف غالانت الذي توعّد بأن يكون «الصيف ساخناً» على الحدود مع لبنان، وعبّر عن تنامي الشعور بالإحباط في صفوف «الشماليين»، إذ «نشعر بأنه تمّ التخلّي عنّا، وتُركنا لمواجهة مصيرنا بأنفسنا. الحكومة لا تفعل ما يكفي لحمايتنا، لذلك نفكّر بجدّية في الانفصال عن الدولة. لا نريد أن نكون جزءاً من دولة لا تعبأ بأمن مواطنيها. وإذا لم تتمكّن الحكومة من حمايتنا فسنحمي أنفسنا». فيما قال رئيس المجلس الإقليمي للجليل الأعلى، غيورا زالتس، في مقابلة مع «إذاعة الجيش الإسرائيلي»، أمس، إن «رؤساء مستوطنات الشمال ليسوا هم من قرروا الانفصال، بل الحكومة هي التي انفصلت عنّا منذ سبعة أشهر».

وقبل أيام قليلة فقط، أرسل مدير مكتب نتنياهو الصيفة النهائية لخطّة إعادة التأهيل إلى المكاتب الوزارية لوضع اللمسات الأخيرة عليها. وعلى الفور، ردّ دافيدوفيتش، الذي يرأس أيضاً منتدى «مستوطنات خط المواجهة»، برسالة وجّهها إلى شيلي، متّهماً إيّاه بـ«إدارة حوار وفقاً لرؤساء المجالس المحلية، لا تحاول الخطة خلق «محرّكات نموّ»، إذ تساوي بين مستوطنة «يوكونعام» جنوبيّ حيفا، و«كريات شمونة» الواقعة على خط المواجهة، على مستوى الضرائب المفروضة. كما أنها لا تتطرق إلى كيفية إعادة المؤسسات التجارية والشركات الناشئة للعمل في الشمال، ما يؤثر عملياً على مستقبل الاستيطان هناك.

وأشار دافيدوفيش في مقابلة مع «واينت» إلى أنه «في 23 كانون الثاني، اجتمع نتنياهو معنا، وتعهّد بأنه خلال عشرة أيام سنُمرّر خطة للشمال ميزانيتها 3,5 مليارات شيكل. مرّت خمسة أشهر من دون أن نحصل على أيّ ميزانيات، فيما الأعمال في الشمال انهارت، والسكان المهجّرون محبطون، ولا أحد يسمع صوتهم في القدس». وأضاف: «سيتّحد رؤساء المجالس في خطّ المواجهة مع السكان للانفصال عن الحكومة، إذ لم يعد بوسعنا سماع الوعود الفارغة من أعضاء الحكومة الفاقدة للمسؤولية، التي تنازلت عن أجمل منطقة في البلاد. سنصعّد قريباً».

(أ ف ب)

قضية

مزارع شبعا والقرى السبع السليبة

صيف وشتاء تحت احتلال واحد

خليك الجميّل *

ما يربط شريط القرى السبع بمزارع شبعا، إضافةً إلى الجوار الجغرافي، مظلومية تاريخية أرساها الانتداب. حالتان متشابهتان من ناحية الوقائع ومتناقضتان لجهة المطالبة بالحقوق السليبة.

مزارع شبعا

في 31 آب عام 1920، أصدر المفوض السامي الفرنسي الجنرال هنري غورو القرار الرقم 318 القاضي بإنشاء دولة لبنان الكبير الذي ضَمّ قضاء حاصبيا بالكامل، ولم يقتطع منه أي جزء، إسوةً بالاقتطاع من «سنجق طرابلس» مثلاً، وكانت مزارع شبعا تاريخياً ضمن القضاء المذكور.

وعندما رسّم الجيش الفرنسي الخرائط العسكريّة لحدود الدولة الجديدة مع سوريا، ارتكب - عن قصد أو من دونه - خطأً تقنياً جسيماً باعتماد طريقة ترسيم عسكريّة تتّبع تتالي نقاط خطوط القنن (رؤوس) وقمم الجبال حدوداً دوليّة بدلاً من حدود الأقضية، فثُبّتت بلدة شبعا اللبنانيّة داخل حدود لبنان الكبير، بينما أصبحت مزارعها خارجه، داخل حدود سوريا التي كانت خاضعة أيضاً للانتداب الفرنسي. هكذا، «بشحطة» قلم الرسّام الانتدابي، باتت مساكن الشبعاويين في دولة، ومزارعهم ودساكرهم ومراعي مواشيهم ومصادر رزقهم وحتى أوقافهم في دولةٍ أخرى.

بالطبع تنبّه الأهالي فوراً لما حدث، وحاولوا تصحيح الخطأ مع دولة الانتداب، وجرت محاولات عدة أنتجت خرائط وخطائط واقتراحات تعديل على مدى حقبة الانتداب، وعند كلّ اقتراحٍ جديد، كانت مساحة المزارع تتقلّص بحكم الأمر الواقع، فتضاءلت حقوق الشبعاويين من تخوم مجدل شمس والقنيطرة ووادي المَنجَرة إلى مجرى وادي العسل.

سلطات الانتداب التي اعترفت بالخطأ، وعدت الأهالي بالتصحيح عند وصول لجان تثبيت الحدود بين لبنان وسوريا إلى هذه المنطقة، بعدما كانت لجنة «دورافور» المُكلّفة بذلك، قد باشرت أعمالها من الحدود الشماليّة للبنان الكبير مع سوريا، ولكن انتهى الانتداب قبل أن تَبلُغ أعمال التثبيت منطقة شبعا في أقصى الجنوب. تلك اللجنة، مع غيرها من اللجان الحدوديّة التي شكّلها الانتداب، أورثت لبنان وسوريا مشكلات حدودية برية لا تزال عالقة منذ أكثر من مئة عام ونيّف.

بعد الاستقلال عن فرنسا توصّل لبنان وسوريا إلى حل عقاري لمزارع شبعا عام 1946، عبر خطيطة عقاريّة موقّعة من الجمهوريتين ممثلتين بالقاضيين العقاريين، اللبناني رفيق الغزاوي والسوري عدنان الخطيب، ثبّتت حدود مزارع شبعا على مجرى وادي العسل وحدود قرية «مغر شبعا» السوريّة.

وافق لبنان على الحدّ الأدنى من حقوقه من أجل استرجاع ما أمكن من أراضي المزارع، لكن الحدود الدوليّة لم تُعدَّل، وحصلت بعد ذلك أحداث جسام في تلك المنطقة الواقعة على ملتقى فالق صراع تاريخي توراتي عميق، إذ احتلّت إسرائيل الجولان السوري ومزارع شبعا عام 1967 وهجّرت سكان المزارع إلى بلدة شبعا.

عندما انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان عام 2000، لم تنسحب من مزارع شبعا وتحصّنت خلف الخط الأزرق، الذي اعتبر واضعوه أن المزارع سوريّة، في محاباةٍ فاضحة لإسرائيل، رغم أن الدولة اللبنانية أودعت الأمم المتحدة الوثائق والمستندات كافة التي تُثبت لبنانيتها.

ورغم مرور مئة عام، لا يزال لبنان الرسمي والشعبي وأهالي شبعا متفلّصٍ على استرجاع المزارع التي باتت اليوم قضية وطنية جامعة غير قابلة للمناقشة والتسويات.

القرى السبع

على قاب قوسين من مزارع شبعا قصّةٌ مشابهة طمرها النسيان الرسمي والشعبي، وهي قضيّة سبع قرى لبنانيّة تخلّى عنها الانتداب، أسوةً بالمزارع، ولكن علانيّةً ومن دون مواربة أو ادعاء الخطأ، بل بموجب صفقة بيع وتبادل بين فرنسي يلتزم تجفيف سهل الحولة ويهودي يملك المال، فهاجر بعض أهلها وهُجِّر الباقون أو قُتلوا، وتغيّرت معالم القرى وأسماؤها وتشتّتَ سكانها في نواحي جبل عامل والداخل اللبناني، وعانوا الظلم والتجاهل، وكان أقصى ما يبغون اعترافاً بهويتهم اللبنانيّة.

فبعد إصداره قرار إنشاء لبنان الكبير بعدّة أشهر، أصدر المفوض السامي الفرنسي قراراً بإحصاء منطقة لبنان الكبير تحت الرقم 763، تاريخ 9 آذار 1921. وبناءً على معاملات هذا الإحصاء، أُحصي ضمن لبنان الكبير سكان القرى السبع التي تتدرّج من الشرق نحو الغرب: إبل القمح قرب نبع الوزاني، هونين، النبي يوشع، قَدَس، مالكيّة الجبل، صلحا وطيربيخا. ثم نصّ قرار المفوض السامي الفرنسي الرقم 1307، الصادر في 10 آذار 1922، على أنه «يُعتبر لبنانياً كل من كان قد قُيّد بهذه الصفة في سجلات الإحصاء».

أعطت سلطات الانتداب سكان القرى السبع هويّات لبنانيّة (دولة لبنان الكبير)، إسوةً بسكان بقية قرى جبل عامل وبلداته. وبعد حوالى ثلاث سنوات، ونزولاً عند رغبة الوكالة اليهوديّة، سُلِخت هذه القرى عن لبنان وضُمّت إلى فلسطين عقب «الاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة والحكومة الفرنسية المتعلّق بخطّ الحدود بين سوريا وفلسطين من البحر المتوسط إلى الحمّة»، أو ما بات يُعرَف باتفاقيّة «بوليه - نيوكمب» التي رسَّمَت الحدود البريّة بين الانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا من جهة، والانتداب البريطاني على فلسطين من جهةٍ أخرى، علماً أنه لدى ترسيم هذه الحدود، لم يكن للطرفين اللبناني والفلسطيني أي رأي أو وجود.

أربكت هذه الحدود الجديدة سكان القرى السبع وسلختهم عن انتمائهم الطبيعي والجغرافي والأسري، ففضّل بعضهم النزوح نحو جبل عامل والالتحاق بالحدود الجديدة للبنان الكبير، فيما آثرت غالبيتهم البقاء في قراهم وأراضيهم، إلى أن هاجمتهم الفرق الصهيونيّة ضمن ما عُرف بعمليتي «يفتاح» و«حيرام» عام 1948، وارتكبت بحقهم المجازر والتطهير العرقي، ففرّ من نجوا مذعورين إلى داخل الحدود اللبنانيّة، والتجأت، على سبيل المثال، أسَر من قرية إبل القمح المختلطة بين شيعة وكاثوليك إلى بلدة دير ميماس، ومنهم عائلات كسرواني، عبدو، حداد، حرفوش وغيرها.

بعد اندلاع الحرب على غزّة والمعارك القائمة في جنوب لبنان، عادت هذه القرى إلى الضوء، تارةً بأسمائها الصحيحة وطوراً بأسمائها العبريّة المزوَّرة، ما يدلّ على ارتباك إعلامي لبناني فاضح، أضفى على الظلم الذي لحق بهذه القرى على مدى تاريخها، ظلماً إعلامياً وخجلاً رسمياً. إذ إن هذه القرى ليست على الخريطة السياسيّة للبنان كمزارع شبعا، رغم أن الحالتين متشابهتان في التاريخ والجغرافيا، بل إن شريط القرى السبع الذي سُلِخَ عن لبنان أكبر من مزارع شبعا مساحةً وسكاناً، وتَبلُغ مساحته حوالى 74 كيلومتراً مربعاً، في مقابل 42 كيلومتراً مساحة مزارع شبعا التي تطالب الدولة اللبنانيّة بها. تعرف غالبيّة اللبنانيين قضيّة مزارع شبعا عن ظهر قلب، بينما قلّة من سمعوا بالقرى السبع التي قطع لبنان الرسمي معها حبل سرّة التاريخ والجغرافيا.

* عميد ركن متقاعد، قائد قطاع جنوب الليطاني سابقاً، خبير في ترسيم الحدود البحرية والبرية.

> تبلغ مساحة شريط القرى السبع حوالى 74 كيلومتراً مربعاً في مقابل 42 كيلومتراً مساحة مزارع شبعا

ملف

إعداد محمد وهبة

ثمة ثلاثة نماذج «فاقعة» من اصحاب الحقوق المسلوبة التي تعاملت معها قوى السلطة بمنطق واحد: «التذويب». احد ثها الودائع المنهوبة. وباهمية مماثلة، تمتدّ قضية اصحاب الحقوق في وسط بيروت عميقاً في جذور المجتمع اللبناني. والى جانبها اصحاب الحقوق في تعاونيات لبنان. وبمعزل عن الفروقات في اليات النهب ونتائجها الطبقية، فان نمط تعامل السلطة معها ياتي في إطار واحد يهدف إلى الاستيلاء على الحقوق. والمشترك بين هذه النماذج ان عملية السلب تكرّست بفعل القانون او الواقع، مع فرق واحد ان اصحاب الحقوق في المصارف يختبرون الامر منذ خمس سنوات فقط بعكس الاخرين الذين مضى على عملية نهب املاكهم واموالهم اكثر من 25 عاماً. في وسط بيروت، جرى إحلال فئة محلّ فئة سُلبت املاكها بقوّة القانون وبواسطة ادوات الحكم بروّوسها الثلاثة في رئاسة الجمهورية ومجلسَي النواب والوزراء. وادوات التنفيذ الادنى مثل اللجان القضائية ومجلس الإنماء والإعمار ولجان التخمين والمتعهدين. وصولاً إلى التركيبة الهرمية للشركة. وكل ما حصل عليه اصحاب الحقوق في وسط بيروت مقابل التنازل عن املاكهم لشركة «سوليدير» اسهماً لم يزد مردود الواحد منها عن 7 دولارات سنوياً في السنوات الثلاثين الماضية. مقابل بيع اكثر من نصف مخزون الشركة من العقارات. اما في قضية «تعاونيات لبنان»، فهناك سرقة للاموال. وصراع نفوذ على ملكية جمعية تعاونية لديها امتداد في «شوارع» سياسية. لذا جاء تحرّك السلطة بالقطارة بلا خاتمة واضحة. وهو امر مماثل لما يحصل اليوم نسبة إلى تحرّكها في اتجاه اصحاب الحقوق في المصارف الذين يتجاوز عددهم المليوني مودع. اقلّيّة بينهم من اصحاب الودائع الكبيرة. عملياً، كانت استراتيجية قوى الحكم قضم الحقوق بمرور الزمن. المنطق نفسه سرى على الجميع. سواء في سرقة الاراضي والاملاك ومنحها للغير في «سوليدير»، او السكوت والتواطؤ لسرقة اموال المساهمين في تعاونيات لبنان. ويتكرّر الامر اليوم، مع اصحاب الودائع الذين سُرقت اموالهم على مدى العقود الثلاثة الماضية وسط امتناع مقصود عن التعامل مع «جريمة» ادّت إلى انهيار نقدي ومصرفي ومالي هائل. بنتيجته تشظى المجتمع بالتضخّم والهجرة اللذين نتجا منها

بلد الحقوق المنهوبة

«تعاونيات لبنان»: 24 سنة نهب

منذ 34 سنة، تأسست «تعاونيات لبنان» تحت اسم «الجمعية التعاونية الاستهلاكية في بيروت»، ثم عُدّل لاحقاً ليصبح «الجمعية التعاونية والاستهلاكية والإنتاجية في لبنان». الفرع الأول كان في محلة صبرا، ثم اطلقت عملية توسّع عبر استملاك التعاونيات الصغيرة المتعثّرة وافتتاح فروع في غالبية المناطق اللبنانية، حتى بلغ عددها 49 فرعاً وبات لديها حصّة سوقية تبلغ 60% من مجمل مبيعات السوبرماركت في لبنان. كان يعمل فيها نحو 1300 موظف ويسهم فيها 23030 فرداً برصيد إجمالي قيمته 30,4 مليون دولار، بالإضافة إلى صندوق ودائع يستثمر فيه نحو 688 مودعاً برصيد إجمالي قيمته 8,69 ملايين دولار. كذلك، ترتب عليها ديون مصرفية بقيمة 24 مليون دولار، وديون للموزدين بقيمة 34 مليون دولار، وللضمان الاجتماعي بقيمة 5 ملايين دولار، وللموظفين وديون أخرى بقيمة إجمالية تبلغ 2,5 مليون دولار. وفي المقابل بلغت قيمة مبيعاتها اليومية 600 مليون ليرة، أي نحو 220 مليار ليرة سنوياً ولديها أصول قدّرت قبل الأزمة بنحو 37,7 مليون دولار من دون احتساب قيمة العلامة التجارية.

رغم اختلاف كثيرين على ما حصل، إلا أن الوقائع تشير إلى أنه في عام 1994 عرض رئيس الحكومة الراحل رفيق الحريري، على رئيس مجلس إدارة تعاونيات لبنان آنذاك، منير فرغل، شراء أسهم في «تعاونيات لبنان» بهدف السيطرة على المؤسسة التي يتصل بها عدد كبير من الموظّفين والمساهمين والمودعين، فضلاً عن أن مبيعاتها كانت ستنعش عمليات «بنك البحر المتوسط». وفي هذا الوقت «وصلت الإيداعات في الصندوق الاستثماري إلى 18 مليون دولار، بعدما حظيت باجتهاد من المفتي يعتبر الفوائد المجنية من هذا الاستثمار بأنها حلال»، بحسب عضو لجنة المساهمين والمودعين، محمد قاسم. رفض رئيس التعاونيات منير فرغل العرض، في غمرة توسّع غير مدروس أفقياً وعامودياً. وفي عام 2000، جرى تحويل أزمة السيولة لدى التعاونيات إلى فضيحة على تلفزيون المستقبل وجريدة المستقبل. فوراً، سُحبت من صندوق «الودائع» نحو 12 مليون دولار، ما خلق أزمة سيولة كسرت ظهر «تعاونيات لبنان»، وتحوّل المساهمون والمودعون إلى أصحاب حقوق منهوبة.

كان لهذه المؤسسة نوعان من الخصوم: خصم سياسي يرغب في وضع اليد عليها، ومنافس تجاري بعدما صار مؤشّر الأسعار في وزارة الاقتصاد مبنياً على أسعار مبيعات «تعاونيات لبنان»، وبهامش ربح يراوح بين 2% و3% على السلع الغذائية الأساسية وبمعدلات مرتفعة على السلع الكمالية، وبفوائد على الودائع تفوق تلك التي تدفعها المصارف بـ1%. ولعب العامل السياسي المتعلق بالرغبة في السيطرة عليها، دوراً كبيراً في تعميق الأزمة وتثبيتها، فهي كانت تعني للحريري الكثير لأنّ مجموعات واسعة من المساهمين هم من أبناء بيروت وطريق الجديدة، كما أن المؤسسة كانت خاضعة لوصاية وزير الزراعة الذي كان محسوباً في تلك المدة على رئيس مجلس النواب نبيه بري، فضلاً عن أن صهر هذا الأخير كان موزداً لها ولديه رغبة في توسيع نفوذه داخلها.

ومع انكشاف الوضع المالي للمؤسّسة، جرى وضع اليد عليها بعد حلّ مجلس الإدارة وتعيين لجنة مؤقّتة لإدارتها، بالإضافة إلى تعيين مدقق حسابات دولي. لكن لم يتم تحديد مسار لمعالجة الوضع، بل جرى العمل على تفكيكها ونقل ملكيتها إلى شركة «المخازن».

لم يتوقف نهب التعاونيات حتى الآن، لكن حصل الأمر على مراحل يفصل بينها إقرار القانون 109 في 2010، الذي قضى بتخصيص 75 مليون ليرة (50 مليون دولار آنذاك) مقابل تصفية موجودات التعاونيات، وتعويض الدائنين من مساهمين ومودعين وتجّار.

> الانهيار نسف إمكانية الحلّ وفقاً للقانون 109

لكن مضت تسع سنوات بين إقرار القانون وبين انفجار الأزمة المالية والمصرفية والنقدية في 2019، وطوال هذه المدة لم تصدر المراسيم التطبيقية للقانون. أما الانهيار، قد نسف إمكانية الحلّ وفقاً لهذا القانون ولم تعد هذه الاعتمادات المالية ذات قيمة فعلية. «هكذا مضت 24 سنة على أزمة تعاونيات لبنان في ظل لجان مؤقتة تنهب موجوداتها وأرباحها»، يقول قاسم.

(هيثم الموسوي)

انتقال الملكية إلى «المخازن»

في عام 2000 وإثر قرارات اللجنة المؤقّتة، وقّعت الشركة المتحدة للأسواق مع تعاونيات لبنان عقد إدارة وتشغيل حصرياً تحوّل لاحقاً إلى عقد استئجار لمدة 20 عاماً انتهت في عام 2020 مقابل 5,5% من المبيعات على أن تسدّد تعاونيات لبنان كلفة الكهرباء التي تمثّل نحو 2% من المبيعات، أي إن شركة المخازن تدفع فعلياً كلفة استئجار مقدارها 3,5% من المبيعات. وكان رأس مال الشركة المتحدة يبلغ 5 ملايين ليرة فيما كانت مبيعات تعاونيات لبنان تصل إلى 145 مليون دولار سنوياً، لكن ما حصل لاحقاً هو الأغرب، إذ إن الشركة المتحدة تنازلت عن 61% من رأس مالها إلى «المخازن الكبرى» لتنطلق عملية فكفكة كان أول ضحاياها إقفال 20 فرعاً غالبيتها بلا مبرّر تجاري سوى إفساح المجال أمام فروع «المخازن»، ما أدّى إلى تقليص الحصّة السوقية لمبيعات «تعاونيات لبنان» إلى ما لا يزيد على 9% من مجمل مبيعات السوبرماركت (قبل الانهيار) في سوق إجمالية يُقدّر حجمها بنحو 4,5 مليارات دولار سنوياً

الودائع طارت... لكنها مقدّسة!

بحسب أرقام مصرف لبنان ولجنة الرقابة على المصارف، فإنه في نهاية عام 2019 بلغ عدد حسابات الودائع في المصارف اللبنانية نحو 2,8 حساب فيها 116 مليار دولار (ودائع بالعملة الأجنبية و89521 مليار ليرة (ودائع بالليرة كانت تساوي آنذاك 60 مليار دولار). وكان 95,21% من الحسابات فيها 33%، بينما 4,79% من الحسابات فيها 67% من الودائع. التركّز كان هائلاً، ودائماً ما كان كذلك على مدى العقود الثلاثة الأخيرة. ورغم غياب الأرقام الدقيقة عن عدد الحسابات والزبائن، إلا أن مشهد تركّز الودائع لم يتغيّر كثيراً الآن رغم التغيّر اللاحق في قيم الحسابات. وبحسب أرقام مصرف لبنان، فإن لدى المصارف التجارية ودائع بالعملة الأجنبية بقيمة 89,6 مليار دولار وودائع بالليرة اللبنانية قيمتها 49749 مليار ليرة (تساوي 555 مليون دولار وفق سعر صرف 89500 ليرة مقابل الدولار).

في المحصّلة، انخفضت الودائع بالعملة الأجنبية بقيمة 26,4 مليار دولار، وانخفضت الودائع بالليرة بقيمة 39772 مليار ليرة (تساوي بسعر الصرف الثابت 1507,5 ليرة نحو 26,3 مليار دولار، أما بسعر صرف اليوم، فهي تساوي 444 مليون دولار). وهذه الأموال لم تسحب بغالبيتها، إنما «فُتحت» لها طرق للخروج من القطاع المصرفي بأقلّ من قيمتها الاسمية، أي قيمتها يوم إيداعها. الخسارة الكبيرة في هذه الودائع أنها فقدت قيمتها الاسمية، سواء بالليرة أو بالدولار. فقد تبيّن أن سحب الدولارات من المصارف يعرّضها لخسارة تبلغ الفرق بين قيمة السحب التي ما زالت 15000 ليرة لكل دولار، وبين السعر المسجلة فيه البالغ 89500 ليرة مقابل الدولار. كل دولار يخسر 74500 ليرة، وبالتالي الخسارة اللاحقة بما تبقى من ودائع تبلغ 74,5 مليار دولار. أما الخسارة اللاحقة بودائع الليرة، فهي تساوي الفرق بين سعر الصرف الثابت 1507,5 ليرة وبين سعر الصرف الحالي 89500 ليرة، أي 87992 ليرة. عملياً، خسرت ودائع الليرة 59,4 مليار دولار أو ما يوازي 99%.

منذ خمس سنوات توقفت المصارف عن دفع الودائع وماربست قيوداً غير شرعية على الزبائن. مصرف لبنان كان شريكاً واضحاً في هذه العملية، بينما مؤسسات الحكم من الحكومة إلى مجلس النواب والقضاء وسواهم، وقفوا يتفرّجون على ما يحصل من دون أن يحرّكوا ساكناً. هذه القضية ما زالت قائمة، ولا يحصل المودعون إلا على الفتات.

فالتعاميم التي صدرت من مصرف لبنان، تمنح أصحاب الحقوق في المصارف مبالغ شهرية وفق ثلاث شرائح: الأولى 150 دولار شهرياً ضمن حدّ أقصى 2850 دولاراً، والثانية 300 دولار وفق حدّ أقصى 50 ألف دولار، والثالثة 400 دولار ضمن حدّ أقصى 50 ألف دولار.

لم يصدر أي قانون ينظّم القيود التي فرضتها المصارف ومصرف لبنان أو يشرّعها. المودعون مشتّتون بين جمعيات «بلا طعمة» وجمعيات «بلا حول ولا قوّة» وآخرون أجروا تسويات في الخفاء مقابل سكوتهم. وكل المعالجات المطروحة على الطاولة وعلى رأسها معالجة أوضاع المصارف وإعادة هيكلتها بالإضافة إلى قانون التوازن المالي والكابيتال كونترول، كلها تدور حول مسألة واحدة هي الودائع ونسبة الاقتطاع منها بالمباشر أو بشكل غير مباشر. وهذا ينعكس مباشرة على مسألة تصنيف الودائع وسقف التعويض لها. فقد برزت بدعة «الودائع المؤهلة» و«الودائع غير المؤهلة» لتقسيم الودائع على أساس سقوف مالية فقط من دون أي رؤية اجتماعية لما تمثّله هذه الودائع في الاقتصاد وفي بنية المجتمع. عملية التصنيف تصبّ مباشرة في معركة «توزيع الخسائر» التي ما زالت جارية منذ خمس سنوات. المودعون خسروا الكثير حتى الآن، وما يُعرض عليهم مرتبط إلى حدّ كبير بالولاءات السياسية للقسم الأكبر منهم، ويتركّز الودائع في يد قلّة من كبار المودعين الذين يعتقد «الزعيم» أنهم محور حيوي في مجال النهب خاصّته. والأفت أنه كان هناك اهتمام كبير بالودائع بالدولار بينما جرى استبعاد أي تعويض فعلي للودائع بالليرة رغم أن خسارتها أكبر. وتم تحويل مسألة الودائع إلى «قميص» يلبسه كل من يسعى إلى الشعبوية، ويتغطى به كل من يريد تمرير مشروع أو فكرة او من يريد رفض مشروع أو فكرة. هذه ليست سوى البداية التي لم يمضِ عليها أكثر من خمس سنوات. اختبرها سابقاً مساهمو تعاونيات لبنان، فيما يمكن القول إن أملاك أصحاب الحقوق في وسط بيروت ضاعت.

> لم يصدر أي قانون ينظّم القيود التي فرضتها المصارف ومصرف لبنان او يشرّعها

أسهم «سوليدير» بلا مردود

أقرّ مجلس النواب في تموز 1992 المرسوم 2537 الذي ينشئ الشركة اللبنانية لتطوير وإعادة وسط بيروت «سوليدير»، وسمح لها بتملّك اراضي أصحاب الحقوق في وسط بيروت وأملاكهم بذريعة تنفيذ أشغال البنية التحتية وترتيب المنطقة التي تقع ضمنها وإعمارها. كذلك، سمح القانون لهذه الشركة بردم جزء من البحر مقابل ما سمّي الوسط التجاري لمدينة بيروت، بموجب اتفاق بين الشركة ومجلس الإنماء والإعمار يصدر بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء. وأعطاها مجلس النواب صلاحيات واسعة للقيام بهذا الأمر في البند الخامس من المادة الثالثة التي تحدّد موضوع الشركة: «القيام بجميع العمليات والأعمال الضرورية التي يتطلّبها تنفيذ موضوع الشركة». بنتيجة هذا القانون، قامت الشركة بإخراج كل القاطنين من أصحاب الحقوق او مهجّرين.

بحسب دراسة تجمّع أصحاب الحقوق، فإن لجان التخمين قدّرت قيمة 1630 عقاراً بنحو 1170 مليون دولار على أساس 1532 دولاراً لمتر الأرض المربع، و100دولار لسعر المتر المبني. كذلك حدّدت مبلغ 7000 دولار لقاء إخلاء كل عائلة من المهجرين، ما رفع عدد العائلات المهجّرة المسجّلة في المنطقة من 5000 أسرة إلى 18000 أسرة، وارتفعت قيمة التعويض إلى 12000 دولار. هكذا، أنفقت الشركة 285 مليون دولار على عملية الإخلاء بدلاً من 37 مليون دولار كانت مخصصة لهذه العملية. «غالبية هذا المبلغ ذهبت إلى جيوب السماسرة من كوادر الأحزاب وسوليدير» بحسب أعضاء في تجمّع أصحاب الحقوق. وفي أيار 1994، دعت الشركة إلى عقد جمعية عمومية من أجل زيادة رأس المال من المقدمات النقدية بقيمة 650 مليون دولار. حضر الجلسة المساهمون النقديون، فيما غابت غالبية المساهمين العينيين الذين يشكّلون 63% من رأس مال الشركة. وخلصت الجلسة إلى إبراء ذمة هيئة التأسيس وانتخاب مجلس إدارة ترأسه ناصر الشماع وتأسيس الشركة رسمياً برأسمال 1820 مليون دولار مؤلفاً من 182 مليون سهم بقيمة 10 دولارات للسهم الواحد. ثم انطلقت عمليات الهدم. خلال سنتين هدمت الشركة 1000 مبنى وأنفقت خلال ثلاث سنوات 1018 مليون دولار.

ورغم بيع مساحات واسعة من الأراضي، إلا أن الشركة في أول 13 سنة لم توزّع أنصبة أرباح للسهم الواحد. عمليات البيع كانت بقيمة 5250 دولاراً للمتر المربع، أي أكثر بـ3,5 مرات من سعر تخمين الأراضي. وبرعاية سياسية ازدادت مساحة الأراضي المردومة من 240 ألف متر مربع إلى 780 ألف متر مربع، ونالت الشركة الكثير من الامتيازات التي حوّلتها إلى دويلة ضمن دولة. وفق حسابات سنوات ما قبل الأزمة، فإن مردود سهم سوليدير لم يتجاوز في المتوسط 7 دولارات منذ تأسيس الشركة.

(أرشيف)

هكذا تحوّل أصحاب الحقوق، وهم بالآلاف، إلى مساهمين بلا مردود، بينما الشركة لديها محفظة عقارات تقدّر بنحو 1,25 مليون متر مربع من المساحات المعدّة للبيع والتطوير مقدرة بنحو 2,5 مليار دولار وفق الأسعار الرائجة، وأملاك مبنية بقيمة مقدرة بنحو مليار دولار وفق الأسعار الرائجة، تحتاج إلى مزيد من التمديد.

عملياً، «سوليدير» أسّست لتكون آلة نهب لأصحاب الحقوق بلا حلّ. إذ إن كل القضايا التي رفعت من أصحاب الحقوق، نامت في أدراج القضاء لسنوات، أو صدرت في بعضها أحكام «غبّ الطلب» لمصلحة الشركة. أما ما صدر لمصلحة المساهمين، مثل تقرير المستشار المقرّر في مجلس شورى الدولة، ريتا كرم، الذي يعلّل إبطال المرسوم 15909 المتعلق بتمديد عمر الشركة إلى 35 عاماً: «موجب الإبطال بسبب اتخاذه لغاية غير الغاية التي من أجلها خوّل القانون السلطة المختصة حقّ اتخاذه، لأن الهدف من تعديل نظام الشركة الأساسي هو أداء خدمة خاصة إلى شركة سوليدير وليس تأمين المصلحة العامة، باعتبار أن لهذه الأخيرة منفعة خاصة بهذا التمديد»، فهو ما زال حبراً على ورق. أصحاب الحقوق في «سوليدير» ما زالوا مجرّد «مناضلين» في قضية تحتضر بمرور الزمن.

> مردود سهم سوليدير لم يتجاوز في المتوسط 7 دولارات منذ تأسيس الشركة

و42% من سوليدير إنترناشيونال التي تأسّست لتعمل في الخارج خلافاً لقانون إنشاء «سوليدير». وكان يفترض أن تنتهي مدّة الشركة في 2019، إلا أن مجلس الوزراء قرّر بمرسوم متجاوزاً قانون إنشائها، تمديد المهلة إلى 35 سنة اعتباراً من 1994، والشركة تسوّق الآن أنها

20

حسابا مصرفيا

ضمن شريحة الودائع التي تتجاوز 100 مليون دولار، وأودعوا فيها 2.25 مليار دولار (بالعملات الأجنبية). وفيها أيضاً 1872 مليار ليرة بحسب إحصاءات مصرف لبنان ولجنة الرقابة على المصارف في نهاية 2021. وهناك 41 حساباً ضمن شريحة الودائع التي تتراوح بين 50 و100 مليون دولار وفيها 1.5 مليار دولار (بالعملات الأجنبية). وفيها أيضاً 2000 مليار ليرة

3,54

مليارات دولار

هو مجموع مبيعات الأراضي التي وردت في تقارير مدققي الحسابات الخاصة بشركة «سوليدير» بين عامي 1994 و2022. علماً أن قيمة ما تبقى من الأراضي كانت مُقدّرة في عام 2005 بنحو 4.8 مليارات دولار. أما اليوم فما تبقّى يُقدّر بنحو 2.5 مليار دولار

200

مليون دولار

هي قيمة القروض والتسهيلات المصرفية التي سدّدتها «سوليدير» في عام 2022 لتغلق كامل ملف الديون الذي كان يمثّل عبئاً كبيراً عليها ولم يتح لها تسديد هذا المبلغ إلا بسبب الأزمة النقدية والمصرفية. إذ سدّدت هذه المبالغ بالشيكات المصرفية. علماً أن الشركة باعت في عام 2020 عقارات بقيمة 382 مليون دولار وفي عام 2021 بقيمة 85.2 مليون دولار وفي عام 2022 بقيمة 29.6 مليون دولار

طوفان الأقصى

تخبّط أميركي في وجه التعنّت الإسرائيلي

المقاومة تراجع «استراتيجيتها التفاوضية»

ترفض مصر، التي استضافت الجولة الأخيرة من المفاوضات غير المباشرة بين العدو الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية، الإعلانَ رسمياً عن انهيار المفاوضات، لكن، ما عداها والقطريين، فإن الأطراف الثلاثة الباقية، أي المقاومة وإسرائيل والولايات المتحدة، أعلنت - بشكل أو بآخر - انتهاء المفاوضات، ما يعني انهيارها، على الأقل خلال هذه الأيام. وعليه، صادق «كابينت الحرب» على توسيع محدود للعملية العسكرية البرية الجارية في رفح، في جلسة مساء الأول من أمس، الأمر الذي أنبأ بأن إسرائيل ليست معنية بالتفاوض حالياً. وعلى رغم أن الوزراء أنفسهم صادقوا على تجديد التفويض الممنوح للوفد المفاوض، إلا أن هذا التجديد يُعدّ لزوم ما لا يلزم تفاوضياً، بل هو لزوم مراعاة الجمهور الإسرائيلي المتأثر بحراك عائلات الأسرى، ولكي لا تظهر الحكومة في حالة متقدّمة من اللامبالاة حيال حياة هؤلاء، كما ظهرت حتى الآن بالفعل. أما المقاومة، التي أنهت فعلياً، بمغادرة وفدها القاهرة أول من أمس، جولة المفاوضات لتغادر بعدها الوفود الأخرى، فقد أعلنت صراحة، في بيان أمس، أن «قيادة الحركة ستجري مشاورات مع قيادات الفصائل (...) من أجل إعادة النظر في استراتيجيتها التفاوضية، في ضوء سلوك رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ورفضه ورقة الوسطاء، والهجوم على مدينة رفح جنوبي قطاع غزة

> خطة العمليات في رفح تمتدّ على شهرين

واحتلال معبر رفح». وأكّدت الحركة، أن «رفض إسرائيل مقترح الوسطاء من خلال ما وضعته من تعديلات عليه أعاد الأمور إلى المربع الأول». وتابعت: «إن هجوم جيش العدو على رفح واحتلال المعبر مباشرة بعد إعلان حماس موافقتها على مقترح الوسطاء، يؤكدان أن الاحتلال يتهرب من التوصل إلى اتفاق». وبدوره، أعلن المتحدث باسم «البيت الأبيض»، جون كيربي، مساء أمس، بشكل رسمي وواضح، أنه «ليس لدينا اتفاق بشأن الرهائن»، وأشار إلى أن «الاجتماعات وجهاً لوجه بشأن اتفاق الرهائن، قد انتهت، لكننا نعمل على إبقاء الطرفين منخرطين في المحادثات»، مضيفاً أنه «يمكن التغلّب على الفجوات المتبقية في صفقة الرهائن (...) لكن ذلك يتطلّب شجاعة أخلاقية ومواقف قيادية، ونحن لم نستسلم بعد».

وفي موازاة مصادقة «الكابينت» الإسرائيلي على توسيع محدود للعملية في رفح، والتحرّكات الميدانية لجيش الاحتلال في الأحياء الشرقية للمدينة، وحديث وسائل الإعلام عن أن «خطة العمليات هناك تمتد على شهرين»، نقلت «فاينانشال تايمز» عن مصدر مطلع، قوله إن «الشعور بالصدمة هو في أعلى مستوى في الحكومة الإسرائيلية، بسبب توتر العلاقة مع واشنطن». وكان اجتماع «الكابينت»، شهد مساء الخميس، جدالاً حاداً بين الوزراء، حول طريقة التعامل مع الموقف الأميركي المستجدّ، وخصوصاً اتجاه الرئيس جو بايدن. وقالت صحيفة «يديعوت أحرونوت» إن «وزراء هاجموا بن غفير خلال اجتماع الكابينت بسبب تغريداته ضدّ بايدن»، مضيفة أن «إيزنكوت قال (لوزير الأمن القومي إيتمار) بن غفير، إن عليه إبداء كثير من الاحترام للرئيس الأميركي». وفي المقابل، «اقترح بن غفير، خلال الاجتماع، تقليل المساعدات للغزة إذا فرضت واشنطن عقوبات على إسرائيل». وفي السياق نفسه، نقلت «سي إن إن» عن نتنياهو قوله إن «الرئيس بايدن ارتكب خطأ بوقف إرسال شحنة الأسلحة إلى إسرائيل»، وإعرابه عن أمله في أن «نجد مع بايدن طريقة للتغلّب على خلافاتنا».

في المقابل، كان الأميركيون يؤكدون أنهم لا يعارضون رغبة إسرائيل في «القضاء» على حركة «حماس» في قطاع غزة، وأنهم طرحوا على الكيان «بدائل لكيفية ملاحقة عناصر حماس»، في حين نقلت وكالة «رويترز» عن «البيت الأبيض»، قوله إن «بايدن أمر فريقه بمواصلة العمل مع إسرائيل لإلحاق هزيمة دائمة بحماس». لكنّ «القناة 13» العبرية قالت إن مسؤولين أميركيين عبّروا، أمس، عن غضبهم في محادثاتهم مع المسؤولين الإسرائيليين، وقالوا: «أنتم ليس فقط لم تستمعوا إلينا ودخلتم إلى رفح، بل أنتم أيضاً لا تخصّصون وقتاً لإجلاء المواطنين». لكن إلى الآن، لا يبدو أن الإدارة الأميركية ترى في التحركات الإسرائيلية الأخيرة خرقاً لخطوطها الحمر، إذ أعاد المتحدث باسم «البيت الأبيض» التذكير بأنه «إذا تحرّكت القوات الإسرائيلية نحو رفح بعملية برية واسعة، سنوقف إرسال أنواع معينة من الأسلحة (...) لكن العملية العسكرية الإسرائيلية الجارية حالياً مركّزة في منطقة معبر رفح».

(أ ف ب)

تصفير عدّاد القتال: رفح تُخرج «دبابيرها»

غزة - **يوسف فارس**

انقلب المشهد الميداني، أمس، في مناطق قطاع غزة كافة؛ إذ بدأ جيش العدو عمليات تقدّم برّي متزامنة في شرق مدينة رفح، حيث توغّلت الدبابات في الأحياء الطرفية المأهولة، وفي شرق مخيم النصيرات، كما في عمق الأحياء الجنوبية لمدينة غزة، وتحديداً الزيتون والصبرة والشيخ عجلين. وفي محافظة شمال القطاع، سُجل توغّل محدود في المناطق الحدودية الطرفية لأحياء بيت لاهيا وبيت حانون ومخيم جباليا. في المقابل، عاش جيش الاحتلال يوماً صعباً للغاية، متلقّياً ضربات محقّقة وموثّقة بالكاميرا في محوَري القتال الرئيسيين، في رفح جنوبي القطاع، وحي الزيتون جنوبي مدينة غزة، فيما تعيد الصور والمشاهد التي وزّعها كلّ من الإعلام الحربي لـ«سرايا القدس» والإعلام العسكري لـ«كتائب القسام»، المشهد إلى مربع القتال الأول قبل سبعة أشهر من اليوم، حيث تجدّدت مظاهر الالتحام المباشر، وإطلاق القذائف المضادة للدروع من المسافة صفر، وعمليات قنص الجنود بالقنص والقذائف المضادة للتحصينات.

محور رفح

في محور القتال في مدينة رفح، شهد أمس عمليات ميدانية دسمة، أولاها كانت كميناً مركّباً تمكّن مقاومو «القسام» من تنفيذه، وفرضت عليه الرقابة العسكرية قراراً بمنع النشر، فيما تداعت صفحات المستوطنين لطلب الدعاء للجنود. وفي التفاصيل، أعلنت «القسام» أنها نفّذت عملاً عسكرياً مركّباً ومتزامناً بالقرب من مسجد الدعوة شرقي مدينة رفح، مستهدفةً بقذيفة «تي بي جي» المضادة للتحصينات مبنًى تحصّن فيه عدد من الجنود، ثم استهدفت ناقلة جند كانت أسفل المبنى بقذيفة «الياسين 105». وفي مسرح الحدث نفسه، استهدف المقاومون مجموعة جنود كانوا يحتمون بناقلة الجند المشتعلة، وأكدوا أنهم أوقعوا كلّ أفراد القوة بين قتيل وجريح، علماً أنه تمّ رصد هبوط عدد من المروحيات التي تتبع لـ«الوحدة الإنقاذ 669» لإجلاء الجرحى والقتلى من المكان. كذلك، أعلنت «القسام» أن مقاتليها تمكّنوا من تنفيذ كمين محكم في ثكنة سعد صايل، حيث فجّروا حقل الغام معدّاً سلفاً بمجموعة من الجنود، موقعين إياهم بين قتيل وجريح. وحتى ساعات ظهر أمس، كانت «الكتائب» تمكّنت من تفجير ثلاث دبابات وناقلة جند في محور القتال شرقي مدينة رفح، فيما أعلنت «كتائب شهداء الأقصى» أنها استهدفت دبابة بقذيفة «أر بي جي»، وتمكّنت قوات «الشهيد عمر القاسم» التابعة لـ«الجبهة الديموقراطية» من تفجير عبوة ناسفة بآلية عسكرية قرب مبنى بلدية الشوكة شرقي رفح.

وعصراً، عادت «القسام» لتعلن مجدّداً أنها تمكّنت من تنفيذ كمين ثالث، حيث فجّر مقاتلوها عبر نفق بقوة إسرائيلية من سلاح الهندسة في محيط ثكنة سعد صايل شرقي المدينة، موقعةً أفرادها بين قتيل وجريح، كما استطاعت السيطرة على جزء من أسلحتها. وفي رفح أيضاً، نفّذ مقاومو «سرايا القدس» و«كتائب القسام»، خلال النهار، العشرات من عمليات إطلاق الصواريخ وقذائف الهاون التكتيكية؛ أولاها، في ساعات الصباح الباكر، حيث أعلنت «الكتائب» أنها قصفت موقع كرم أبو سالم برشقة صاروخية من طراز «رجوم 114 ملم»، ودكّت موقع إسناد للعسكري بمنظومة «رجوم».

كذلك، قالت «السرايا» إن مقاوميها نفّذوا عمليات استحكام مدفعي مركّزة طاولت القوات المتوغّلة في حي السلام شرقي رفح. وظهر مقاوموها في مقطع مصوّر وزّعه الإعلام الحربي، وهم يستهدفون القوات المتوغّلة من عدة مدافع من مناطق متنوعة في وقت متزامن، إذ استخدموا قذائف من العيار الثقيل. وفي ساعات المساء، أعلن الفصيلان المقاومان أنهما قصفا بشكل مشترك القوات المتوغّلة في ثكنة سعد صايل بقذائف الهاون النظامية. وأكدت «السرايا» بشكل منفرد، أنها دكّت الموقع نفسه بوابل من قذائف الهاون النظامية الثقيلة، بالإضافة إلى استهداف القوات المتمركزة برشقة من صواريخ الـ«107».

وفي تحليل معطيات المشهد الميداني في رفح التي أعلن مجلس الحرب الإسرائيلي نيّته توسيع رقعة العمليات فيها، تتّضح جملة من الإشارات:

- بخلاف ما أعلنه جيش الاحتلال، لم تكن مدينة رفح، خلال أشهر الحرب الماضية، منطقة آمنة، إذ نفّذ العدو فيها مئات الغارات، واغتال العشرات من قيادات المقاومة، لكن ذلك لم يمسّ بالبناء الهيكلي لفصائل المقاومة التي لا تزال بكامل إمكاناتها.

- راكمت الفصائل خبرةً ميدانية كبيرة، حيث حلّلت المعارك التي شهدتها كلّ مناطق القطاع، وتشرّبت الطريقة التي يتحرّك بها جيش العدو، وأعدّت خطوطاً دفاعية خارج الأحياء الآمنة، قوامها الكمائن النوعية، التي تساهم في الوقت الحالي في مضاعفة الخسائر البشرية حتى قبل البدء الفعلي في التوغّل في الحواضر العمرانية العميقة للمدينة.

- توظّف المقاومة سلاح المدفعية على نحو شديد الفعالية، حيث سُجّل، أمس، حضور لسلاح الهاون والصواريخ القصيرة المدى على مدار الساعة، ما تسبّب بحالة من الإرباك والإشغال وعدم الاستقرار للقوات المتوغّلة، فضلاً عن ما يحقّقه من خسائر بشرية.

- تعطي معركة رفح فرصةً للمقاومة لإعادة إحياء صورة الاقتدار التي ثبّتتها في الأشهر الأولى من الحرب، ولا سيما أن يوم أمس سجّل مشاهد قوية جدّاً، ظهر فيها جنود العدو وهم يُقتلون من المسافة صفر، علماً أن تلك المشاهد كانت قد غابت بسبب انتهاء العمليات البرية الكبرى في كل مناطق القطاع.

محور القتال وسط غزة

سجّل محور القتال في مدينة غزة زخماً ميدانياً منافساً لمدينة رفح، حيث تقدّمت الدبابات الإسرائيلية، أول من أمس، من خطوط التمركز في موقع نتساريم وشارع 10، في اتجاه أحياء تل الهوا والزيتون والشيخ عجلين والصبرة، علماً أن الهجوم الذي تنفّذه القوات المتوغّلة في الزيتون، هو الثالث من نوعه منذ بداية الحرب، غير أن العدو حشد هذه المرة قوات مضاعفة عن المرّتين السابقتَين.

وتشير المساحة التي تتحرّك فيها الدبابات الإسرائيلية إلى أن العدو يحاول توسيع المساحة الآمنة المكشوفة حول المواقع المستحدثة في حاجز نتساريم، والتي تعرّضت طوال الأسبوعين الماضيين، لعمليات قصف مركّز بالقذائف والصواريخ التكتيكية. لكنّ العملية البرية التي ظنّ أنها ستكون أسهل من سابقاتها على اعتبار أن المقاومة منيت بضربات

> توّجت المقاومة يومها بإطلاق رشقات صاروخية استهدفت فيها قاعدة «حتسريم» بعمق 40 كيلومتراً

مركّزة وعمليات استنزاف للمخزون البشري واللوجستي، امتدّت طوال أشهر القتال الطويلة، فوجئ العدو فيها بمقاومة شرسة للغاية، إذ وقع، في ساعات صباح أمس، في كمين محكم، نفّذته «سرايا القدس»، التي أوضحت، في بيانات، أن مقاوميها فجّروا حقل الغام بقوة إسرائيلية كانت تتقدّم في الحيّ، وأردت أفرادها بين قتيل وجريح. وأعلنت فصائل المقاومة، طوال النهار، تنفيذ عدد كبير من المهمّات القتالية، حيث تمكّنت «القسام» من تفجير جرافة «دي ناين» بقذيفة «الياسين 105» كانت توغّلت في حي الصبرة. وفي حي الزيتون، دمّر مقاومو «القسام» دبابة «ميركافا 4» بقذيفة «الياسين». ومن جهتها، أعلنت «سرايا القدس» أنها استهدفت دبابة في محيط مستوصف الزيتون بقذيفة «أر بي جي». وعصراً، قالت «السرايا» إن مقاوميها تمكّنوا من استهداف مجموعة من الجنود الذين يعتلون برج دبابة بقذيفة «تاندوم»، وحقّقوا فيهم إصابات مباشرة. أيضاً، أكّدت «القسام» أن مقاوميها قنصوا ضابطاً إسرائيلياً جنوبي حي الزيتون.

كذلك، وظّفت الأذرع العسكرية للفصائل المقاومة، سلاح المدفعية على نحو شديد الزخم، إذ أعلنت كلّ من «السرايا» و«الكتائب» و«كتائب المجاهدين» و«شهداء الأقصى»، دكّ القوات المتوغّلة في أحياء الزيتون والصبرة بالعشرات من قذائف الهاون. وعلى رغم أن العملية البرية تهدف، وفق ما هو ظاهر، إلى زيادة قطر الأمان في محيط القوات التي تعسكر في حاجز نتساريم، فقد أعلنت «القسام» أنها تمكّنت من استهداف جنود العدو في تلك النقطة بالعشرات من قذائف الهاون والصواريخ التكتيكية القصيرة المدى. وفي ختام اليوم العملياتي الدسم، الذي أعترف فيه العدو بمقتل نحو 5 جنود في حي الزيتون، وواصل فرض الرقابة العسكرية على مجريات الميدان في مدينة رفح، توّجت المقاومة يومها بإطلاق رشقات صاروخية استهدفت بها قاعدة «حتسريم» بعمق 40 كيلومتراً، ومدينة بئر السبع بأكثر من 15 صاروخاً، فيما قال جيش العدو إن تسعة من الصواريخ انطلقت من مدينة رفح، وستة أخرى من وسط القطاع.

في محصّلة الأمر، سجّلت المقاومة لنفسها يوم قتال ميداني ناجحاً ودسماً للغاية، تمكّنت فيه من تفجير نحو 10 دبابات وآليات في محوَري القتال في رفح والزيتون، ونفّذت فيه نحو 5 كمائن ناجحة، واطلقت على مدار ساعات الالتحام العشرات من قذائف الهاون والصواريخ القصيرة المدى، بل واستهدفت مدن العمق للمرّة الأولى منذ كانون الأول الماضي، برشقة صاروخية لم تستطع منظومة «القبة الحديدية» التصدّي لها. وفضلاً عن كل ذلك، تحوّل إعلان العدو عن إصابة 11 من جنوده بلسعات عنيفة من «دبابير رفح»، بعدما داست دبابتهم «عش» شرقي المدينة، إلى أكثر الأخبار الطريفة والمثيرة للسخرية، فيما أجمعت وسائل إعلام إسرائيلية على أن ما يحدث في حي الزيتون الذي تم احتلاله مرتين، يظهر الوضع المعقّد الذي تعيشه إسرائيل بعد سبعة أشهر من الحرب.

إغلاق المعابر يعيد شبح المجاعة

غزة - **يوسف فارس**

لم تسمح الثلاثون يوماً التي مضت على بدء السماح بدخول شاحنات المساعدات والبضائع إلى مناطق شمال وادي غزة، بالوصول إلى حالة من التشبّع، بل يمكن القول إن تلك المدة ساهمت فقط في كسر حالة المجاعة، إثر دخول أصناف من البضائع والسلع انحصرت بالطحين والمعلبات، فيما لم يشاهد الأهالي اللحوم والخضر والفواكه إلا بضعة أيام، نزلت خلالها إلى الأسواق بأسعار فلكية، قبل أن تختفي مجدداً على وقع إغلاق معبري كرم أبو سالم ورفح، عقب بداية العملية البرية في مدينة رفح، جنوبي قطاع غزة.

أما في شمال القطاع، الذي لم ينس 700 ألف نازح فيه ما فعله بهم الجوع خلال الستة أشهر الماضية، فيعيش الأهالي هاجس عودة أيام القحط مجدداً، إذ إنه لم يدخل بعد من المواد التموينية الأساسية كمية تكفي لأن تُسمى مخزوناً، فضلاً عن اشتعال أسعار السلع واختفاء بعضها على نحو سريع من السوق، وسط ما يتردّد عن إمكانية تمدّد العملية في رفح لعدة شهور، الأمر الذي ساهم في زيادة حالة الاضطراب.

ووفقاً لمصدر في لجنة الطوارئ العشائرية، فإن إغلاق المعابر الحدودية لأربعة أيام، بما فيه وقف حركة عبور البضائع التجارية عبر حاجز الزيتون، ثم توقّف عمل معبر «إيرز» بسبب التوغل البري المحيط، «انعكست آثاره سريعاً على الأسواق التي لم تستقبل بعد من حالة الجفاف التي ضربتها طوال سبعة أشهر». ويتابع المصدر، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «المساعدات تُوزّع بحسب عدد أفراد الأسرة. وحتى اللحظة، حصلت العائلات المكوّنة من سبعة أفراد وأكثر، على كيس طحين واحد وطرد غذائي، فيما تبقّت عشرات الآلاف من العائلات التي لم يصل إليها الدور بعد».

في مدينة رفح يبدو الأمر أكثر تعقيداً، حيث جفّت البضائع من الأسواق منذ أسابيع، وساهم التوتر الميداني ثم بدء التوغل البري في زيادة الاحتكار والاستغلال. وفي هذا السياق، يوضح مصدر حكومي أنه «في أوقات التوتر، يمارس بعض المحتكرين دوراً سلبياً في التلاعب في السوق»، لافتاً، في حديثه إلى «الأخبار»، إلى أن «ما يحدث الآن هو أن استمرار إغلاق المعابر وحالة الفراغ، سيفضيان إن استمرا طويلاً، إلى استنساخ مجاعة شمال القطاع في جنوبه»، مضيفاً بأن «أعداد النازحين كبيرة جداً، والاستهلاك مهول، لذا الواقع حساس جداً لأي تغيّر في مستوى دخول السلع والبضائع».

إلى جانب ذلك، دقّت المستشفيات في شمال وادي غزة ناقوس الخطر، حيث ينذر استمرار توقف دخول شحنات الوقود، بتوقف المستشفيات في غضون 48 ساعة.

«ميزات» لدولة فلسطين في الأمم المتحدة... لا عضوية

تبنّت الجمعية العامة للأمم المتحدة، أمس، قراراً يؤكّد أن دولة فلسطين مؤهّلة لعضويتها، وينبغي بالتالي قبولها عضواً في المنظمة. كما يطلب القرار من «مجلس الأمن» إعادة النظر بـ«شكل إيجابي»، في طلب عضوية فلسطين الكاملة ضمن المجلس. وحصل القرار على تأييد 143 دولة، ومعارضة 9، أبرزها الولايات المتحدة وإسرائيل، وامتناع 25 دولة عن التصويت، علماً أنه لا يمنح دولة فلسطين عضوية كاملة في الأمم المتحدة، بل هو يبقي على وضعها الحالي كدولة مراقبة، لكنه يمنحها ميزات إضافية قانونية ومعنوية. كما أنه لا يعطيها حق التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة، أو إمكانية الترشّح لعضوية مجلس الأمن أو المجلس الاجتماعي والاقتصادي. وعلّق المتحدث باسم «البيت الأبيض» على التصويت بالقول إن «الدولة الفلسطينية ستولد نتيجة مفاوضات بين الطرفين وليس بقرار من الأمم المتحدة، ولذا صوّتنا ضد القرار». مضيفاً أن «يوم استقلال فلسطين ستحدّده عملية التفاوض»، بينما عمد السفير الإسرائيلي في الأمم المتحدة، جلعاد إردان، إلى تمزيق ميثاق المنظمة عبر آلة تقطيع الورق، وقال من على المنبر الأممي: «هذا الأمر يثير الاشمئزاز. أنتم تمزّقون ميثاق الأمم المتحدة، عار عليكم!».

(الأخبار)

مصر لا ترى انتهاكاً: متمسّكون بـ«كامب ديفيد»

القاهرة - **الأخبار**

لا يبدي النظام المصري أي ميل إلى التصادم مع إسرائيل، رغم الانتهاكات الإسرائيلية المستمرة على الحدود مع قطاع غزة، في خرق واضح لاتفاقية «كامب ديفيد» الموقّعة مع كيان الاحتلال منذ عام 1979، بل هو يسعى، في الوقت الحالي، إلى تجنّب ما يراه بمثابة «أضرار» قد تحدثها هذه الانتهاكات في الداخل المصري. وفيما تنظّم المعاهدة المذكورة طبيعة الوجود العسكري في سيناء، سجّلت الأيام الماضية خروقات إسرائيلية واضحة للملحق الأمني بالاتفاقية بشأن التواجد على محور صلاح الدين، حيث تموضعت المعدات الإسرائيلية العسكرية الثقيلة، خلافاً لكون الشريط الحدودي مع قطاع غزة ضمن منطقة لا يفترض تواجد أي معدات عسكرية فيها.

وعلى خلفية ذلك، ليس تلويح النظام بتعليق الاتفاقية، سوى مجرد «شو إعلامي» ومناورة ضغط، في محاولة للاستجابة للأصوات المصرية التي يتصاعد غضبها إزاء جرائم الاحتلال في قطاع غزة. وبحسب تقديرات موقف اطّلعت عليها «الأخبار»، فإن ثمة مقترحات جرى تداولها بالفعل حول الاتفاقية ورُفعت إلى المستويات الأعلى في الدولة، لكن القرار انتهى إلى أن «الاتفاقية ستكون إحدى أدوات الضغط، ولن يتم اللجوء إلى تعليقها أو إلغائها قبل الإعلان عن شكاوى رسمية حول المخالفات الإسرائيلية أمام الأمم المتحدة»، وأن «إدارة الأزمة تستوجب مزيداً من الحكمة والتأني في الوقت الحالي وعدم التصعيد في اتجاه مآلات يصعب العودة منها من دون أضرار». وفيما اقترحت بعض تقديرات الموقف، التي قُدمت من سياسيين وعسكريين، تنسيق موقف عربي موحّد تجاه إسرائيل في حال التصعيد، من خلال التلويح بقطع العلاقات بشكل كامل ووقف عمليات التنسيق التي تجريها مصر والأردن، شريطة أن يكون هذا الأمر شاملاً الإمارات والمغرب أيضاً، يؤكد دبلوماسيون مصريون أن ذلك «لن يكون من الممكن تطبيقه».

وعلى الأرض، وبينما تتواجد قوات قتالية كاملة تقريباً على الشريط الحدودي مع قطاع غزة، يؤكد مسؤولون مصريون وجود توجه بـ«تجنّب استخدام رصاصة واحدة»، وسط تمسك معلن بالاتفاقية ما لم يبادر الطرف الآخر إلى التخلي عنها، وهو ما يبرره المسؤولون بـ«حماية البلاد من خطر الانخراط في حرب إقليمية»، غير أن ذلك «لا يمنع من وجود بعض المناورات التي يتم إجراؤها في محاولة للتخفيف من وتيرة التصاعد». بحسب هؤلاء، كما يحاول المسؤولون، في الإطار التبريري نفسه، تشبيه التحركات الإسرائيلية بالتعديلات غير المكتوبة التي شهدها العقد الأخير، في إطار توافقات بين الجانبين، سُمح فيها للسلطات المصرية بإدخال معدات عسكرية ثقيلة إلى الشريط الحدودي وتنفيذ طلعات جوية للمرة الأولى، وذلك ضمن المواجهات العسكرية التي خاضها الجيش مع الجماعات المتشددة بالقرب من الحدود. وعليه، يدّعي النظام أن «الخروقات الأخيرة ليست بمثابة فعل يمكن أن يؤدي إلى الانسحاب من الاتفاقية أو تعليقها»، وخاصة مع ورود تطمينات أميركية مستمرة بشأن الوضع على الشريط الحدودي، واستمرار عمل اللجنة العسكرية الثلاثية بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة، والتي كانت على علم مسبق بتفاصيل التحركات الإسرائيلية منذ أسابيع، وفق ما يدافع به المصريون.

وبحسب المعلومات، تلقّى رئيس الجمهورية، عبد الفتاح السيسي، تقارير أمنية تفيد بأن مبادرة إسرائيل إلى تحرك عدائي ضد مصر «ليست مطروحة أو واردة على الإطلاق، حتى في حال وقوع حادث فردي يستهدف القوات الإسرائيلية ينطلق من الأراضي المصرية»، وهو ما جعل الجانب المصري «متفهّماً لطبيعة المعدات العسكرية التي وصلت بالفعل إلى الشريط الحدودي»، على رغم كون تحرك هذه الأخيرة بداية لجريمة ينوي العدو ارتكابها في رفح. كذلك، تُطمئن المصريون أنفسهم بأنه «لا دفع بمزيد من المعدات إلى هناك»، وفقاً للسيناريوات المستقبلية التي أبلغت بها إسرائيل المسؤولين المصريين، عبر التنسيق والتواصل مع القادة العسكريين اللذين لا يزالان قائمَين على حالهما.

أما على الصعيد السياسي، فحذّر المسؤولون المصريون من تداعيات اقتحام رفح، بعد فشل مفاوضات القاهرة، مساء الخميس الماضي. ونذر هؤلاء بالموقف الإسرائيلي الذي يصعّد من الأزمة ويمنع إحداث انفراجة في ما يتعلق بالوضع الإنساني أو الاستقرار الأمني المفترض تحقيقه على الشريط الحدودي، علماً أن الجانب المصري لن يقوم بـ«أي أعمال إغاثية» يرى أن من شأنها «أن تؤدي إلى حدوث احتكاك مع قوات الاحتلال الإسرائيلي». ويرى مسؤولون مطّلعون، في هذا السياق، أن القاهرة «تريد تجنّب الحرج الإقليمي بشأن علاقتها مع إسرائيل والتنسيقات التي تجريها، خاصة مع تصاعد اللهجة نسبياً ضدها من بعض الدول الداعمة للمقاومة»، وهو أمر يجري تنسيق ردود مشتركة عليه مع كل من الأردن وقطر، مع الأخذ في الاعتبار أن «الملمس باتفاقية كامب ديفيد، بصيغتها الحالية، أمر غير مطروح نهائياً حتى في حالة التصعيد الإسرائيلي إلى أقصى درجة على الحدود، سواء بالسيطرة على محور صلاح الدين أو اقتحام معبر رفح بشكل كامل».

(أ ف ب)

طوفان الأقصى

تفاهمات موضعية لا تعطّل القمع: طلاب أميركا ثابتون

خضر خروبي

شهدت الأيام الماضية تطوّرات دراماتيكية على مستوى الحَراك الطلابي في الولايات المتحدة، الذي شمل أكثر من 100 جامعة منذ أواسط نيسان الماضي؛ منها ما حَمل متغيّرات إيجابية، ولا سيما على مستوى «فكّ الاشتباك» داخل بعض الجامعات بين الطلبة المتضامنين مع الشعب الفلسطيني وإداراتهم، إلى حدّ دفع بعض رؤساء الجامعات إلى الاستقالة، كرئيسة «جامعة كورنيل» مارثا بولاك، على خلفية الانتقادات لأسلوب تعاملها مع الاحتجاجات الطلابية؛ ومنها ما عكس «طوالع غير سارّة» لهؤلاء، مع ثبوت تفضيل عدد لا بأس به من مديري الجامعات، أسوة بعدد كبير من ساسة البلاد، وبدفع من جماعات الضغط وكبار الشخصيات الداعمة لإسرائيل، النهج الأمني. على أن هذا النهج نفسه هو ما حاولت بعض الجامعات «المكابرة» حيال تداعياته عليها، كجامعة «جنوب كاليفورنيا»، التي قرّرت الاستعاضة عن حفل التخرّج الرئيسي بتنظيم فعاليات احتفالية تخلّلها حضور خجول نسبياً، قوامه 20 ألف شخص، خلافاً لما درجت عليه العادة في مقاعد مدرج لوس أنجليس التاريخي، الذي يتّسع لقرابة 78 ألف شخص.

جانب من مشهد الحَراك الطالبي: «الصلحُ خيرٌ»!

ما بدا لافتاً خلال الأسبوع الماضي، وبعد قرابة أسبوعين من «الهبّة الطلابية»، هو اضطرار عدد من المؤسسات التعليمية الأميركية للركون إلى «الحلّ التفاوضي» مع الطلبة لفضّ اعتصاماتهم معهم، خلال التوصّل إلى تفاهمات معهم، والاستجابة لبعض مطالبهم، بشكل أو بآخر. ومن أبرز تلك المؤسسات الأكاديمية، «كلية الاتحاد اللاهوتية» في جامعة «كولومبيا»، إذ أعلن مجلس أمنائها، وفي قرار هو الأول من نوعه على مستوى الجامعات الأميركية، سحب الاستثمارات من جميع الشركات المستفيدة من الحرب في غزة، مؤكداً أن ذلك جاء بداعي «محافظة المجلس على معاييره الأخلاقية»، ومنع الاستثمار مع الشركات المستفيدة من «قتل المدنيين الأبرياء» في غزة. بدورها، وافقت جامعات أخرى، ومن بينها «براون» و«نورث ويسترن»، ومقابل إخلاء خيام الاعتصام، على إطلاق وعود بإعادة النظر في استثماراتها في شركات إسرائيلية، لتتوالى سبحة «التفاهمات» بين الطلبة وإدارات الجامعات الأميركية، ومن بينها تعهُّد من جانب إدارة جامعة «كاليفورنيا» بإبداء المزيد من الشفافية في شأن تعاملاتها الاستثمارية مع كيان الاحتلال. وفي السياق نفسه، جاء إلغاء جامعة «كرّافيه» في لويزيانا دعوة لسفيرة واشنطن لدى الأمم المتحدة، ليندا غرينفيلد، لحضور حفل التخرّج السنوي، وقرار الكاتب كولسون وايتهيد، الحائز جائزة بوليتزر»، مقاطعة خطاب التخرّج الذي ستقيمه جامعة «ماساتشوستس أمهرست»، في الـ18 من الشهر الجاري، من منطلق اعتراضه على قيام إدارة الجامعة المذكورة باستدعاء الشرطة لقمع طلابها المعتصمين. ووصف وايتهيد قرار الجامعة بـ«المشين»، متمنّياً «السلامة للشعب الفلسطيني»، ومبدياً تطلّعه إلى «عودة الرهائن وإنهاء هذه الحرب الرهيبة» في غزة.

اضطر عدد من المؤسسات التعليمية الأميركية للركون إلى «الحلّ التفاوضي» مع الطلبة لفضّ اعتصاماتهم (أ ف ب)

> اطلقت بعض الجامعات الأميركية وعوداً بإعادة النظر في استثماراتها في شركات إسرائيلية

وجه آخر لـ«الحراك»: «مشهدية القمع» باقية وتتمدّد

ما استرعى الانتباه، من جهة أخرى، هو التزايد المطّرد في عدد الجامعات الأميركية التي قرّرت انتهاج «الحلّ الأمني» للتعامل مع ذلك الحَراك، مستلهمةً «نموذج كاليفورنيا» و«كولومبيا»، عبر الاستعانة بالشرطة لتفرقة المتظاهرين المعتصمين في باحاتها، كما هو الحال في جامعتَي «جورج واشنطن» و«نسلفانيا»، إضافة إلى «معهد ماساشوستس للتكنولوجيا». وبادرت شرطة فيلادلفيا، من جهتها، إلى فضّ خيام الاعتصام المؤيّدة للفلسطينيين خارج حرم جامعة «بنسلفانيا» في وقت مبكر من صباح أمس، وذلك في موازاة تشديد الإجراءات في أماكن الاحتجاج، وإغلاق أحد الشوارع المحيطة، فضلاً عن شنّ حملة اعتقالات في صفوف الناشطين والطلبة المحتشدين قرب تمثال الرئيس الأميركي الراحل، وأحد «الآباء المؤسّسين» للولايات المتحدة، بنجامين فرانكلين، في حرم الجامعة، والذين قُدّرت أعدادهم بما لا يقلّ عن أربعين شخصاً. وقد جاء قرار فضّ الاعتصام في «بنسلفانيا»، بعد يوم واحد من تلميح حاكم الولاية «الديموقراطي»، جوش شابيرو، إلى نفاد الخيارات لدى إدارة الجامعة لإخلاء المخيّم بصورة سلمية، وإعلانه أن الوضع داخلها «أصبح غير مستقر وخارج السيطرة».

وعلى غرار ما شهدته جامعة «كامبريدج» في ولاية ماساشوستس، منذ يوم الإثنين الماضي، الذي كانت قد حدّدته موعداً نهائياً لفضّ الاعتصام، تحت طائلة الفصل من الجامعة ومنع الطلبة من حقّ العمل فيها أو الدخول إليها، فقد عمد عناصر الأمن التابعون لـ«إم آي تي» الواقعة في الولاية نفسها، وعبر الاستعانة بأجهزة الشرطة، إلى توجيه إنذار إلى الطلبة المعتصمين ودعوتهم إلى تفكيك أحد مخيمات الاحتجاج خلال مدة لا تتجاوز 15 دقيقة، على رغم عدم قيامهم بأعمال عنف أو شغب، قبل أن تباشر الفرق الأمنية، وفور انتهاء المهلة المحدّدة، باحتجازهم على متن شاحنات تابعة للشرطة وترحيلهم إلى أماكن الاعتقال. وبحسب محلّلين، فإن قرار مديرة «معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا»، سالي كورنبلوث، بالتشدّد مع المحتجّين المؤيدين للفلسطينيين، جاء على خلفية تعرّضها لضغوط من جهات عدة، لعلّ أبرزها رسالة وجّهها المئات من خرّيجي المعهد، يدعونها فيها إلى اتّخاذ «إجراءات أقوى لمكافحة معاداة السامية» داخل الجامعة، علماً أنها كانت واحدة من ثلاثة رؤساء لجامعات أميركية عريقة (إلى جانب كلودين غاي رئيسة جامعة هارفرد، وإليزابيث ماغيل رئيسة جامعة بنسلفانيا، اللتين استقالتا لاحقاً)، ممّن تعرّضوا لانتقادات شديدة العام الماضي على خلفية اتهامهم بالتساهل مع ما وُصف بـ«الأعمال المعادية للسامية» في حرم جامعاتهم، وهو ما يفسّر تبرير كورنبلوث، في بيان رسمي صادر عن إدارة «إم آي تي»، قرار فضّ الاعتصام بالقوّة، بالتشديد على أن «الاستخدام المطوّل للأملاك الخاصة التابعة لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كمكان للاحتجاج، ومن دون إذن مسبق، وتحديداً في نهاياتياً لفضّ الاعتصام، تحت طائلة الفصل من الجامعة ومنع الطلبة من حقّ العمل فيها أو الدخول إليها، فقد أصبح غير مستقر وخارج السيطرة».

وعلى غرار ما شهدته جامعة «كامبريدج» في ولاية ماساشوستس، منذ يوم الإثنين الماضي، الذي كانت قد حدّدته موعداً نهائياً لفضّ الاعتصام، تحت طائلة الفصل من الجامعة ومنع الطلبة من حقّ العمل فيها أو الدخول إليها، فقد عمد عناصر الأمن التابعون لـ«إم آي تي» الواقعة في الولاية نفسها، وعبر الاستعانة بأجهزة الشرطة، إلى توجيه إنذار إلى الطلبة المعتصمين ودعوتهم إلى تفكيك أحد مخيمات الاحتجاج خلال مدة لا تتجاوز 15 دقيقة، على رغم عدم قيامهم بأعمال عنف أو شغب، قبل أن تباشر الفرق الأمنية، وفور انتهاء المهلة المحدّدة، باحتجازهم على متن شاحنات تابعة للشرطة وترحيلهم إلى أماكن الاعتقال. وبحسب محلّلين، فإن قرار مديرة «معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا»، سالي كورنبلوث، بالتشدّد مع المحتجّين المؤيدين للفلسطينيين، جاء على خلفية تعرّضها لضغوط من جهات عدة، لعلّ أبرزها رسالة وجّهها المئات من خرّيجي المعهد، يدعونها فيها إلى اتّخاذ «إجراءات أقوى لمكافحة معاداة السامية» داخل الجامعة، علماً أنها كانت واحدة من ثلاثة رؤساء لجامعات أميركية عريقة (إلى جانب كلودين غاي رئيسة جامعة هارفرد، وإليزابيث ماغيل رئيسة جامعة بنسلفانيا، اللتين استقالتا لاحقاً)، ممّن تعرّضوا لانتقادات شديدة العام الماضي على خلفية اتهامهم بالتساهل مع ما وُصف بـ«الأعمال المعادية للسامية» في حرم جامعاتهم، وهو ما يفسّر تبرير كورنبلوث، في بيان رسمي صادر عن إدارة «إم آي تي»، قرار فضّ الاعتصام بالقوّة، بالتشديد على أن «الاستخدام المطوّل للأملاك الخاصة التابعة لمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، كمكان للاحتجاج، ومن دون إذن مسبق، وتحديداً في نهاياتياً لفضّ الاعتصام، تحت طائلة الفصل من الجامعة ومنع الطلبة من حقّ العمل فيها أو الدخول إليها، فقد

وفي أوروبا... «عدوى» الانتصار لغزة تتمدّد

لندن - سعيد محمد

توسّعت دائرة الاحتجاجات المؤيّدة للفلسطينيين في أوروبا إلى مزيد من الجامعات في بريطانيا وإيرلندا وعبر البر الأوروبي، متسبّبة بصداع لإداراتها، وللنخب الحاكمة، والأجهزة الأمنية، كما المنظّمات الصهيونية. وبعدما أقام طلبة جامعة «ووريك» البريطانية المرموقة (وسط البلاد) مخيّماً في قلب الساحة الرئيسية للجامعة، على نسق المخيّمات التي أقامها طلبة جامعة «كولومبيا» الأميركية، اندفع طلبة حوالى ثماني جامعات بريطانية مهمّة في مدن مانشستر ونيوكاسل وليدز وشيفيلد وبريستول، بدورهم، إلى إنشاء مخيّماتهم الاحتجاجية، فيما أقدم طلبة «غولدسميث» في جامعة لندن على احتلال مبنى المكتبة الرئيسي، وشارك طلبة كلية لندن الجامعية بكثافة في مسيرة نُظّمت للاحتجاج على الهجوم الإسرائيلي على رفح، أمام مقرّ رئاسة الوزراء البريطانية، في 10 داونينغ ستريت. كذلك، بدأت ثلّة من طلبة جامعة أدنبرة الإسكتلندية العريقة إضراباً عن الطعام، بينما أسّس طلبة من جامعة «أكسفورد»، جامعة شعبية من أجل فلسطين تمركزت أمام متحف رئيسي في الحرم الجامعي، وهو ما فعله أيضاً زملاؤهم في «كامبريدج» الذين خيّموا أمام مبنى كلية «كينغز» في الجامعة.

وبالمقارنة مع المعاملة السيئة والقمعية التي ووجهت بها احتجاجات طلبة الجامعات الأميركية من قِبَل إداراتها، فإن نظيرتها البريطانية قوبلت بتفهّم ملحوظ من جانب إدارات جامعات المملكة بشكل عام. وقال ناطق باسم جامعة «كامبريدج»: «الجامعة ملتزمة تماماً بالحرية الأكاديمية وحرية التعبير في إطار القانون، ونحن نعترف بالحقّ في الاحتجاج». الطلبة البريطانيين لديهم آراء قوية حول الحرب الجارية، ويتمسّكون بحقهم في التعبير عن أنفسهم بحرية، مع إدراكهم ضرورة أن تكون احتجاجاتهم ضمن القانون». وهو ما كرّره أيضاً رئيس جامعة أدنبرة، فيما قالت رئاسة جامعة «مانشستر»: «في حين أننا نعترف تماماً بالحقّ في الاحتجاج، فإن إقامة معسكر في حرم المدينة يثير مخاوف محتملة تتعلّق بالصحة والسلامة، ويخاطر بتعطيل الموظفين والطلبة ومجتمعنا الأوسع، وفي النهاية هو استخدام غير مصرّح به وغير قانوني لحرم الجامعة، لكنّنا سنفعل كل ما هو ممكن للحفاظ على العمل كالمعتاد مع استمرار الاحتجاجات». أيضاً، انخرطت بعض الإدارات في حوارات وُصفت بالإيجابية مع الطلبة، تناولت إلى جانب مطالبات قطع العلاقات مع إسرائيل ومؤسّساتها وداعميها، البحث في طرق لمساعدة الطلبة الجامعيين الفلسطينيين. كما أنه في كلية «ترينتي» في دبلن بإيرلندا، قرّر الطلبة تفكيك مخيّمهم الاحتجاجي بعد اجتماع لممثّليهم مع إدارة الكلية التي وافقت على إعادة النظر في علاقاتها مع الكيان والمؤسّسات الإسرائيلية.

لكنّ الحكومة البريطانية لم تخفِ عداءها للتحرّكات الطلابية، إذ تحدّث ريشي سوناك علناً عن «دعم كامل لقوات البوليس إذا حاول طلبة الجامعات البريطانية تكرار احتجاجات طلبة الجامعات الأميركية». كما دعا رؤساء جامعات البلاد إلى مقرّه في لندن الأسبوع الماضي للتشاور حول ارتفاع مزعوم في «معاداة السامية». وقال الناطق الرسمي باسمه، إن رؤساء الجامعات استمعوا إلى تشديد رئيس الوزراء على «ضرورة العمل لكي تكون جامعاتنا آمنة للطلبة اليهود»، وشجّعهم على تبنّي «نهج صارم تجاه السلوكيات الاحتجاجية غير المقبولة».

> ألقي القبض على حوالى 100 شخص من جامعة «السوربون» بعدما احتلّ الطلبة المحتجّون قاعة محاضرات رئيسية

أما في باريس، فألقي القبض على حوالى 100 شخص من جامعة «السوربون» بعدما احتلّ الطلبة المحتجّون قاعة محاضرات رئيسية. وفي الوقت ذاته، كانت الشرطة الألمانية تطرد الطلبة من مقرّ مجموعة التضامن مع غزة في جامعة «فراي» وتزيل خيامهم، فيما تخطّط الحكومة الألمانية لتشريع قواعد جديدة تمكّن إدارات الجامعات من طرد الطلبة لأسباب سياسية. وفي بلجيكا، احتلّ عشرات الطلبة المؤيدين لفلسطين مبنى في جامعة «غنت» لليوم الرابع على التوالي، وكذلك فعل زملاء لهم في جامعة «أوتريخت»، مطالبين بقطع علاقات جامعاتهم مع الكيان. وفي إسبانيا، حيث تستمرّ التظاهرات، شُيّدت مخيّمات التضامن مع فلسطين في العديد من الجامعات في جميع أنحاء البلاد، بينما يستمرّ عشرات الطلبة في جامعة «فالنسيا» في الاعتصام في مخيّم نُصب منذ حوالى الأسبوعين للضغط في اتّجاه قطع علاقات جامعتهم مع الاحتلال. أيضاً، انتشرت مخيّمات مماثلة في جامعة «كومبلوتنسي» في مدريد، وشيفيلد وبريستول، وبدورهم، إلى إنشاء مخيّماتهم الاحتجاجية، فيما أقدم طلبة «غولدسميث» في جامعة لندن على احتلال مبنى المكتبة الرئيسي، وشارك طلبة كلية لندن الجامعية بكثافة في مسيرة نُظّمت للاحتجاج على الهجوم الإسرائيلي على رفح، أمام مقرّ رئاسة الوزراء البريطانية، في 10 داونينغ ستريت. كذلك، بدأت ثلّة من طلبة جامعة أدنبرة الإسكتلندية العريقة إضراباً عن الطعام، بينما أسّس طلبة من جامعة «أكسفورد»، جامعة شعبية من أجل فلسطين تمركزت أمام متحف

وبكلمات قاسية بشكل متزايد، يتمّ توجيه اللوم على العنف في غزة ضدّ اليهود الهولنديين»، معتبراً ذلك أمراً غير مبرّر و«شكلاً من أشكال معاداة السامية التي يجب أن نواصل جميعنا محاربتها بصوت عالٍ وصريح».

وفيما نفت مصادر طالبية بشكل قاطع ادّعاءات روته، أكّدت في الوقت ذاته مشاركة ملحوظة لطلبة يهود في تنظيم الاحتجاجات. كما أن مقاطع فيديو تناقلها الناس عبر وسائل التواصل الاجتماعي ووكالات الأنباء، أظهرت أن الطلبة في جامعة أمستردام لم يبادروا إلى العنف، بل هاجمتهم الشرطة المدجّجة بمعدات مكافحة الشغب، بالهراوات، وانهالت عليهم ضرباً، قبل أن تستجلب جرافات ثقيلة لإزالة المتاريس، علماً أن حوالى 169 طالباً ما زالوا رهن الاحتجاز على خلفية تلك الأحداث. وامتدت التوترات أيضاً، إلى جامعات تورنتو وكولومبيا البريطانية ومونتانا في كندا، وكذلك مليورن وسيدني وأديلايد وبيرث في أستراليا، ووصلت إلى أجواء مسابقة الأغنية الأوروبية - التي تُعقد دورتها هذا العام في مالمو في السويد – حيث تظاهر الآلاف احتجاجاً على مشاركة مغنية إسرائيلية في المسابقة.

انتصاراً لحَراكهم، قالت منظمة تمثّل 77 جامعة حكومية وخاصة عبر إسبانيا، في بيان لها، إن أعضاءها سيعيدون النظر ويعلّقون عند الاقتضاء اتفاقاتهم مع الجامعات ومراكز الأبحاث الإسرائيلية التي لم تعبّر عن «التزام ثابت بالسلام والامتثال للقانون الدولي الإنساني». لكنّ الصورة اختلفت في هولندا، حيث اعتدت قوات الشرطة بقسوة على الطلبة الذين أقاموا متاريس من الطاولات وطوب الشوارع والمقاعد الخشبية في حرم جامعة أمستردام، وألقت القبض على مئات منهم وسط هتافات: «عار عليكم». واتّهم ناطق باسم الشرطة الهولندية، الطلبة بارتكاب قائمة طويلة من الجرائم شملت «العنف العام والتخريب والاعتداء على ممتلكات الغير ومقاومة الاعتقال». ومن جهته، وصف مارك روته، رئيس الوزراء الهولندي المكلّف بتسيير الأعمال، الاحتجاجات في جامعة أمستردام، بأنها «تجاوزت الحدود»، وكتب مخاطباً الطلبة عبر صفحاته في مواقع التواصل الاجتماعي: «التظاهرات مسموح بها دائماً. لكن استخدام العنف ضدّ الشرطة والتخريب أمور غير مسموح بها مطلقاً. عليكم التوقف عن ذلك!». وزعم روته أنه «في كثير من الأحيان، خلال اجتماعاتنا أكثر من احتمال إزاء الملف الأميركي، لكن الأقرب في الوقت الحالي هو معاودة العمليات العسكرية، لأننا نعلم جيّداً أن ترك الساحة فقط للقوات الأميركية يجلب للمقاومة الضعف، وربما ستكون مهمة إخراجهم لاحقاً صعبة». ويتابع أنّ «المقاومة العراقية، ولا سيما كتائب حزب الله، تتابع عن كثب أحداث غزة والمقترحات التي تقدّمها قطر ومصر لوقف إطلاق النار، لكن هدفنا هو إنهاء الاحتلال من أراضينا». ويوضح أنّ «القرار

> «النجباء» تتوعّد بالردّ على الاستهداف الإسرائيلي لمراكز مدنية لها في سوريا

النهائي باستئناف العمليات يحتاج إلى دراسة، وأيضاً إلى قرار من قيادتنا العليا، وهذا سيعلن قريباً». من جانبه، يرى المتحدث باسم حركة «حقوق» التابعة للكتائب، علي فضل الله، أنّ لقاءات رئيس الوزراء مع المسؤولين الأميركيين لم تتناول انسحاب القوات الأميركية، وهذا يدلّ على تمسك الولايات المتحدة بالبقاء لفترة طويلة. ويؤكد، لـ«الأخبار»، أن «الكتائب لا تعوّل على الجهود الدبلوماسية للحكومة. والسوداني سعى إلى ترتيب العلاقات مع الولايات المتحدة، لكن ليس على المستوى العسكري، وإنما الاقتصادي فقط».

في هذه الأثناء، تواصل المقاومة العراقية استهدافها الأراضي المحتلة في فلسطين. وفي هذا الإطار، توعّدت «حركة النجباء» إسرائيل بالانتقام من استهداف مراكز لها قرب دمشق بغارات جوية، مؤكدة، في بيان نشرته على حسابها على «تلغرام»، أنها ستصل «إلى أعماق الكيان، ولن تمرّ هذه الجرائم من دون عقاب». وكانت مراكز مدنية وإعلامية تابعة لـ«النجباء» في منطقة السيدة زينب، قد تعرّضت، أول من أمس، لغارات جوية إسرائيلية أدت إلى تدميرها وسقوط ثلاثة جرحى.

وعن تلك الاستهدافات، يقول عضو المكتب السياسي لـ«النجباء»، فراس الياسر، لـ«الأخبار»، إن «الاستهداف السافر لموقع ومؤسسة مدنية، وأيضاً موقع ومكتب قناة النجباء، يدلّ على أنّ العدوّ لا يتورّع عن استهداف المؤسسات، كما فعل مع القنصلية الإيرانية في دمشق».

ويضيف أنّ «الاستهداف كان بمثابة رسالة من الكيان الغاصب ردّاً على الضربات الموجعة التي تبنّتها المقاومة الإسلامية العراقية في الأراضي المحتلة. وهذا دليل على أن الحركة أوجعت الكيان بضربات استهدفت مواقع حيوية فيه». ويتابع أن «هذا الاستهداف الأخير يستلزم ردّاً على الكيان الغاصب، ونعتقد أن الحركة تملك بنك أهداف لمواقع مهمة داخل الكيان». ويؤكد أن «المقاومة الإسلامية مستمرة في التصعيد في ما يخصّ استهداف الكيان الصهيوني. ربما هذا الاستهداف لمراكزنا بهذا الشكل سوف يؤدي إلى تركيز الضربات وزيادة أعدادها مستقبلاً».

«لا جديّة» في الانسحاب الأميركي «الكتائب» تهدّد بكسر الهدنة

بغداد – فقار فاضل

لوّحت «كتائب حزب الله» العراقية، بكسر الهدنة القائمة مع القوات الأميركية في سوريا والعراق، بعدما أبدت بشكل صريح عدم رضاها حيال تحركات حكومة بغداد في ملف إنهاء وجود قوات «التحالف الدولي»، وعلى رأسها قوات الولايات المتحدة، في البلاد، وخاصة بعد زيارة رئيس الوزراء، محمد شياع السوداني، لواشنطن، في منتصف نيسان الماضي. وكشفت مصادر رفيعة المستوى في «المقاومة الإسلامية في العراق»، لـ«الأخبار»، أنّ الأخيرة أجرت تقييماً لعمل اللجنة العسكرية المشتركة بشأن جدولة الانسحاب، ولم تر جدية كافية في حسم الملف بشكل نهائي. وكانت الكتائب قد هدّدت، عبر منصات إلكترونية مقرّبة منها، بأنها ستكسر الهدنة مع القوات الأميركية، وتستأنف عملياتها العسكرية ضد القواعد الأميركية في سوريا والعراق، إذا لم تلمس تقدّماً في مفاوضات الانسحاب.

وفي السياق نفسه، يؤكد قيادي كبير في الكتائب، لـ«الأخبار»، أنّ «المقاومة تعلم منذ بداية الأمر بالمماطلة الأميركية، وكذلك تعلم أن القوات الأميركية لن تنسحب من العراق كونه يمثّل لها موقعاً جغرافياً مهماً للكثير من القضايا، وأبرزها مواجهة الجمهورية الإسلامية في إيران على الأراضي العراقية». ويستدرك بأنّ «السوداني محسوب على محور المقاومة والإطار التنسيقي. ولذا، فإن قضية استبداله صعبة، ولا بديل آخر إلا أن ينفذ هو مطلب إخراج القوات الأميركية بالحوار الرسمي». ويشير القيادي إلى «أننا طرحنا

> «النجباء» تتوعّد بالردّ على الاستهداف الإسرائيلي لمراكز مدنية لها في سوريا

«كتائب حزب الله» غير راضية عن مسار مفاوضات الانسحاب (من الويب)

طوفان الأقصى

الأوروبيون يراجعون «أسبيدس»: طريقنا مسدود

لقمان عبدالله

بعد ثلاثة أشهر من إطلاقها، لم تقدِم مهمة «أسبيدس» الأوروبية في البحر الأحمر، أي إضافة يمكن تسجيلها تعزيزاً لمهمة «حارس الازدهار» التي تقودها الولايات المتحدة في سعيها لحماية الملاحة الإسرائيلية، وأخفقت في إثبات دور الاتحاد الأوروبي في الحفاظ على أمن البحار وحماية الممرّات المائية. ولتجنّب الغرق في المستنقع اليمني، تمايز الاتحاد الأوروبي عن الولايات المتحدة بسلوك وُصف بأنه أكثر جاذبية من الناحية السياسية من المهمة الموازية

> قائد «أسبيدس»: لم أعد قادراً على حماية السفن من هجمات «أنصار الله»

التي تقودها الأخيرة، باقتصار «أسبيدس» على حماية الملاحة الدولية والممرّات البحرية، من دون التورّط في ضربات جوية على اليمن. غير أن المهمة الأوروبية لم يطل الزمن حتى تظهر فشلاً في التعامل مع التهديدات؛ فعلى المستوى التكتيكي، يتحدث ضباطها عن المفاجأة بنوعية المخاطر التي تواجهها قواتهم على مدار الساعة، ويصفون نجاتهم بأنها أقرب ما تكون إلى «لعبة حظ»، ويعترفون بأنهم غير مدرّبين على التعامل مع تلك التحديات، ويعيشون قلقاً دائماً من احتمال نجاح القوات اليمنية في استخدام ما يُسمى «الإغراق» عن طريق إرسال عشرات الطائرات والزوارق المسيّرة في وقت واحد.

وفي السياق، اعترف قائد المهمة، الأميرال اليوناني فاسيليوس غريباريس، بأن الخطر الناجم عن هجمات حركة «أنصار الله» أصبح أكثر حدةً من أي وقت مضى، مشيراً، بحسب ما نقلت عنه مجلة «در شبيغل» الألمانية، خلال اجتماع سرّي في بروكسل الأسبوع الماضي، إلى أن الحركة نجحت في نهاية نيسان الماضي في إغراق الدفاع الجوي لسفن الاتحاد الأوروبي بسرب من الطائرات المسيّرة، وإلحاق أضرار بسفينة تجارية، مضيفاً أن «السفن الحربية تمتلك دفاعات حديثة مضادة للطائرات يمكنها مكافحة أهداف متعددة في الوقت نفسه، ولكن مع وجود سرب كامل من الطائرات من دون طيار، حتى أقوى الأنظمة تستسلم في مرحلة ما». وعلى مستوى التسليح، أثبتت التجارب أن الذخيرة التي زُوّدت بها السفن لا تتناسب مع المهمة ومع أسلحة الخصم، فيما تعجز دول الاتحاد عن تأمين خيارات أخرى في الوقت الحاضر، فضلاً عن التكلفة الباهظة للذخيرة.

ولذا، فبدلاً من أن تلعب المهمة الأوروبية دوراً في حماية السفن التجارية الأوروبية، فضلاً عن تأدية المهمة الأساسية الملقاة على عاتقها والمتمثلة في رفع الحصار عن إسرائيل، فإن الإحصاءات الاقتصادية الرسمية تفيد بأن أوروبا تعد إحدى أكثر المناطق تضرّراً جرّاء عسكرة البحر الأحمر ومضيق باب المندب. ونقلت وسائل إعلام غربية عن خبراء اقتصاديين، تحذيراتهم من أن الهجمات على الشحن في البحر الأحمر تهدد بخلق فترة «فوضوية» للمصنّعين وتجار التجزئة في أوروبا، مع تعطل سلاسل التوريد. وبالتالي، فقد وضع هذا التدخل دول الاتحاد في موقف صعب تبحث فيه عن مخرج من صراع يبدو أفقه العسكري مسدوداً وغير ذي جدوى على المستوى السياسي.

وللتعويض عن فشله، ينشغل الاتحاد الأوروبي بإصدار بيانات عسكرية يتحدث فيها عن اعتراض سفنه مسيّرات أو صواريخ يمنية قبل أن تُصيب سفناً تجارية؛ ويصدر بيانات أخرى في فترات متفاوتة يذكر فيها بمواكبة السفن العسكرية الأوروبية للسفن التجارية. وفي آخر إحصاء له الأسبوع الماضي، أكد الاتحاد أن أسطوله الحربي أستطاع تأمين ومرافقة وحماية ما لا يقل عن 100 سفينة تجارية للعبور بنجاح في البحر الأحمر. أما الواقع على الأرض، فيختلف عن تلك المزاعم، إذ إن السفن التجارية غير المرتبطة بإسرائيل وأميركا وبريطانيا، مسموح لها بالمرور من دون أي مواكبة بحرية. والسفن التابعة لتلك الأطراف الثلاثة يتم اعتراضها حتى لو مؤهن نفسها وعبرت ضمن طابور كبير من السفن الأخرى.

وكانت المهمة الأوروبية قد بدأت تتزعزع مع سحب عدد من الدول سفنها منها؛ إذ سحبت فرنسا الفرقاطة «فريم» بعد انتشار استمر 71 يوماً، لأسباب تتعلق بنفاد الصواريخ والذخائر، وفقاً لقائدها جيروم هنري، ثم جرى سحب الفرقاطة الألمانية «هيسن» في 20 نيسان، ومن المتوقع أن تعود إلى ميناء فيلهلمسهافن في ألمانيا غداً، فيما استدعت الدنمارك فرقاطتها «إيفر هويتفيلد» من البحر الأحمر بعد أقل من شهرين من وصولها، بسبب مشاكل في نظامها الدفاعي، ولم تبق في الميدان إلا ثلاث فرقاطات، واحدة بلجيكية واثنتان إيطاليتان.

وهكذا بعد مرور ثلاثة أشهر على إطلاقها، لم يعد لدى مهمة «أسبيدس» ما يكفي من السفن الحربية لحماية السفن التجارية في البحر الأحمر. وبحسب معلومات «در شبيغل»، حذّر قائد المهمة، بشكل عاجل في اجتماع بروكسل، من أنه لم يعد قادراً على القيام بمهمة حماية السفن من هجمات «أنصار الله».

وبالنظر إلى المخاطر التي كشف عنها التصعيد في البحر الأحمر، والتهديدات التي تعترض المهمة الأوروبية، والحاجة إلى معالجة الأسباب الجذرية لعدم الاستقرار الإقليمي بسبب العدوان على غزة، من المقرر أن يبدأ الاتحاد الاوروبي مراجعة الخطة التشغيلية للمهمة. وبحسب «در شبيغل»، سيبدأ النقاش الشهر المقبل في بروكسل، ليكون أمام الأوروبيين خياران: الأول توسيع ولاية المهمة وما يترتب على ذلك من الدفع بمزيد من السفن بزعم الحد من تهريب الأسلحة إلى اليمن، والثاني أن يستفيدوا من التجربة الفاشلة ويتبنوا استراتيجية موسعة تعطي الأولوية للدبلوماسية في الضغط على إسرائيل لوقف الحرب على غزة.

الأوروبيون يعترفون بالفشل أمام هجمات «أنصار الله» في البحر

رسائل «ترهيب» أميركية إلى صنعاء

صنعاء - رشيد الحداد

شنت قوات صنعاء البحرية، فجر أمس، عمليات هجومية طاولت عدداً من البواخر والمدمرات الأميركية في البحر الأحمر وخليج عدن. وقالت مصادر محلية في سواحل محافظة الحديدة، لـ«الأخبار»، إن دويّ الانفجارات الناتجة من اشتباكات بحرية جرت منذ الثالثة فجراً حتى السادسة صباحاً، سمعها بجلاء سكان المناطق الساحلية. وأفادت بأن الاشتباكات كانت عنيفة، ما يشير إلى أن البحرية الأميركية استماتت في الدفاع عن بوارجها من الهجمات. جاء ذلك في أعقاب تحليق طائرات أميركية من نوع «أم كيو 9» في أجواء محافظة البيضاء. ووفقاً للمؤشرات، فإن جبهة البحر الأحمر لن تهدأ عما قريب. وهذا ما توقعه عدد من الشركات الملاحية الدولية، وعلى رأسها «ميرسك» الدنماركية التي قالت، في بيان قبل أيام، إن أزمة الشحن في البحر الأحمر ستشهد تعقيدات إضافية، مع توسيع حركة «أنصار الله» منطقة الحظر المفروض على السفن المرتبطة بإسرائيل. ويتجه الجانب الأميركي، بدوره، نحو التصعيد هناك، في محاولة منه لتخفيف الهجمات اليمنية على الجبهات الأخرى الممتدة من خليج عدن حتى المحيط الهندي، واستباقاً لجبهة البحر الأبيض المتوسط، التي أعلنت «أنصار الله» أنها ستفتحها قريباً. وبحسب قول مصادر دبلوماسية في صنعاء لـ«الأخبار»، فإن رسائل ترهيب أميركية جديدة وصلت إلى الحركة عبر وسطاء، وهي كالعادة جاءت في أعقاب رفض الأخيرة إغراءات أميركية لوقف الهجمات ضد السفن المرتبطة بإسرائيل. وأشارت المصادر نفسها إلى أن حديث قيادة الأسطول الأميركي الخامس في البحرين، قبل أيام، عن أن العمليات مستمرّة مع الحلفاء لضرب قدرات القوات اليمنية، يؤكد أن واشنطن لم تغيّر نهجها، على رغم ثبوت فشله خلال الأشهر الماضية.

وفي الوقت الذي ترفض فيه الإغراءات، لا تستجيب صنعاء كذلك للتهديدات، ولا سيما أن الحرب معها أثبتت أنها تنطوي على صعوبات كبيرة بالنسبة إلى القوات البحرية والجوية الغربية. وفي هذا السياق، كشف «مركز الأمن البحري الدولي» (CIMSEC)، في تقرير، أن «التحالف البحري الغربي في البحر الأحمر يواجه تحدياً صعباً، يتمثل في الغوّاصات المسيّرة اليمنية، لأن العمليات البحرية الغربية مصممة في المقام الأول لمواجهة التهديدات السطحية والجوية»، لافتاً إلى أن «ظهور تهديد تلك الغواصات يستلزم إعادة تقييم شاملة لاستراتيجيات الدفاع البحري وتكتيكاته المستخدمة في البحر الأحمر». وواضح التقرير أن «تأثير الغوّاصات المسيّرة اليمنية يمتد إلى ما هو أبعد من الأضرار المحتملة للسفن الفردية، ويعد أمراً مدمراً». وأضاف أن «عملية اكتشافها، بالقدرات العسكرية الحالية، مع وجود البيئة الصوتية للشحن البحري في البحر الأحمر، تعد معقدة»، وأن «هذا التهديد يمثّل تذكيراً صارخاً بالحاجة إلى التكيّف المستمر والابتكار في مجال الحرب البحرية»، لافتاً إلى أن «أزمة البحر الأحمر بمثابة لحظة محورية، تقدم دروساً في الأمن البحري».

> التحالف البحري الغربي يواجه تحدّيا صعباً يتمثّل في الغواصات المسيّرة اليمنية

على خط موازٍ، ذكرت «هيئة عمليات التجارة البحرية» البريطانية، أمس، أنها تلقت تقريراً عن محاولة اختطاف فاشلة لسفينة على بعد 195 ميلاً بحرياً إلى الشرق من عدن. ونقلت عن ربّان السفينة القول إن زورقاً صغيراً اقترب منها، وكان على متنه خمسة أو ستة مسلحين ومعهم سلالم لاعتلائها. وقالت الهيئة، في بيان، إن المسلحين أطلقوا النار أولاً على السفينة، لكن فريقاً أمنياً على متنها ردّ بإطلاق النار أيضاً، ما أجبر الزورق على التراجع. وأضافت أن ما بلغها يشير إلى أن السفينة وطاقمها بخير، وأنها متجهة إلى الميناء التالي. وبحسب ما نقلته وكالة «رويترز» عن مصادر في قطاع الملاحة البحرية، فإن قراصنة في المنطقة ربما شجّعهم الوضع الأمني على استئناف نشاطهم، واستغلال الفوضى الناجمة عن المعارك البحرية الدائرة في المنطقة لمحاولة الاستيلاء على سفن تجارية.

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلبت أمنة علي جابر بصفتها مشترية سند بدل ضائع للمالك علي عبد الكريم جابر في العقار 1170 جويا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب حسين دخلالله لموكله أمين حسين عامر سند بدل ضائع للعقار 2467 قانا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب سليم يوسف سعد لموكله حسين علي مغنية سند بدل ضائع للعقار 699 طيردبا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب عامر بنجك وكيل أحمد مرتضى لمورثه محمود مصطفى مرتضى سند بدل ضائع للعقار 414 بتوليه.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في صيدا
طلب جو ناصر قسطنطين سند بدل ضائع للعقار D5/1435 مغدوشة.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
من أمانة السجل العقاري في جزين
طلب بشير الجردلي لموكله محمد منيب مصطفى الشماع شهادة قيد بدل ضائع للعقار 2983 روم.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب عماد قاسم دحويش بوكالته عن عصام أيوب جوني لمورثته زينب محمد حسين جوني شهادة قيد بدل ضائع للعقار 435 رومين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب عماد قاسم دحويش لموكله عباس عبد الحسن الخياط الصبوري شهادة قيد بدل ضائع للعقار 155 عبا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب عماد قاسم دحويش لموكله عن سليمان حسن بركات لمورثه حسن مرعي بركات شهادة قيد بدل ضائع للعقار 233 يحمر.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب حسين نعمه فرحات شهادة قيد بدل ضائع للعقار 342 كفررمان.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب علي علي حمزه بصفته مشتري من حسن علي حمزه المشتري من علي الحاج حسين حمزه شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1088 كفررمان.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب عماد قاسم دحويش لموكلته مريم نجيب الصباغ شهادة قيد بدل ضائع للعقار 1338 نبطية التحتا.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

إعلان
أمانة السجل العقاري في صور
طلب رضا حسن رضا لموكله عاطف إبراهيم حلاوي سنديان بدل ضائع للعقارين 177 و847 عين بعال.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في صور
حسين خليل

إعلان
من أمانة السجل العقاري في النبطية
طلب سعد الدين محمد الخطيب بوكالته عن هاني أحمد الشاب لمورثه أحمد علي الشاب شهادة قيد بدل ضائع للعقار 822 زبدين.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري في النبطية
محمد طراف

بطلان زواج
ودبع جوزاف شكور - زينه سليم نهرا
نيابة الجبة
إعلان قضائي
إن المحكمة الابتدائية الموحدة المارونية تدعو الزوجة زينة سليم نهرا، للحضور إلى قلم هذه المحكمة لتبلغ الحكم الابتدائي النهائي الصادر في 2024/1/2 وذلك بمهلة خمسة عشر يوماً من تاريخ النشر.
ذوق مصبح في 2024/4/30
المسجل
الخوري راشد شويري
الرئيس
الأب مارون حرب

◄ للبيع ►

للبيع صهريج محروقات عمومي فولفو موديل 2008 بحالة مُتازة السعة 18.000 ليتر.
للتواصل: was1515v@gmail.com

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4588

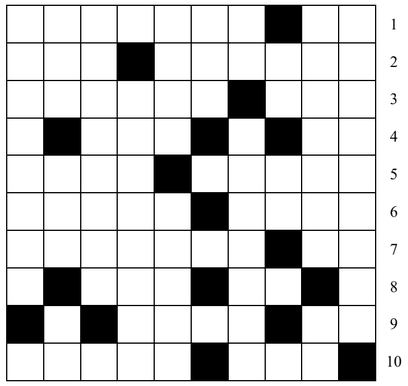

أفقيا
1- عانق بحنان وعناية - دولة أوروبية - 2- عاصمة أوروبية - من الحيوانات - 3- مسكن الجنيّ - ماركة سيارات - 4- والدة - نبات هندي الأصل ينتج ليفاً متيناً صالحاً لصنع الحبال والخيطان - 5- لصقهم ببعضهم - من كانت عينه منحرفة عن مركزها الأصلي - 6- لقب روماني قديم حمله الأباطرة - الكوكب المتألق - 7- بخل - مهنة من يعمل في الأدوات الصحيّة - 8- ثرى - رافعة لنقل السيارات - 9- برق وتلألأ - مياه مرّة - 10- ماركة سجائر - نعانعه

عمودياً
1- إحدى قمم جبل المكمل - 2- فنان لبناني - وثيقة بملكية أرض - 3- مادة قاتلة - قطع الشعر - 4- أميرة إنكليزية - مقابر الفراعنة - 5- ضرب بقبضة اليد - 6- راية - مدينة مصرية - 7- من الطيور - 8- مقدم برامج راحل عُرف بظريف لبنان - 9- يبسط يده - كهف في الجبل - بحر - 10- مدينة في الكويت

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- أيام الحصاد - 2- بال - ساري - 3- لحد - تي - ببر - 4- السفير - 5- إد - برج ايفل - 6- قورش - نون - 7- ١١١ - بهو - لو - 8- زِل - شر - زعتر - 9- أياب - فرساي - 10- نبيل شعيل

عمودياً
1- إيليا قازان - 2- دواليب - 3- أبدأ - را - اي - 4- ما - لبّش - شبل - 5- النسر - بر - 6- بفجرّه - فع - 7- حس - يا - وزري - 8- صابرين - عسل - 9- ارب - قولتا - 10- دير النورية

sudoku 4588

6	9	4					5	
	7			1			4	
	1					9	6	2
		8		5				7
	3	5		7			9	6
	2			6			8	
			3				7	
	8			9		2		4
7	4	9			1			

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4587

3	7	9	5	1	6	8	4	2
1	6	4	7	8	2	9	5	3
5	2	8	4	3	9	7	1	6
6	8	5	2	4	7	1	3	9
2	4	3	1	9	8	5	6	7
7	9	1	6	5	3	4	2	8
4	3	7	9	6	1	2	8	5
9	5	6	8	2	4	3	7	1
8	1	2	3	7	5	6	9	4

مشاهير 4588

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

شاعر وأديب سوري (1934-2006). من مؤسسي جريدة تشرين

5+6+4+1+8+3 = مدينة سعودية ■ 7+9+11 = مدٍ بقصد الإطالة ■ 6+2+10 = مزيج الماء مع التراب

حل الشبكة الماضية: الفونس دوديه

أبعاد ونتائج محتملة لانتفاضة الجامعات الأميركيّة

أسعد أبو خليل *

> نعمت شفيق هي محمد اركون وهي اللورد أحمد في بريطانيا وهي اي وزير او وزيرة من اصل مسلم او عربي في حكومات محور الإبادة الغربي... هي كل عربي وعربية ينحنيان من اجل الصعود
>
> لم يسبق ان رأيت في اكثر من اربعين سنة هذه الاحتجاجات حول مسألة سياسة خارجية. صحيح، كانت هناك احتجاجات في حرب فييتنام لكنها كانت تتعلّق برفض الطلاب التجنيد

لم أرَ اللوبي الإسرائيلي في حالة الهلع والذعر التي هو فيها هذه الأيّام. قد تكون أقدح كارثة لحقته منذ التأسيس في عام 1963. صحيح، كانت فضيحة الجاسوس الإسرائيلي، جوناثان بولارد، في عام 1958، كارثيّة لإسرائيل لكنها لم تثر اهتمام الرأي العام الذي لا يتابع قضايا السياسة الخارجيّة (فقط نحو 2 أو 3% يتابعون السياسة الخارجيّة عن كثب). آراء وانطباعات الشباب هي الأهم عند المُعلنين في التلفزيون لأنهم صانعو القرار في المستقبل. الصحافة العربيّة السائدة تعاملت مع انتفاضة الطلاب بحذر شديد أو بتجاهل. «الشرق الأوسط» تجاهلتها لأيام قبل أن تضع خبراً صغيراً عنها، ثم شنّت بعد ذلك حملات تضليل وتشهير بها على صفحة الرأي. الكاتب اللبناني نديم قطيش، عبّر عن امتعاضه لأن التنديد بإسرائيل وإهانة اليهود يمرّان من دون عقاب في أميركا. كاد أن يوحي أن لوبي «حماس» يسيطر على الكونغرس والإعلام وأن الصوت الفلسطيني يمتلك كل عناصر الثقافة والسياسة هنا. اللبناني الآخر، أياد أبو شقرا (في صحيفة «الشرق الأوسط» نفسها) كتب مقالة طويلة في تحليل ظاهرة انتفاضة الطلاب من دون ذكر فلسطين. بدا له أن الاحتشاد الحراري والكورونا حرّكا الانتفاضات. خافت أنظمة الخليج المُطبّعة (سرّاً أو جهاراً) أن تتحرّك مشاعر الطلاب في بلادها. لكن لا خوف على الأنظمة من الطلاب العرب. الشعب العربي كلّه (أو معظمه) في حالة غيبوبة بالرغم من تعاطفه مع شعب فلسطين. الجامعات ساكنة في البلدان العربيّة.

أولاً، ليس عفواً أن التحرّكات والاعتصامات كانت في جامعات يتميّز طلابها بالثراء. عندما تتحدّث عن جامعات نخبويّة نتحدّث عن جامعات يدفع فيها الطلاب (في جورجتاون أو كولومبيا أو جامعة نيويورك) ما يقارب المئة ألف دولار سنوياً. هؤلاء يقبلون على افتراش الأرض لأسبوع أو أكثر. هذا لا يعني أن الطلاب في الجامعات الأخرى لا يشاركون زملاءهم في تحسّس الأمم الشعب الفلسطيني لكن نسبة أوقات الرفاهية أقلّ عندهم. طلاب الجامعات الحكومية الأقل نخبويّة يعملون على مدار الأسبوع، وبعضهم في مهن عمّاليّة. هؤلاء لا يمكن لهم أن يخسروا يوم عمل كي يفترشوا الأرض. ليس سهلاً عليّ الإقرار بهذا الجانب الطبقي لأن ذلك قد يبدّد المسحة الرومانسيّة التي نضفيها على الاحتجاجات التي ترفع شعارات وأعلام فلسطين. لكن ملاحظة الخلفيّة الطبقيّة تحدّ من جموحنا في التوقّعات. ليس الأفق ثورياً بسبب هذا العامل. في الستينيّات، خسرت جامعة بيل بضعة أفراد من الطلاب في حرب فييتنام، فيما خسرت جامعة مدينة نيويورك مئات من القتلى في الحرب البعيدة (الجسم الطالبي فيها من خلفيّة فقيرة). هناك حدود للأفق السياسي للتحرّك. صحيح، أعانت بعض الحركات اليسارية الاحتجاجات من خارج الجامعة ولهذا أقفلت جامعة كولومبيا أبوابها مانعةً من لا يمتلك بطاقة الجامعة فتح أبواب المباني.

ثانياً، لقد تركت جلسة نعمت شفيق (رئيسة جامعة كولومبيا) أمام أعضاء الكونغرس وقعاً كبيراً أشعل حرم جامعة كولومبيا كما أشعل غيرها (لا تقلّلوا من المشهديّة التوتاليتارية للكونغرس الأميركي وهو يستدعي رؤساء الجامعات ومدراء أقاليم العداء لإسرائيل. 38% من البيض يقفون بالكامل أو غالباً مع إسرائيل، تتدنّى النسبة إلى 13% فقط بين السود (حسب استطلاع «بيو»). نعمت شفيق هي محمد أركون وهي اللورد أحمد في بريطانيا وهي أي وزير أو وزيرة من أصل مسلم أو عربي في حكومات محور الإبادة الغربي. هي فيليب حبيب (نقل عنه رَئيف شيف وإيهود يعاري في كتابهما عن حرب لبنان أنه قال لبيغن إنه كان دوماً صهيونيّاً، عندما سألتُ حبيب عن ذلك في سنوات تقاعده نفى لكنني لم أصدّقه). هي شفيق هي كل عربي وعربيّة ينحنيان من أجل الصعود في السلّم التراتبي الوظيفي الطبقي. حرّكت نعمت شفيق مشاعر غاضبة ليس فقط بين الطلاب العرب وإنما بين الأكاديميّين العرب.

دعني أستفيض: العرب في الأكاديميا ومراكز الأبحاث نوعان. معظم العرب في مراكز الأبحاث في واشنطن من عرب الطاعة الذين يتبعون (مثل إعلاميّي وإعلاميّات لبنان) السعودية والإمارات لما للدولتيْن من نفوذ تمويلي على مراكز الأبحاث. عندما يظهر بول سالم من «مؤسّسة الشرق الأوسط» أمام الكونغرس ويطالب بعقوبات ضد لبنان بسبب مقاومة إسرائيل فإنه ينال الرضى من اللوبي الإسرائيلي ومن سفارتي السعودية والإمارات. لكن الأكاديميّين العرب في أميركا تقدميّون متعاطفون مع فلسطين بقوّة. تكون منبوذاً لو أنت مؤرخ عربي لا تتعاطف مع فلسطين في الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم الاجتماع. هذا يسري على الأكاديميّين اللبنانيّين (ومن كل الطوائف) بالرغم من وجود أفراد صهاينة هنا وهناك (كما أن هناك أفراداً لبنانيّين يعملون في منظمات صهيونية في عواصم الغرب). نعمت شفيق، لأنها عربيّة، جاهرت بمواقف بزّت مواقف رؤساء جامعتيْ بنسلفانيا وهارفرد. هي في موقع دوني (بسبب خلفيّتها) ومن أجل ذلك تحتاج إلى إظهار الولاء أكثر من سابقاتها. هي أدانت أساتذة في جامعتها وهي تحدّثت في العلن عن عقوبات مسلكيّة ضدّ أستاذة مع أن هذه الإجراءات تكون سريّة.

ثالثاً، كانت نوادي «تلاميذ من أجل العدالة في فلسطين» ساكنة في السنوات الماضية لكنها في كل الجامعات كانت تقيم نشاطات في ذكرى أسبوع الأبارتيد في إسرائيل. حرب إبادة غزة حرّكت الشباب في مختلف الجامعات. لم يسبق أن رأيتُ طلاب الجامعات في حالة غضب كما أراها اليوم. وحالة الحنق تمتد للطلاب اليهود وهذا ما عطل سرديّة اللوبي عن أن التحرّكات معادية للسامية.

رابعاً، انتقلت قيادة العمل السياسي العربي من رجال أعمال لبنانيّين محافظين في الستينيات والسبعينيّات إلى اللجنة العربيّة الأميركيّة لمكافحة التمييز في الثمانينيّات والتي حاولت الربط بين المهنيّين والحرفيّين العرب وبين العائلة، إلى الحقبة الحالية حيث تقود نساء عربيّات (معظمهنّ فلسطينيّات مولودات في الولايات المتحدة) النشاط السياسي العربي. هؤلاء هم القادة الفعليّون. نستطيع أن ننوّه بتأييد التنظيم اليهودي التقدّمي («أصوات يهوديّة من أجل السلام») أو بتأييد القلّة من السود في جامعات النخبة لكن القيادة الفعليّة هي للنساء العربيّات، في الجامعات وخارجها. هؤلاء هنّ اللواتي نظّمنَ أكبر تظاهرة من أجل فلسطين في تاريخ الجمهوريّة (في واشنطن في نوفمبر الماضي). هذه الحدّة في الطرح والثبات على المواقف والمبدئيّة القاطعة هي سمة للنساء الفلسطينيّات القادة. نحن الرجال كنّا أكثر حذراً في زمننا، وكان بعضنا يذكّر الإعلام بصورة دوريّة أنه أميركي. هؤلاء يرتدون هويّتهم الفلسطينيّة والعربيّة بفخر ولا يسمحون للصهاينة بوضعهم في مواقع دفاعيّة. هن اللواتي رفضن فخّ معادلة: «هل تدين حماس؟» وأداروها لإدانة إسرائيل. النسوة عرفن كيف يجذبن الطلاب لأنهن يتكلمن الخطاب التقدمي الجذري. هن يعرفن بالتقاطعات بين أشكال وأنماط النضال العرقي والجندري.

خامساً، كان مُحبطاً للآمال أن ترى جامعة بير زيت تتضامن مع جامعات الغرب. كان دور جامعة بير زيت أن تُرشد العمل النضالي من أجل فلسطين لا أن تكون تابعاً لجامعات الغرب. لكن جامعات الأردن وموريتانيا كانت سبّاقة، وقبل اشتعال جامعات الغرب، في التعبير عن الاحتجاج والغضب العربيّيْن.

سادساً، لا نبالغ في تأثير هذه الانتفاضة، ولا نقلّل من تأثيرها. لم يسبق أن رأيتُ في أكثر من أربعين سنة هذه الاحتجاجات الطالبيّة حول مسألة سياسة خارجيّة. صحيح، كانت هناك احتجاجات في حرب فييتنام لكنها كانت تتعلّق برفض الطلاب التجنيد الإجباري: لم يكن التعاطف مع الشعب الفييتنامي بقدر ما كان مع الشباب الأميركي الرافض للتجنيد. وكان طلاب الجامعات النخبويّة (الحاصلون على حظوة إعفاءات من التجنيد) يحتقرون المجنّدين الفقراء من جامعات غير نخبويّة. هذه الانتفاضة ستؤثّر على الحزب الديموقراطي مستقبلاً لكنها ستزيد من التمييز بين الحزبيْن: الحزب الجمهوري سيزيد من عناد تأييده لعدوان إسرائيل فيما سيتارجح الحزب الديموقراطي وقد يتعرّض لحرب ردّة تعزّز نفوذ الصهاينة الذين يقودونه اليوم (جرت حرب ردّة في حزب العمال البريطاني ضد جيريمي كوربن). لكن النظر إلى الاحتجاجات على أنها ستؤثّر في مسار التحرير والعدالة في أرض فلسطين ينفي عن الشعب الفلسطيني قدرته وإرادته على التغيير.

سابعاً، استخدام العنف ضد الطلاب سيغيّر من صورة الغرب بصورة عامّة (والعنف سُجّل ضد طلاب في ألمانيا وفي أميركا وفي إيطاليا). سقطت أوراق الزيف الديموقراطي التي كانت تستر عورات النظام السياسي الديموقراطي الغربي. حريّة التعبير هنا مسموحة على ألا تؤثّر على المسلّمات. اليساريّون (مثلي) يتمتّعون بحريّة تعبير لأننا لسنا إسلاميّين. عندما كان الخطر شيوعياً لم يتمتّع اليساريّون بحريّة تعبير. الدولة الراسمالية تستعمل العنف لحماية مشروع استيطاني عنصري أجنبي: لأن المشروع الصهيوني يدخل في ضمن عقيدة «الناتو». تمويل حكومات «الناتو» لوسائل إعلام في بلادنا («درج» و«ميغا فون» و«رصيف» وغيرها) يستهدف الافراط في تغطية سلبيّة للبلدان المعادية لأميركا وإسرائيل وحركات المقاومة من أجل التقليل من خطورة المشروع والعدوان الصهيوني. هذه الوسائل تجعل من حكم إعدام في إيران (وليس في السعودية) أكثر استحقاقاً للتغطية من إعدام عشرات الفلسطينيّين في غارة إسرائيليّة.

ثامناً، المشروع السياسي للعرب والمسلمين الأميركيّين تغيّر كثيراً. هؤلاء لا يتحرّكون بسقوف دول الخليج التي تجعل من حلّ الدولتيْن أقصى الطموح الفلسطيني (وطبّق معظم كتّاب الرأي في لبنان من دعاة «حل الدولتيْن»، من جهاد الزين إلى كتّاب «الشرق الأوسط» إلى كتّاب إعلام الناتو «البديل»). هؤلاء في جامعات أميركا يهتفون «من النهر إلى البحر» لأنهم، بجد، يتوقون إلى تحرير كل فلسطين (ويؤيّدهم في ذلك كل الناشطين من أجل فلسطين بمن فيهم غير العرب). هذه الشعارات الجذريّة ستنعكس على قدرة إسرائيل على الترويج لبضاعتها السياسيّة، أو قدرة دول الغرب على نشر حجج وذرائع سياساتها الخارجيّة.

تاسعاً، ستنهزم الحركة الطالبيّة هناك لأن الدولة البوليسيّة الديموقراطيّة ستكشّر عن أنيابها. لكن اللوبي الإسرائيلي في ورطة باتت أكبر.

عاشراً، لا نبالغ في التأثير الاقتراعي لهذه الانتفاضة. الشباب لا يقترعون إلا بنسب قليلة وهناك استطلاع جديد أظهر أنه في فئة الشباب 2% منهم فقط يعتبرون السياسة الخارجيّة عنصراً مؤثراً في تقرير الاقتراع (ويتعاطف، حسب استطلاع جديد لـ«نيوزويك» 39% من طلاب الجامعات مقابل 11 مع إسرائيل ويرفض 40% الإجابة. ونسبة رفض الإجابة قد توحي بإمكانيّة لتغيير الأجواء حسب المناخ السياسي).

* كاتب عربي - حسابه على «إكس» @asadabukhalil

انهيار العقيدة الصهيونية

صفية أنطون سعادة *

> التحولات الديموغرافية الضخمة التي حصلت خلال القرن العشرين وبداية هذا القرن، قلبت الكثير من المسلّمات رأساً على عقب في المجتمعات الغربية على وجه الخصوص

الخلفية التاريخية

العقيدة الصهيونية هي الابنة الشرعية للمنتاج الثقافي الأوروبي الذي بنى مفهوم الدولة-الأمّة على أسس عرقية ودينية، فتمّ إقصاء من لا ينتمي إلى الدين السائد و/أو العرق المهيمن خارج منظومة المواطنة. وتجلّى هذا النمط بأوضح صورة في ألمانيا النازية التي كانت السبّاقة بين الدول الأوروبية في نهضتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فسطع نجم ألمانيا إبّان القرنين الثامن والتاسع عشر في الموسيقى (أشهر المؤلّفين الموسيقيين والطليعيين)، في الأدب القصصي، وفي الفلسفة؛ ولها الفضل في وضع المداميك الأولى لعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد والعلوم الطبيعية، خاصة في الفيزياء والكيمياء. انشأت جيشاً جبّاراً استفاد من التكنولوجيا الحديثة نتيجة الثورة الصناعية، كما أن هذه الثورة أدّت إلى تراكم رأس مال ضخم في أرجائها. ومن الصعب تصوّر مثال يضاهي ألمانيا في القمم المعرفية التي بلغتها في تلك الفترة بالذات، وهي التي باشرت في صنع القنبلة الذرية قبل أن يسحقها الحلفاء مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

كعب أخيل في هذه المسيرة الباهرة كان تبنّي عقيدة التفوق العنصري الآري، واضطهاد من ليس آرياً ومنهم اليهود، ما أدّى إلى خروج الأدمغة اللاآرية خارج ألمانيا. فلقد توزّع العلماء المهاربون من نير التعصب العنصري الآري بين الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا في شكل أساسي، والتزموا محاربة ألمانيا وتقديم معرفتهم واختراعاتهم للدول التي لجأوا إليها. فإن القينا نظرة خاطفة على إنجازات الولايات المتحدة الأميركية في تلك الفترة من القرن العشرين لوجدنا الأسماء الألمانية/اليهودية على رأس القائمة، من اختراع القنبلة النووية إلى إدارة شؤون الدولة والحكم إلى التمركز في أهم الجامعات الأميركية، وإدارة أهم المصارف، والسيطرة على النشاط الفكري في جميع أشكاله، من صحافة وأدب وعلوم، وكان هؤلاء الأشخاص مؤهلين لذلك بسبب تدريبهم السابق في ألمانيا. وساعدهم في ذلك استحواذهم منذ القرون الوسطى على رؤوس أموال ضخمة شرقاً وغرباً بسبب ديانتهم، ذلك أن الديانتين المسيحية والإسلامية منعتا أتباعهما من ممارسة الربا بينما سمحت به اليهودية، وهذا من أهم أسباب محاربة هتلر لليهود، إذ إنهم كانوا ممسكين بالاقتصاد الألماني، ومن بيده الاقتصاد يستطيع الهيمنة على السياسة والحكم.

تبنّت العقيدة الصهيونية نظرية التفوق العنصري الألماني، وطبّقتها على نفسها، واستعارت من تراثها الديني القبلي لتنشر فكرة أنها أمّة «شعب الله المختار»، واستبدلت كلمة آري بـ«سامي»، فمن يحارب الصهيونية لا يستطيع أن يكون إلا معادياً للسامية! وهكذا دُعمت فكرة الصهيونية، وهي فكرة قومية عنصرية متطرفة، بالعامل الديني، ما لاقى انتشاراً واسعاً في صفوف البروتستانتيين المؤمنين بـ«العهد القديم» للكتاب المقدّس، وكتاب «العهد القديم» عبارة عن سرد للتاريخ كما يراه اليهود، ويدين بالبروتستانتية غالبية سكان الولايات المتحدة الأميركية وكذلك بريطانيا وألمانيا.

ارتكازاً على كل هذه العوامل، ازدهرت العقيدة الصهيونية في الغرب، وساعدها الاستعمار الغربي على الاستيلاء على فلسطين، واعتبرها جزءاً من منظومته لأن الصهاينة غربيو الأصول العرقية. لكنّ التحولات الديموغرافية الضخمة التي حصلت خلال القرن العشرين وبداية هذا القرن، قلبت الكثير من المسلّمات رأساً على عقب في المجتمعات الغربية على وجه الخصوص.

تحوّلات المجتمع الغربي

على رأس تحوّلات المجتمعات الغربية هو الهجرات المتتالية، الشرعية وغير الشرعية، إلى دول الغرب الأطلسي من الأجناس التي لا تُعتبر «بيضاء». وبما أن الدول الغربية تعلن عن نفسها بأنها «ديموقراطية»، فهي لا تستطيع أن تمنع المواطنة على من يولد على أرضها. هذا التحول الديموغرافي الدراماتيكي، خاصة على صعيد الولايات المتحدة الأميركية، هزّ أركان العقيدة الصهيونية كما هزّ أركان النظريّات العنصرية التي تمنع مبدأ المساواة الديموقراطي من التحقّق. فولاية كاليفورنيا هي على كل هذه العوامل، ازدهرت مثالاً، معظم سكانها اليوم من غير العرق الأبيض، وهم يواجهون الصلف العنصري ذاته الذي يواجهه الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وبالتالي يتعاطفون ويؤازرون الفلسطيني في مواجهة المستعمر الصهيوني الاستيطاني الذي يريد إبادتهم واحتلال أرضهم.

تواجه الولايات المتحدة الأميركية البيضاء المازق نفسه الذي يواجهه الكيان الصهيوني، وهو انهيار منظومة التفوق العنصري والفصل العنصري. فالطلبة الذين يتمرّدون على النظام القائم الذي يمارس الإجحاف بحق الأعراق الأخرى من سمراء وصفراء وسوداء، يرفضون دولة صهيونية إحلالية عنصرية في فلسطين، إذ إنهم يتشاركون والفلسطينيّين القضية نفسها، لذلك سيستمر النضال الطالبي بناءً على الأسس التي يقوم عليها النظام الديموقراطي الا وهي المساواة بين المواطنين بمعزل عن دينهم أو عرقهم، ورفض مفهوم إبادة الشعوب من أساسه بناءً على نظريات التفوق العنصري التي ادلج له الغرب في محاولته لاستعمار العالم. ومن هنا يمسي الحزب الديموقراطي الأميركي محرجاً كونه يؤمن نظرياً بهذه القيم فيما هو يمارس عكسها على الأرض. هذا عدا اللامنطق الحاصل من جراء دعم موقف ونقيضه في نفس الوقت: فالصهيوني الذي يتهم النازية بإبادة اليهود لأنهم غير آريين، يقوم بإبادة الفلسطينيين لأنهم ليسوا يهوداً، والأميركي الذي يجرّم الإبادة بشكل مطلق، يدعم الإبادة الصهيونية للشعب الفلسطيني!

كما تنهار أنظمة الفصل العنصري في العالم، ستنهار العقيدة الصهيونية الممارسة لإلغاء الآخر وإبادته، لأن اختلاط الأعراق والأديان هو عنوان العالم الحديث الذي أصبح منفتحاً بعضه على البعض الآخر عبر وسائل التواصل، وعبر طرق المواصلات السريعة. هذا الانفتاح هو سمة تاريخ وحضارة المشرق العربي منذ قدمه، فلا الأديان الوثنية، ولا المسيحية أو الإسلام دعمت الإبادة أو الفصل العنصري في مجتمعاتنا، بل على العكس من ذلك تماماً. وبالتالي، الحل الوحيد المستقبلي هو تلاشي الكيان الصهيوني العنصري الذي لم يعد له أي مكانة في خضمّ تغير القيم والمفاهيم الحديثة خاصة بين الشبان والشابات، وانتفاض الشعوب الرافضة للموت والإبادة.

* أستاذة جامعية

واشنطن وفريقها والنزوح السوري

سعد الله مزرعاني *

> لا ترعى واشنطن استمرار النزوح السوري فقط، بل هي تقود خطّة لاستدراج المزيد من النازحين!

قبل شهر ونيّف احتدم الجدل، مجدّداً، حول النزوح السوري في لبنان، بعد عملية خطف وقتل المغدور باسكال سليمان منسّق حزب «القوات اللبنانية» في جبيل. في السياق، لوحظ تغييب كامل لعامل مهمّ، في أزمة النزوح السوري، في لبنان خصوصاً، هو العامل الأميركي. لم يكن الأمر ناجماً عن مجرّد سهو، أو عن خطأ عابر وقابل للاستدراك السريع. حتى «التيار الوطني الحر» العوني الذي اهتمّ بالمسألة بشكل شبه متواصل، تجنّب، لأسباب تعود إلى رغبته في تحسين علاقاته مع واشنطن، تناول الدور الأميركي في ملف النزوح السوري. شكّل ذلك التغييب علامة فارقة في مقاربة هذا الملف بالمقارنة مع ملف اللجوء الفلسطيني بعد نكبة عام 1948، والذي نجم عن حملات العصابات الصهيونية للاستيلاء على فلسطين وتشريد ما أمكن من شعبها بالإكراه والمجازر، بتواطؤ ورعاية القوى الاستعمارية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا أولاً. وواشنطن دائماً وأبداً (وصولاً إلى حرب الإبادة الراهنة في غزة).

عدّة أسباب ساهمت في بلورة موقف واشنطن المعارض لعودة السوريين إلى بلادهم:

أولها، تمكّن السلطة والجيش السوريين من الصمود في وجه الضغوط والهجمات الداخلية والخارجية. حصل ذلك بدعم من «حزب الله» في لبنان، ومن «الحرس الثوري» الإيراني. ثم حصل لاحقاً، بدعم روسي عسكري انعطافي في مسار الحرب، ما أدى إلى إفشال حاسم لمحاولات إسقاط سلطة الرئيس بشار الأسد.

ثانيها، فشل المعارضة الداخلية في بلورة بديل سياسي جدير ومستقل، وهيمنة اتجاهات هجينة وأصولية على قيادتها بدعم خارجي تتداخل فيه التأثيرات التركية والإسرائيلية والخليجية برعاية أميركية.

ثالثها، دخول «داعش»، بعد المتطرفين من أجنحة «القاعدة»، لاعباً مؤثراً باجتياح مناطق واسعة في العراق وسوريا تحت لافتة «دولة الخلافة»، ما حجّم، إلى الحد الأقصى، فرص المعارضة في تصحيح مسارها وترميم دورها، وكرّس تبعيّتها المطلقة للخارج. شكّلت عملية «داعش» مناورة أميركية في الجوهر، وفي الأسلوب تحدّياً حضارياً فاقت جرائمه كل التوقعات وتخطّت كل الحدود، ما فرض التصدي له ومن ثم انهياره شبه الكامل في كل من سوريا والعراق ولبنان. انتقلت واشنطن بعد فشل محاولة إحداث انقلاب لمصلحتها، إلى بناء خطة شاملة لعرقلة استتباب الوضع لمصلحة النظام السوري وحلفائه: في ضغطت، دون كلل، لتعطيل كل المبادرات والمحاولات العربية والإقليمية والدولية الرامية إلى إيجاد تسوية سياسية للأزمة السورية. استغلّت، لهذا الغرض، ورقة نزوح ملايين السوريين إلى الخارج. نظّمت عملية تشجيع وحماية الدويلة الكردية (بإدارة «قسد»). أقامت قواعد عسكرية للسطو على الجزء الأكبر من النفط السوري، ولمراقبة وإعاقة التواصل بين العراق وسوريا، عبر قاعدة «التنف» على المثلّث الأردني العراقي السوري. عزّزت حضورها العسكري في الأردن. غذّت حملة اتهام للسلطة السورية برعاية أنشطة تهريب المخدّرات. دفعت الحكومة الأردنية، شريكتها في التدخّل والتآمر ضد السلطات السورية، إلى استفزاز متعدّد الأشكال ضد دمشق. شجّعت العدوّ الصهيوني على تصعيد اعتداءاته ضد الأراضي السورية... إلى ذلك، استصدرت «قانون قيصر» لحصار سوريا وخنقها، ولمعاقبة من يتعامل معها.

في السياق، كان للنازحين السوريين في لبنان وظيفة إضافية في الخطة الأميركية، حيال الداخل اللبناني نفسه. تفكّك الدولة وحضور العامل الطائفي في إحداث الانقسامات أو في تغذيتها، شكّلا فرصة للرهان على خلق توترات سياسية وأستقطابات طائفية موجّهة، بالدرجة الأولى، ضدّ «المقاومة الإسلامية» ونشاطها ضدّ العدوّ الصهيوني. اقترن ذلك بجهد كبير ومباشر لتغذية الأزمة الاقتصادية وتفجيرها، ولتحميل المقاومة مسؤولية النهب الشامل الذي اقترفته السلطة الحاكمة والذي أفلس الدولة والمواطنين على حدّ سواء.

كانت القوى «السيادية» التابعة لواشنطن تواكب الصراع في سوريا، منذ اندلاعه في آذار عام 2011، بالتهليل والتأييد، وصولاً إلى المشاركة والدعم المباشرين. غذّى ذلك رهانٌ شديد التفاؤل بإمكانية إسقاط السلطة القائمة واستبدالها بسلطة تدين بالولاء لواشنطن ولحلفائها وأتباعها العرب وغير العرب. وهكذا، وباستثناء دور «التيار الوطني الحر» الذي اتّخذ موقفاً طائفياً «تقليدياً» من النزوح السوري، لاذ الفريق اللبناني المتأمرك بالصمت الرهيب حيال تعاظم النزوح السوري والمخاطر التي يشكّلها عبر تداعياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية... وخصوصاً في دولة مفكّكة، وسلطة منقسمة، وخزينة مفلسة، وشعب منهوب ومستضعَف. بل إن هذا الفريق، المدمن على المواقف العنصرية والعدائية ضد الفلسطينيين والسوريين، انخرط في حملة واشنطن والغرب في الاعتراض على محاولة تنظيم عودة طوعية وآمنة للنازحين السوريين نظّمتها الحكومة اللبنانية وأجهزتها الأمنية، بإشراف الأمم المتحدة وبالتنسيق مع السلطات السورية!

إنّ القوى نفسها التي مارست الضغط وشنّت حروب «التحرير» ضدّ اللجوء والوجود الفلسطيني في كل المراحل، وصولاً إلى حرب الـ 15 سنة، قررت «بلع» نزوح مفتوح لأكثر من مليوني سوري كرمى لعيون «السيّد» الأميركي ومن ورائه العدوّ الصهيوني. هذه القوى نفسها لم تتردّد أيضاً في إعلان رفضها لاستقبال أيّ مهجّر لبناني من الجنوب أو من البقاع الغربي نتيجة الصراع مع العدوّ المحتلّ والطامع، والذي يدير حرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني. وهي أعلنت، لاحقاً، معارضتها تقديم أيّ مساعدة رسمية للنازحين اللبنانيين لتعويض بعض خسائرهم البشرية والمادية! تقدّم هذه القوى، في كل المراحل، فريق «القوات اللبنانية». أصرّت قيادة «القوات»، حتى بعد اتّضاح الطابع الجنائي لخطف وقتل منسّقها في مدينة جبيل، على أن «الاغتيال سياسي» وأن المسؤول عنه هو، تحديداً، الطرف الذي يساند الشعب الفلسطيني! بالإضافة إلى ذلك، فقد حاولت قيادة «القوات»، ورئيسها خصوصاً، استغلال عملية الاغتيال لدفع مشروعها التقسيمي خطوة جوهرية إلى الأمام: من خلال الظهور الميليشوي المسلّح والتلويح بـ«الأمن الذاتي»، والتشكيك بدور الأجهزة الأمنية وفي مقدمتها الجيش... وصولاً إلى توتير من شأنه إرباك مجمل الوضع الداخلي وطرح تحدّيات جديدة وخطيرة على المقاومة، ما يخدم، موضوعياً، حليف «القوات» (السابق)!

لا ترعى واشنطن استمرار النزوح السوري فقط، بل هي تقود خطة لاستدراج المزيد من النازحين! ما تواصله في لبنان وسوريا وفلسطين وكل المنطقة، هو مشروع هيمنة متنوّعة الأساليب والأدوات والأسماء، وموحّدة الهدف: تعزيز سيطرتها وتأبيدها على «الشرق الأوسط الكبير» الممتدّ من موريتانيا إلى باكستان، وجوهرة عقده الكيان الصهيوني.

*كاتب وسياسي لبناني

تشاس فريمان

ثمار الخلاف... سبع سنوات من العداء الصيني - الأميركي

أقامت جامعة سان فرانسيسكو ندوة عبر الإنترنت، ترأسها المحاضر في البرنامج الدراسي المخصّص «للدراسات التجارية الصينية» والرئيس السابق لغرفة التجارة الأميركية في شنغهاي، كير غيبس. الندوة خُصّصت للاستماع لمحاضرة أعدّها السفير السابق تشاس فريمان تحت عنوان «ثمار الخلاف: سبع سنوات من العداء الصيني - الأميركي». اشتهر السفير والدبلوماسي فريمان عندما رافق الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون كمترجم أول في زيارته التاريخية للصين عام 1972. وعمل بعدها سفيراً للولايات المتحدة لدى السعودية عام 1991. وعمل أيضاً في وزارة الدفاع وترأس عام 1997 «مجلس سياسة الشرق الأوسط»، ثم رُشّح لمنصب رئيس المجلس الوطني للاستخبارات في عهد باراك أوباما عام 2009 ولكنه تعرّض لحملة تشهير بسبب مواقفه المنتقدة لإسرائيل. وبحسب قوله فإن اللوبي المؤيد لإسرائيل قد نظّم هذه الحملة.

استهلّ فريمان المحاضرة بسرد ما قامت به الإدارة الأميركية في عهد الرئيس دونالد ترامب، عندما أطلقت حرباً تجارية على الصين وصفها أنها كانت «حرباً دائمة - حملة تتسع وتتصاعد باستمرار مع عنصر عسكري أثقل من أي وقت مضى، وأهداف غير محددة المدى، ولا معايير لتقييم النجاح أو الفشل، ولا استراتيجية لإنهائها». ثم ذكر فريمان الأهداف الثلاثة التي وضعتها إدارة الرئيس الأميركي الحالي جو بايدن لسياسة الولايات المتحدة تجاه الصين وهي: الاستثمار في الداخل، الاصطفاف مع الحلفاء، المنافسة مع الصين. يرى فريمان في هذه النقاط الثلاث أنها عبارة عن «خطة لإرضاء الجمهور، فهي تعتبر الصين خصماً وتغفل بوضوح أي إشارة للتعاون معها». وفي محاولة منه لتقييم ماذا أُنجز حتى الآن من الاستراتيجيتين بين إدارة ترامب وإدارة بايدن، يطرح فريمان خمسة أسئلة ويجيب عنها:

أولاً: هل أصبحنا أكثر تنافسية مقارنةً مع الصين، أم أقل؟

المقياس الأكثر أهمية وشمولاً لـ«القدرة التنافسية» هو التصنيف السنوي الذي يقوم به مركز التنافسية العالمية التابع للمعهد الدولي للتنمية الإدارية (IMD). وصنّف المعهد في عام 2002، الولايات المتحدة في المرتبة الأولى من حيث التنافسية. وفي عام 2020، قام بتخفيض تصنيفنا إلى المرتبة العاشرة. وقد تكون سياسات الصين الحالية، مثل سياستنا، ولكن في الفترة الزمنية نفسها ارتفعت من المركز 28 إلى المركز 17. يبدو الاتجاه واضحاً، وهو لا يخدم مصلحتنا. لدى الصين الآن نسبة ملحوظة تبلغ 36% من إنتاج الصناعات

> **لدى الصين الآن نسبة ملحوظة تبلغ 36% من إنتاج الصناعات في العالم، ونحن لا ننتج سوى حوالي ثلثي تلك النسبة**

في العالم، ونحن لا ننتج سوى حوالي ثلثي تلك النسبة. انخفضت وظائف التصنيع في الولايات المتحدة بنسبة الثلث منذ ذروتها في عام 1979، حتى مع ازدياد قوة العمل بنسبة 60%.

وبعيداً عن المقارنات الإجمالية، اقتصاد الصين الحقيقي يتجاوز الولايات المتحدة الآن في العديد من القطاعات. إنّ إنتاج الصين من الحبوب بلغ 700 مليون طن، أي 1,2 مرة من الإنتاج الخاص بنا. وإنتاج الطاقة الكهربائية البالغ 9,2 تريليون كيلووات هو ضعفان وثلاث مرات أكبر منا. تنتج الصين 19 مرة أكثر مما ننتجه من الفولاذ وعشرين مرة أكثر من الإسمنت. إنتاج ومبيعات السيارات في الصين أكثر بثلاث مرات. تُنتج صناعة بناء السفن في الصين سنوياً سبعين ضعف حمولتنا، وذلك يظهر في أسطول الناقلات الصيني الذي أصبح يحتل المرتبة الثانية فقط بعد اليونان وهو أكبر أسطول بحري في العالم.

أخذت الصين مكان الولايات المتحدة كالشريك الاقتصادي الأول لمعظم بلدان العالم، وأصبحت بكل وضوح أكبر دولة تجارية. تجاوزت الطاقة الشمسية المركّبة في الصين طاقة جميع البلدان الأخرى مجتمعة. تنتج منشآتها لطاقة الرياح طاقة أكثر من تلك الموجودة في البلدان السبعة التي تليها مجتمعة. وستحقق أهدافها في مجال الطاقة المتجددة لعام 2030 قبل الموعد بخمس سنوات أي في عام 2025. يساهم قطاع الطاقة النظيفة الآن بنسبة 40% من النمو السنوي للناتج المحلي الإجمالي في الصين.

لا شك أن الصين، من الجانب الاقتصادي، تتحوّل أكثر تنافسية بدلاً من أقل تنافسية مع الولايات المتحدة والدول المتقدمة الأخرى. وينعكس ذلك في نفوذها المتزايد في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، حيث كانت الولايات المتحدة تهيمن طويلاً على الاستثمارات الأجنبية ولكنها انسحبت من اتفاقية الشراكة الشاملة والتقدمية عبر المحيط الهادئ عام 2017، ما ترك فرصة للآخرين لتوسيع فرص الوصول إلى أسواق النمو الأسرع في العالم. والعام الماضي، ارتفعت الاستثمارات الصينية في المنطقة بنسبة 37% وسجّلت الصين زيادة بنسبة 14% في عقود البناء.

ثانياً: هل ما زلنا أكثر ابتكاراً من الصين؟

فقط في عام 2020، تخرّج في الصين 3,57 ملايين طالب في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات «STEM». وفي العام نفسه، تخرّج في الولايات المتحدة 820 ألف طالب، ثلثهم من الأجانب، والعديد منهم من الصين. وعلى مدى السنوات الثلاثين الماضية، سيطرت الصين على الأولمبياد الدولي في علم الأحياء، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، والمعلوماتية. ورغم أن لدى الولايات المتحدة شركات ناشئة ذات قيمة سوقية تزيد عن 1 مليار دولار أكثر من الصين، ورغم رفض الصين للرأسمالية المالية، فإن عدد رجال الأعمال الذين يملكون مليارات الدولارات هو أكثر في الصين من أميركا.

وبحسب معهد التكنولوجيا الاستراتيجية الأسترالي («ASTI's»)، فإن الصين استولت على الصدارة في 37 من أصل 44 تقنية يتابعها المعهد. وتشمل هذه التقنيات: الاتصالات اللاسلكية مثل شبكات الجيل الخامس 5g والسادس 6g، والسيارات الكهربائية، وبطاريات تخزين الطاقة، والتكنولوجيا المالية، والاتصالات الكمية، والأنظمة الفائقة لسرعة الصوت، والروبوتات، والهيدروجين الأخضر، وتكنولوجيا الاندماج النووي، والطاقة المتجددة. وعلى الرغم من جهودنا لمنع الصين من الوصول إلى أشباه الموصلات المتقدّمة (semiconductors)، إلا أنها لا تزال تتساوى مع الولايات المتحدة في تطوير الذكاء الاصطناعي وأجهزة الكمبيوتر الفائقة.

أمّا التميّز المتواصل لأفضل جامعات أميركا، فإنه يُخفي القصور المتزايد في التعليم الأميركي على مستوى المدارس الابتدائية والثانوية. يضع التصنيف الأخير الصادر عن برنامج تقييم الطلاب الدوليين «PISA» الصين وسنغافورة في المقدّمة، مع الولايات المتحدة في المركز 22. ويذكر تقرير بعض الشركات الألمانية أنها تحتاج إلى إعطاء خرّيجي المدارس الثانوية الأميركية نصف عام من التعليم التكميلي لرفع مستواهم إلى مستوى نظرائهم الألمان. وبالإضافة إلى تعثر جهود الشركات التايوانية والكورية في إنشاء مصانع أشباه الموصلات المتقدّمة (semiconductors) في الولايات المتحدة بسبب النقص في اليد العاملة الماهرة.

يقوم عددٌ متزايد من الأميركيين من أصل صيني، ممّا يعدّون من أبرز العلماء والرياضيين والأكثر ابتكاراً، بالانتقال إلى الصين وذلك رداً على التحرش الذي يعتقدون أنهم يتعرضون له من قبل وكالات الأمن القومي الأميركية. نحن في خطر إعادة إنشاء «الذعر الأحمر» الذي أدى في الخمسينيات من القرن الماضي إلى رحيل تشيان شوشن، مهندس الطيران والسايبر في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، إلى الصين، حيث أصبح واحداً من آباء ومؤسّسي برامج الصواريخ البالستية العابرة للقارات وبرامج الفضاء في الصين.

ثالثاً: ما هو الدليل على «مرونة» الولايات المتحدة و«القوة المستمرة للديموقراطية الأميركية»؟

يبدو أن كلاً من الصين والولايات المتحدة تعانيان من النسخة الاقتصادية ذاتها من ما يُعرف بـ«كوفيد طويل الأمد». ولقد لجأت الولايات المتحدة إلى الإنفاق الهائل بالاستدانة للتعافي بشكل أسرع من الصين. ومع ذلك، وعلى الرغم من تبني واشنطن لسياسات الحماية التجارية، والدعم، والسياسات الصناعية، لم ينتج عن انتعاشنا «إعادة التوزيع» المقصودة للإنتاج الخارجي من قبل الشركات الأميركية.

هناك زيادة طفيفة في الوظائف الصناعية، وعلى الرغم من الموجة الضخمة للهجرة غير الشرعية من قبل الأفراد الذين لديهم رغبة عالية في إيجاد عمل، إلا أن العديد من الوظائف في الولايات المتحدة لا تزال شاغرة. ارتفعت أسعار الإيجارات، وكذلك أسعار الفائدة على بطاقات الائتمان. أمّا الارتفاع في الأسعار، فهو أكثر من الزيادة في الأجور، وبالتالي نمت صفوف المستائين. في الوقت نفسه، الضغط الأميركي على الصين جعلها تصبح أكثر قومية وقمعية، لذا تحولت إلى مكان أقل جاذبية مما كانت عليه. لقد قلّصت الصين «القوة الناعمة»، ومع ذلك، فإن سياستها ليست في أزمة. ولكن سياستنا في أزمة. يبدو أننا لا نستطيع وضع الاستراتيجيات وتنفيذها. ولكن يمكن للصين فعل ذلك. يمكن وصف الديموقراطية الأميركية الآن بأنها متدهورة ومحبطة. الحديث السعيد عن «القوة المستمرة للديموقراطية الأميركية» ليست له مصداقية سواء في الداخل أو في الخارج.

رابعاً: هل الأميركيون «مصطفون» مع الحلفاء والشركاء تحت إطار قضايا واسباب مشتركة؟

لقد قامت الولايات المتحدة بإجراءات مختلفة من جانب واحد، جميعها تمّت إدانتها من قبل الصين وغيرها من القوى الصاعدة، وبالكاد تسامح معها حلفاؤها. ومن بين هذه الإجراءات الأميركية:

استخدام القوة من قبل الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي لانتزاع كوسوفو من صربيا في عام 1999 في انتهاك واضح لميثاق الأمم المتحدة. اللجوء إلى الاختطاف والتعذيب والاحتجاز لأجل غير مسمى دون محاكمة في غوانتانامو كجزء من الحرب العالمية على الإرهاب» الأميركية منذ عام 2001. غزو الولايات المتحدة المخطط له من جانب واحد واحتلال العراق عام 2003. عملية تغيير النظام التي قام بها «الأطلسي» والولايات المتحدة في ليبيا عام 2011 ثم التخلي اللاحق عن تلك البلد وتركه للفوضى والخراب. العمليات الأميركية المدمّرة لتغيير النظام في سوريا منذ عام 2011. الدور الأميركي العلني في الانقلاب الأوروبي الميداني عام 2014 الذي أطاح بالحكومة المنتخبة في أوكرانيا واستبدلها بأخرى تخضع لمصالح أميركية استراتيجية. القصف الأميركي المتكرر، من جانب واحد، لقوات الحكومة والمرافق في سوريا منذ بداية عام 2016، والاحتلال العسكري الواضح للأراضي السورية ونهب احتياطيات النفط السورية منذ عام 2017. الانسحابات الأميركية الأحادية الجانب من معاهدات الحد من التسلح وعدة اتفاقيات متفاوض عليها مع دول أخرى (على سبيل المثال، الاتفاق النووي مع إيران)، على الرغم من تأييد مجلس الأمن لها وبعد أن أصبحت جزءاً من القانون الدولي. التخلي التدريجي عن شروط التطبيع الصيني-الأميركي، من خلال الانحياز مرة أخرى في الحرب الأهلية الصينية، والحفاظ على علاقات مع تايبه، واستعادة وجودنا العسكري في تايوان، وتجديد التزامنا العلني بالدفاع عن الجزيرة. مقاومة المطالب المتكررة للحكومة العراقية بانسحاب القوات الأميركية والقيام بانتهاكات متكررة للسيادة العراقية، على سبيل المثال، اغتيال أعداء الأميركيين على الأراضي العراقية. على الرغم من تحريضات الأدميرال كيربي وغيره من المتحدثين باسم الإدارة، فمن المستحيل التوفيق بين الدعم الأميركي للإبادة الجماعية التي ارتكبتها إسرائيل في غزة، والهجمات على المؤسسات الدبلوماسية لبلدان أخرى، والمذابح ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة، أو الاغتيالات العشوائية لخصومها السياسيين، بغضّ النظر عن القوانين الدولية وأبسط مبادئ الكرامة الإنسانية.

الفشل الأميركي المستمر منذ عقدين في أفغانستان، والدبلوماسية الأميركية غير ذات الكفاءة التي أثارت الغزو الروسي لأوكرانيا عام 2022، والتمكين الأميركي الحالي لحرب الإبادة الجماعية الإسرائيلية على الفلسطينيين المدانة عالمياً، قد جمعت رؤية سلبية للغاية عن الولايات المتحدة خارج الغرب. أصبحت الولايات المتحدة معزولة تماماً الآن في العديد من القضايا. توضح التصويتات الأخيرة في الأمم المتحدة ذلك. 187 صوتاً مقابل 2 فقط ضد الحصار الأميركي على كوبا، و153 صوتاً مقابل 10 فقط ضد معارضة الولايات المتحدة على وقف إطلاق النار في حرب إسرائيل على الفلسطينيين. تعود الاعتراضات على التصرفات العنيفة للولايات المتحدة إلى عدم قدرة واشنطن على حشد الدعم لحرب «الناتو» بالوكالة مع روسيا بشكل أعضاء مجموعة «البريكس» المتنامية بسرعة، التي تتألف حالياً من البرازيل والصين ومصر وإثيوبيا والهند وإيران وروسيا والمملكة العربية السعودية وجنوب أفريقيا والإمارات العربية المتحدة، حوالي 45% من سكان العالم ونسبة متزايدة من الناتج المحلي الإجمالي للعالم (حوالي الثلث). في المقابل، تشكل مجموعة الدول السبع حوالي 9% من سكان العالم وتولد نسبة متناقصة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي (الآن هي أقل من 30%). ومع ذلك، فإنّ القوى الاستعمارية السابقة لمجموعة الدول السبع لا تزال تمتلك 60% من ثروة العالم. لدى أعضاء «البريكس» مصالح وطنية متباينة، لكن المشترك بينهم هو رفضهم لما يعتبرونه تنمراً واستخفافاً بآرائهم من قبل الولايات المتحدة وغيرها من أعضاء «الأطلسي» ومجموعة السبع.

خامساً: هل نقدم «رؤية للمستقبل» من شأنها ان تعزز مطالبتنا بالقيادة العالمية على حساب الصين وغيرها من الدول؟

بصراحة، ليس من الواضح ما هي «رؤية المستقبل» التي تعنيها الولايات المتحدة لبناء الآخرين غير استمرار سيادتنا العسكرية العالمية. التحديات الصينية لمكانتنا العالمية تكون في المقام الأول اقتصادية ودبلوماسية، لا عسكرية. لكن إجابات واشنطن على هذه التحديات تكاد تكون عسكرية بالكامل لا اقتصادية أو دبلوماسية. سوف تهاجم الصين الولايات المتحدة فقط إذا هاجمناها. وبالتالي، ستكون حرب الولايات المتحدة مع الصين حرباً اختيارية، ليست ضرورية. الأمر متروك لنا تماماً لنقرر ما إذا كان ينبغي لنا المخاطرة بمثل هذا الهجوم من خلال التدخل في الحرب الأهلية الصينية غير المكتملة لضمان استمرار فصل تايوان عن بقية الصين، أو عن طريق تصعيد دعمنا العسكري للمطالبين غير الصينيين بالصخور والشعاب المرجانية المتنازع عليها في بحر الصين الجنوبي والشرقي.

تعتمد الدبلوماسية الناجحة على فن الحكم الذكي الميسور التكلفة. وفي هذا السياق، أصبحنا أعداء أنفسنا. الانقسام السياسي والعجز يعطّلان عملية الإقرار في مجلس الشيوخ. لا تزال مناصب عدة مهمة على مستوى السفراء في عواصم أجنبية شاغرة، وأحياناً تبقى كذلك لسنوات. بينما تحافظ الصين على بعثاتها الدبلوماسية مكتملة العدد بشكل دوري. على مدى العقد الماضي، عانت وزارة الخارجية والسلك الخارجي الأميركيان بشكل كبير من تخفيضات في الميزانية. في المقابل، خلال نفس الفترة، تضاعف إنفاق الصين على السلك الدبلوماسي. الصين لديها الآن تمثيل دبلوماسي في أماكن في الخارج أكثر من أي دولة أخرى بما فيها بلدنا. وفي الوقت نفسه، نلجأ مراراً وتكراراً إلى استخدام القوة بدلاً من الحوار الدبلوماسي للتعامل مع الأراضي الأجنبية. وهذا يثبت أنه مكلف للغاية وغير فعال. علينا إعادة اكتشاف مزايا التعامل السلمي والتعايش مع الدول والشعوب الأخرى، بما في ذلك الصين.

إعداد وترجمة: كريم الأمين

البلاد

النكبة الفلسطينيّة والهيمنة الدوليّة

منير شفيق

شكّلت نكبة فلسطين في عام 1948/ 1949 مرحلة فاصلة في الوضع العربي والإسلامي، لا يقلّ في خطره عن نهاية الحرب العالمية الأولى، ولا سيما بالنسبة إلى الأمة العربية. وقد تكرّست بعدها تجزئة البلاد العربية إلى 22 قطراً أو جزءاً، ما شكّل، ويشكّل، أخطر عائق لنهضتها.

وجاءت إقامة الكيان الصهيوني تكملة لهدفي الاستعمار البريطاني - الفرنسي - الأميركي، الذي تحدّد منذ عام 1840. وذلك خلال هنري بالمرستون، وزير الخارجية البريطانية، الذي قاد الحرب الأوروبية التي أطاحت بجيش محمد علي الكبير. وتقرّر على إثرها ضرورة «إقامة حاجز بشري» يفصل «مغرب» البلاد العربية (أساساً مصر) عن «مشرقها». ومن ثم اختير أن يتألف هذا الحاجز من خلال إقامة كيان يهودي، وتعزيزه عسكرياً. وهنالك من يضيف إلى هذه الاستراتيجية، هدف حلّ المسألة اليهودية بالتخلّص من اليهود (هذا دافع جزئي كان موجوداً في حينه).

أمّا الهدف الثاني، فكان تجزئة البلاد العربية في ظل الهيمنة الغربية على كل العالم الإسلامي، بهدف استتباعه وتفكيكه، لإضعافه من خلال الهيمنة العسكرية، وتدمير بنيته الإسلامية، دينياً وحضارياً، وأنماطاً اجتماعية. وهذا الهدف المزدوج (الإسلامي - الغربي) تقرّر رسمياً في مؤتمر كامبل بنرمان عام 1905 - 1907.

إقامة الكيان الصهيوني من خلال القوة العسكرية في عام 1948/ 1949، تمّ عبر سيطرة بريطانيا عسكرياً على فلسطين من 1917 إلى 1948. وقد أمّنت هذه الحماية مئة ألف جندي بريطاني، وهجرة حوالي خمسمئة ألف يهودي مستوطن، تجمّعوا من عشرات البلدان.

هذا أمّن قرار التقسيم الرقم 181 لعام 1947، الصادر عن هيئة الأمم المتحدة، «الشرعية» الدولية لهذه المخالفة المشهودة للقانون الدولي، وحتى لميثاق هيئة الأمم المتحدة. لأن القانون الدولي الخاص بالمستعمرات يقضي بأن الشعب الذي كان يسكن البلد الذي تمّ احتلاله، يعتبر صاحب الحق الحصري في تقرير المصير، بعد رحيل الاستعمار. أمّا ميثاق هيئة الأمم المتحدة، فلا يعطيها حق تقرير مصير أيّ بلد أو شعب في العالم، لأن شعبه هو صاحب الحق في ذلك.

من هنا، أقيم الكيان الصهيوني بالاعتماد على قرار (توصية) باطلة من الهيئة العامة للأمم المتحدة. وكذلك قامت عضويته على باطل قانوني - ارتبط بتنفيذ الكيان الصهيوني الانسحاب من الأراضي التي احتلّت في الحرب، زيادة عمّا قرّره التقسيم. وكان حجمها 24% زيادة. وكذلك تنفيذ إعادة الفلسطينيين الذين هجّروا قسراً في حرب 1948 - 1949. ولكنه بعد حصوله على العضوية، لم ينفذ تعهده الذي اشترط قبول عضويته. وبهذا يكون الكيان الصهيوني فاقداً لشرعية حق الوجود، وحق إقامة دولة أو كيان، من وجهة نظر القانون الدولي وميثاق هيئة الأمم المتحدة. هذا طبعاً إلى جانب فقدانه الشرعية، أن يدخل فلسطين تحت حراب الاستعمار، الذي يحرم القانون الدولي عليه إحداث أيّ تغيير سكاني (ديموغرافي) أو جغرافي، في المستعمرة التي احتلّها وأخضعها لهيمنته. فلسطين كانت عربية - إسلامية، قبل إقامة الكيان الصهيوني بحوالي 1400 عام. وهذا التاريخ يكاد يفوق تاريخ أغلب الشعوب التي تشكّل دول العالم.

ثمة مجموعة من الملحوظات يجدر تناولها بمناسبة النكبة، مثلاً:

1- أشيع أن الفلسطينيين باعوا أراضيهم لليهود، علماً أن كلّ ما امتلكه اليهود في فلسطين في عام 1947 بلغ 6% وفقاً للإحصاءات البريطانية، وكان أغلبها من أراضي «المري» - الأراضي المشاع العامة، التي يمتلكها الشعب الفلسطيني. ولا يحقّ لسلطات الانتداب منحها للمستوطنين.

2- ثمة شائعة تقول إن الفلسطينيين والعرب أخطأوا لعدم اعترافهم بقرار التقسيم. ومن ثم إقامة دولة فلسطينية كما يقضي قرار التقسيم الرقم 181 لعام 1947، والذي أعطاهم 46% من فلسطين. فهل هذا الادّعاء يحمل أيّة درجة من المعقولية، بالرغم من إجحافه الصارخ بحقّ الفلسطينيين الذين يملكون 94% من الأرض، وتعدادهم حوالي 1400 عام. وهذا التاريخ يكاد يفوق تاريخ أغلب الشعوب التي تشكّل دول العالم.

> **كان من المحال ان تطأ اقدام الغزاة الصهاينة فلسطين لولا السيطرة الاستعمارية عليها من 1917 إلى 1948**

سيكونون الأغلبية بعد بضع من السنين، وثانياً لأنهم، أي العرب، يمتلكون أكثر من 90% من الأرض المخصصة لإقامة الكيان، في ذلك الجزء.

ثم أضف امتلاك القوة العسكرية الكاسحة، والتأييد الدولي الكاسح بيد الوكالة اليهودية، التي استطاع جيشها أن ينتصر عسكرياً، على سبعة جيوش عربية (جيوش اسماً)، وبهجّر الفلسطينيين الذين جرّدهم الاستعمار من السلاح، تماماً، وأعطى سلاحه قبل أن يرحل لجيش الهاغاناه (الجيش حرام وطنياً ودينياً ومصلحة عليا، وبلا حقّ). والأهم، ما كان من الممكن أن يقبل الكيان الصهيوني، أو الدول الكبرى، تنفيذ قرار التقسيم الذي أرادوا منه إعطاء «شرعية» لإقامة «دولة إسرائيل»، وليس التنفيذ. لأن الحصة التي أعطيت لإقامة «الدولة اليهودية» كان سكانها العرب حوالي 48% منها، أي كانوا

3- وثمّة شائعة أخرى أخذت تبالغ بدور الحركة الصهيونية، وما قامت به من دور عالمي، وفي الحرب في عملية إقامة الكيان. هذا الرأي في الواقع وهمي لأنه كان من المحال أن تطأ أقدام الغزاة الصهاينة فلسطين لولا السيطرة الاستعمارية عليها من 1917 إلى 1948 – ولولا تجريد بريطانيا الشعب الفلسطيني من السلاح، والتحكم بتسلح وسياسات الدول العربية، التي كانت تحت السيطرة البريطانية والفرنسية، إمّا مباشرة وإمّا بمعاهدات وهيمنة.

ولهذا، يجب أن يعتبر أنّ قيام دولة الكيان الصهيوني قدّم على طبق من فضة للحركة الصهيونية، التي ما كانت لتقوم لولا الحماية البريطانية – الفرنسية – الأميركية والمساعدة السوفياتية بتمرير قرار التقسيم وحتى في التسليح (صفقة تشيكية من السلاح) عام 1948.

أمّا ما فعلته تلك الدول المسيطرة على العالم، وعلى الدول العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية، من تسليح للكيان الصهيوني في الخمسينيات وحتى اليوم، فلا جدال عليه أو تشكيك فيه. ولهذا، فإننا حين نسمع اليوم بعض الأصوات الشاذة في الكيان الصهيوني التي تدّعي أنها تستطيع أن تستغني عن الدعم الأميركي – الغربي، ندرك كم هي جاهلة وسخيفة. فالكيان الصهيوني من الألف إلى الياء، صناعةً غربيّة، وجزء عضوي في الغرب. وعندما يصبح الوضع الدولي عاجزاً عن حمايته يتشكّل أحد شروط رحيله.

البلاد

فلسطين بين المحو والموت: في المقاومة الدائمة

خليل كوثراني

«أنا أموت، إذا أنا موجود» – عبد الرحيم الشيخ

دائماً ما كان سؤالُ فلسطين، على ضفّة أنصارها، سؤالَ الوجود/ الإبادة. من هنا رأى البعض أن أوّل انتصار يسجّل في المسألة يكون بمجرّد تَبنّي «العالم» (اقرأ: الغرب) لهذا السؤال، على اعتبار أنّ الصراع، في شقّ مركزيّ منه، هو صراعٌ على «الرواية». والحقيقة أن الصراع تجاوز مسألة «الرواية» كما كانت عليه عند رفع الحركة الصهيونية للشعار الذي روّجه الكاتب اليهودي الإنكليزي

يُشتمّ من استعجال النقاشات العربية حول النصر والهزيمة - والحرب لمّا تضع أوزارها بعد، وبناء على معيار التضحيات حصراً - تجديد للدعوة إلى اعتناق «خطاب الهزيمة»

إسرائيل زانغويل: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» (أطلقه القس الأميركي وليام بلاكستون، 1888، وقبله، بعبارات مشابهة، الإنجيلي البريطاني اللورد أنتوني أشلي كوبر، 1839).

لقد تراجعت أهمّية السرديّات التاريخية، على الأقل منذ أطاح «المؤرخون الجدد» في إسرائيل بالتاريخ الرسمي لاستقلال/نكبة 1948، عبر إعادة نشر الخطة «دالت» ووثائقها، وبالأخص عندما انتهى شيخهم بني موريس إلى خلاصته المكثّفة مطلقة الصراحة: «(كان) لا بدّ من تكسير البيض لإعداد العجة». في تبرير لضرورة التطهير العرقي لقيام كيان يهودي صرف. وهو مستجدٌّ يوجب منح أولوية على رواية الحدث المؤسس (النكبة) - فضلاً عن مصالح الاستعمار والهيمنة - لمصلحة مقولات وتوظيفات من مثل أيديولوجية «أرض الميعاد» المحرّكة للتواطؤ الغربي مع سياسات الاستيطان والعنصرية وحجج «الضحوية» (Victimhood)، كما يسمّيها نورمان فنكلستين). تتجلّى الصفاقةُ الغربية في اعتمادها الصهيونية عند مراجعة مقولة آرثر بلفور: «والصهيونية سواء أكانت محقة أم مخطئة، جيدة أم سيئة، فهي متأصلة في تقاليد راسخة، وحاجات معاصرة، وآمال مستقبلية لها أهمية أكثر بعداً وعمقاً من رغبات وتعصّبات 700 ألف عربي يعيشون الآن في تلك الأرض العتيقة». هذا الوضوح الصهيوني في الاعتراف والإقرار برواية النكبة وتداعياتها الحيّة والماثلة والمتناسلة («النكبة المستمرة» وفق تطوير الياس خوري لمصطلح قسطنطين زريق - راجع: «النكبة المستمرة»، دار الآداب 2024)، نعثر له على ديمومة وتجسّد سياسي في موقف اليمين الإسرائيلي الحاكم اليوم، وقد بلغ ذروته في تصويت الكنيست قبل أسابيع على قرار بنيامين نتنياهو رفض قيام دولة فلسطينية. وعليه، هذه أفصح مرحلة لحرب الإبادة حيث الصراع في فلسطين يأخذ شكل تنازع الطرفين الوجود كاملاً، أرضاً وهوية، بلا مساحيق التقسيم البائخة.

هي، إذاً، الإبادة المستمرة للوجود الفلسطيني. والإبادة، في تعريفها بالقانون الدولي حسب اتفاقية منع الإبادة الجماعية، لا تعني، في المناسبة، كما قد يظن البعض، قتلَ جميع السكان على أساس عرقي، إنما يكفي أن تشتمل على أفعال التدمير، كلياً كان أم جزئياً، أكان مادياً أم روحياً، للجماعة، وعليه، فإنّ ضروباً ممّا نسمّيه «المحو» داخلةٌ فيها أو مقدّمةٌ لها.

تتوسّل الإبادة في الاستعمار الصهيوني فعلَ المحو لأشكال الوجود الفلسطيني وحضوره وحرّيته، كما نراه - على سبيل المثال - في السياسات العمرانية المتعمّدة للإخفاء بالضفة الغربية المحتلة؛ حيث في إمكان المستوطن أن يجول كيلومترات عدة دونما أن يتعثّر بحضور ما لمئات الآلاف من العرب من حوله. طيفٌ واسعٌ من السياسات يواجهها الفلسطيني، قائمةٌ في جوهرها على لون واحد من الإرادة الاستعمارية إيّاها: محو وجود المستعمَر كممرٍّ حصري لوجود المستعمِر. نتذكّر هنا مقولة بن غوريون الصريحة أيضاً: «تماماً مثلما لا نعترف بحق الملكية السياسية للعرب في الأرض، لا نعترف أيضاً بحقهم في الملكية الروحية وبأسمائهم». وفي دراستها المعنونة «المحو والإنشاء في المشروع الاستعماري الصهيوني» (مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 96، خريف 2013)، تستعين هنيدة غانم بجذور في التراث الديني لتوصيف «المحو»: لعنة «يماح شمو فزخرو» التي تطلق على الغوييم (الأغيار) والتي تعني «لِيُمحَ اسمُه وذكرُه».

لكن، في الأثناء، وإذ نشهد تنازع الوجودين، الإسرائيلي والفلسطيني، وحيث الأخير المراد محوه موجود واقعاً، بشكل أو بآخر، لذا لا تكفي أحياناً سياسات إبادويّةٌ موارِبة، كالسيطرة والتحكّم والفصل العنصري، لإزاحة حضوره، ولا سيما حيث يقرّر هذا الفلسطيني تأكيد وجوده أو رفض الخضوع للتغييب والمحو، عندها يحتاج الاحتلال إلى عنف الإبادة العارية - إلى محو الأجساد: الإماتة، السجن، التهجير. وقد سبق واعتبر إدوارد سعيد، في قراءة أدبية، الصراع صراعاً على «الحضور والتأويل» (جدليّة «شرعية الحضور والبقاء» الفلسطيني مقابل «لا-شرعية التأويل والغياب»)، وما حصل أنّ الصراع استمرّ على أرض الواقع، إذ إن المحو لم يتحقّق بتمامه، لا بل إنّ الفلسطيني نهض ليرفع سقف تحدّيه لمستعمِره إلى أفق «محو المحو».

يلاحظ إسماعيل ناشف (أنظر دراسته: «صور موت الفلسطيني») أنّ الموت الفلسطيني «الفردي الساعي في جماعته» يختصّ بأشكال ثلاثة: «الضحية»، و«الشهيد/الشهيدة»، والاستشهادي/الاستشهادية». وفي هذه الأشكال الثلاثة ثمّة مواجهة مع عملية المحو/الإبادة تبدأ نتائجها - في حدها الأدنى - بإعادة تعريف هذا الموت للفلسطيني. نحن هنا، ثم، أمام مقاومة مستمرّة أيضاً، أو «مقاومة دائمة» بحسب النبوءة الصادقة لمعين بسيسو عن واقع غزة. ولعل هذا السياق هو ما يخصّص الموتَ الفلسطيني في أن يكون «أكثر كلفةً من غيره» كما يقول الأستاذ منير شفيق.

وفي طبيعة هذه المقاومة يكمن الفارق بين تحقّق المحو بالموت والموت كدالّ على محو المحو: أنّ مسألة فلسطين نجحت في أن تفارق مآلات الاستعمار في أميركا الشمالية، لأنّ الموت هنا، بشقّيه المادي والرمزي، لا يعني سوى توكيد الحضور - ينقلب تثبيتاً للوجود طالما أنه يجري مجرى مقاومة صنوف المحو. رسّخ الفلسطيني ذلك في ثورته في 1965 وطوفانه في 7 أكتوبر 2023 وما بينهما من محطات متّصلة، على نحو صعّب على العالم تجاهل وجوده (ما كان، من دون هذه المقاومة، زخماً أو أثر يذكر للتاريخ والتوثيق).

لم تنجح حرب السابع من أكتوبر في مواجهة الإبادة الصهيونية المستمرة على الأرض ولاأصلانيين فحسب، بل هي استطاعت، هذه المرة، أن تهزّ، عبر الاستقطاب الحاد، الأخطبوط الصهيوني المتمدّد في صروح المعرفة والثقافة والسياسة والإعلام على الساحة العالمية. لا بل إنها، بتظهير الانقسامات اليهودية حول العالم، نجحت في مواجهة «محو اليهود»، إذا ما استعرنا عبارة الزميل ربيع بركات (في الإمكان اعتبار «محو اليهود» سابقاً على ممارسات اليوم ضد اليهود المناهضين للصهيونية أو أن الأخيرة استمرارٌ له فالصهيونية اليهودية، بداية مشوارها في القرن الـ19، عملت على مصادرة عقيدة اليهود وتطويعها لمصلحة الصهيونية غير اليهودية، أي أيديولوجية «أرض الميعاد» وفق نسختها لدى بعض الفرق الإنجيلية والبروتستانتية في العالم الأنغلوساكسوني).

هذا ما ينبغي أن يُلحظ قبل أي حسبة للنصر التام والهزيمة الصرفة، علماً أنه يُشتمّ من استعجال النقاشات العربية حول النصر والهزيمة - والحرب لمّا تضع أوزارها بعد، وبناء على معيار التضحيات حصراً - تجديد للدعوة إلى اعتناق «خطاب الهزيمة».

إنّ في اختبار الموت الدائم فلسطينياً نتبيّنُ الخيط الرابط بين 15 أيار و7 أكتوبر، لكننا، بملاحظة الفارق بين موقعي طرفي الصراع في التاريخين، ندرك أن الموت الفلسطيني لا يتشابه تماماً:

الموت تحت خط آيار 1948 كان تجلياً لقرن التراجع العربي، بينما الموت تحت خط أكتوبر 2023 هو فاتحةٌ على مستقبل عربي وكاشفٌ عن تبدّل الواقع وموازين القوى من حولنا - هو إثبات الفلسطيني على مستوى الجماعة، ولو بالموت الفردي مجدداً، أن مسألته غير قابلة للمحو. وشتّان بين المحو والموت.

في هذه الحملة لن تكون هناك صورة للنصر، على غرار التلويح بالعلم الأميركي في هيروشيما في الحرب العالمية الثانية، ولا مشاهد مثل تلويح يوسي بن حنان (الجندي الإسرائيلي) ببندقية كلاشينكوف في قناة السويس نهاية حرب الأيام الستة، ولا حتى مثل صورة ياسر عرفات الذي اضطر للإبحار من مرفأ بيروت إلى تونس بعد حرب لبنان الأولى».

وفي إجابته على «ما سيناريوهات الخروج من الحرب» يقول إنه «في الطريق إلى اليوم التالي [ما بعد الحرب] هناك مخرجان، وفي الوقت الحالي نرفض [حكومة إسرائيل] اتخاذ قرار، وبسبب الخلافات التي تمزّق المجتمع الإسرائيلي، لا يفهمون أن عدم اتخاذ قرار هو أيضاً قرار بحد ذاته. أحد طرق الخروج من الحرب، الذي أعتقد أن محصّلته هي إسرائيل يهودية ديموقراطية، ذات أغلبية يهودية. هذا الطريق طويل، وقد يستمر 40 عاماً، وسيتطلب منا تقديم تنازلات واتفاقات عن مبنى. وإذا مضينا على هذا النحو، فإن الدول العربية الموقعة على "مبادرة السلام العربية" وكذلك الديموقراطيات الغربية، ستكون إلى جانبنا. أعتقد أن هذا الطريق يقودنا إلى إسرائيل آمنة ويهودية وديموقراطية. أمّا الطريق الثاني فهو الذي يتبعه من يعتقدون خطأً أن الاحتلال يقود للأمن، وغيرهم ممن يعتقدون أنه لا بحق لنا التنازل عن أي من أرض إسرائيل، حتى لو اقتضى ذلك خوض حرب لا نهاية لها. ومن وجهة نظري، فإن هذا التصور لا يعترف بالواقع. وهو مسار يقود إلى دولة واحدة، في منطقة يعيش فيها حاليا 7 ملايين يهودي و7 ملايين عربي. وهذا واقع سيفقد إسرائيل هويتها اليهودية الديموقراطية وبعيدنا إلى الثورة العربية الكبرى في الثلاثينيات...».

صحيح أن نظرة أبالون فيها ما هو مرتبط بالإقليم وحلفاء الاحتلال، لكن الأساس في كل ما يحصل هو قدرة الفلسطيني على الصمود أولاً وعلى الهجوم ثانياً. وحتى الآن تسير خطة المقاومة على مبدأ استنزاف جيش الاحتلال، وبالتالي لن يستطيع البقاء في غزة. وعلى الرغم من الكلفة البشرية والمادية إلا أن الكلفة الاستراتيجية ستكون أكبر على الاحتلال. يكفي ألا تُرفع الراية البيضاء حتى تُرفع شارة النصر قريباً.

شعب لم ينهزم... ينتصر

زاهر أبو حمدة

تطلب الجدة رفع صوت المذياع وهو يلقي نشرة الأخبار. هي فقدت بصرها قبل فترة، لكنها تُصر على سماع ما يحدث في غزة. يفيد الخبر الأول: «الجيش الإسرائيلي يطلب من سكان شرق رفح إخلاءها فوراً». تشير الجدة: «صار معنا الاثني نفسه أيام البلاد وبالاجتياح». هي تقصد نكبة 1948، واجتياح لبنان 1982. لا تعرف موعد ولادتها تحديداً، لكنها تقول إن اسمها مرتبط بيوم في ذاك التاريخ: «كان الطقس ثلجاً وجبل الشيخ قدام أهلي أبيض فسُمّوني ثلجة»، اسم غريب لكنها محبّة الجمال الفطرية. هذه الجدة خاضت كل الحروب الفلسطينية، وأيامها عكس اسمها، تسخر من ذلك: «اسمي ثلجة، وأنا سمرة، وسنيني سودا، بس قلبي أبيض». وكل من يراها يسألها عن الماضي، لكن في بُرهة حزن وابتسامة حضر سؤال المستقبل: «غزة لوين يا حجة؟».

فجأة، يرتفع صوتها: «منتصرين غصب عن رقبتهم». والاستفسار البديهي: كيف ذلك؟ تؤكد: «طالما في رصاص حنتنصر... أيام البلاد لو كان في رصاص ما طلعنا».

■■■

في زقاق ضيق داخل عين الحلوة، طفل يصارع آخر من دون دماء. تتوسط لحل المشكلة: «شو القصة يا شباب؟»، يجيب الضحية بعفوية: «أخذ الكوفية مني»، «طيب، ولي أخذتها؟»، يجيب: «هو ليس أبو عبيدة قبل شوي... الآن دوري...». بعد حل المشكلة، تسألهما: «لي بدك تصير أبو عبيدة؟». الإجابة الأولى: «عشان أطفال غزة». الإجابة الثانية: «عشان أضرب نتنياهو».

في خلفية المشهد ملصق على الحائط فيه صورة لياسر عرفات كُتب تحتها: «سيرفع شبل من أشبال فلسطين أو زهرة من زهرات فلسطين علم فلسطين فوق أسوار القدس الشريف».

■■■

لا يُعرف تماماً، إذا كانت الأرض تشعر بأهلها أو تعرف كم من دماء سالت لحمايتها أو استعادتها. لكنّ أهلها يدركون أهميتها، لكن الاحتلال لا يتعامل مع الفلسطينيين كشعب، إنما كمكوّنات متعددة منفصلة. وهذا ما عبّر عنه عامي أيالون، أحد الرؤساء السابقين لجهاز «الشاباك»: «هناك اعتقاد إسرائيلي خاطئ يفترض أن الفلسطينيين ليسوا شعباً، وإذا سمحنا لهم بالرفاهية الاقتصادية فإنهم سيتخلون عن حلم الاستقلال. وفي نهاية المطاف، فإن الفلسطينيين شعب. وهم مستعدون للقتال والموت من أجل استقلالهم». وبالتالي، هذا الشعب، على الرغم من تعرّضه لضربات قاتلة منذ ما قبل النكبة حتى «طوفان الأقصى»، لم يرفع الراية البيضاء. وهكذا الأجيال ترث المأساة وكذلك الحلم والبندقية. وإذا ما نظرنا إلى النكبة والنكسة وأحداث الأردن واجتياح لبنان، وصولاً إلى الانتفاضات والهبّات المتلاحقة، نجد أن الاستسلام ليس وارداً في قاموس الشعب.

لا بل إنّ الانتقال إلى الهجوم في «سيف القدس» 2021، و«طوفان الأقصى» 2023، يشير إلى أن «البُعبع الإسرائيلي» يعاني أكثر، والمشروع الصهيوني يقترب من النهاية. هذا قاله صراحة الرئيس السابق لشعبة الميزانيات في جيش الاحتلال يارون أرياف، في مؤتمر طارئ للسياسة والاقتصاد والمجتمع في إسرائيل: «نحن نشهد تدمير المشروع الصهيوني. هذا هو تدمير قيمة دولة إسرائيل»، مضيفاً: «لقد تحوّلنا من دولة ناشئة ونموذجية، إلى دولة مُصابة بالجذام وقدرة ومنبوذة وفاحشة وخطيرة». هكذا الدماء الفلسطينية تُنهي مشروعاً مدعوماً غربياً. وإذا كانت الولايات المتحدة ترى في مدمّراتها وإمداداتها طوق نجاة للقاعدة الاستيطانية (إسرائيل)، فهذا لن يحصل.

في أثناء حصار بيروت 1982، جاء السفير السوفياتي الكسندر سولداتوف، وقال لياسر عرفات: «اخرج من بيروت»، ردّ عرفات: «كيف أخرج؟». أجابه: «اخرج على ظهر المدمّرات الأميركية»، قال عرفات مستغرباً: «أنا ياسر عرفات أخرج على ظهر مدمّرات أميركية؟»، ردّ السفير: «اخرج أنت وكوادرك، المهم المحافظة على الكوادر»، قال عرفات: «والله لو خرجت من هنا لن أطاع، فأنا لست دولة»، قال السفير: «إذاً ستؤخذ أسيراً بالشبكة»، فردّ عرفات: «إن قائداً في مدسسه طلقتان لا يؤخذ أسيراً». هذا ما رواه القائد هاني الحسن. لكن ما يرويه الطريق إلى اليوم التالي [ما بعد الحرب] هناك مخرجان، وفي الوقت الحالي نرفض [حكومة إسرائيل] اتخاذ قرار، وبسبب الخلافات التي تمزّق المجتمع الإسرائيلي، لا يفهمون أن عدم اتخاذ قرار هو أيضاً قرار بحد ذاته. أحد طرق الخروج من الحرب، الذي أعتقد أن محصّلته هي إسرائيل يهودية ديموقراطية، ذات أغلبية يهودية. هذا الطريق طويل، وقد يستمر 40 عاماً، وسيتطلب منا تقديم تنازلات واتفاقات عن مبنى. وإذا مضينا على هذا النحو، فإن الدول العربية الموقعة على "مبادرة السلام العربية" وكذلك الديموقراطيات الغربية، ستكون إلى جانبنا. أعتقد أن هذا الطريق يقودنا إلى إسرائيل آمنة ويهودية وديموقراطية. أمّا الطريق الثاني فهو الذي يتبعه من يعتقدون خطأً أن الاحتلال يقود للأمن، وغيرهم ممن يعتقدون أنه لا بحق لنا التنازل عن أي من أرض إسرائيل، حتى لو اقتضى ذلك خوض حرب لا نهاية لها. ومن وجهة نظري، فإن هذا التصور لا يعترف بالواقع. وهو مسار يقود إلى دولة واحدة، في منطقة يعيش فيها حاليا 7 ملايين يهودي و7 ملايين عربي. وهذا واقع سيفقد إسرائيل هويتها اليهودية الديموقراطية وبعيدنا إلى الثورة العربية الكبرى في الثلاثينيات...».

صحيح أن نظرة أبالون فيها ما هو مرتبط بالإقليم وحلفاء الاحتلال، لكن الأساس في كل ما يحصل هو قدرة الفلسطيني على الصمود أولاً وعلى الهجوم ثانياً. وحتى الآن تسير خطة المقاومة على مبدأ استنزاف جيش الاحتلال، وبالتالي لن يستطيع البقاء في غزة. وعلى الرغم من الكلفة البشرية والمادية إلا أن الكلفة الاستراتيجية ستكون أكبر على الاحتلال. يكفي ألا تُرفع الراية البيضاء حتى تُرفع شارة النصر قريباً.

«الشمس رح تطلع»: عن منير شفيق

إيهم السهلي

كأنه في القدس رغم أنه في بيروت، كأنه يعود كل يوم إلى فلسطين، إلى القطمون حيث ترعرع في ذلك الحي المقدسي. وكأنه حتى اليوم يقف طفلاً أمام عبد القادر الحسيني ليشرح له عن مناطق الأعداء، بعد أن كان إبراهيم أبو دية هو الذي يشرح، والطفل يصحّح للقائد الكبير الذي صار شهيداً هو والحسيني.

الطفل ذاته، كأنه أمام أبيه، يلقي عليه أبيات الشعر العربي أو يتلو آيات القرآن الكريم، ويأخذ بمقابل ذلك مكافأته التي كانت «قرشاً واحداً»، واليوم بعد أن كبر الطفل الذي كان هناك في فلسطين، صار كأنه هو نفسه فلسطين، في جسد عالٍ طالع من أنفاس البلاد.

هذا الطفل، اسمه منير شفيق عسل، وهو الفلسطين التي لم تخرج من فلسطين، لكنها أخذت قسطاً من الوقت لتروي الحكاية، بالشهداء، وبالسياسة، وبسعة الأفق التي لا ترفض إلا الذي يرفض أو يلعب أو يخون فلسطين. ولد قبل النكبة في عام 1936 في عائلة مسيحية، في حيّ «النّمارة بالبقة التحتا» في القدس. وترعرع في حي القطمون. وبينما كان بين الأطفال يلعب، كانت السياسة تكبر فيه، وكانت فلسطين تتغلغل أكثر فيه، والمدن والقرى تأخذ مواقعها في عقله وروحه، وفي ذاكرته التي تنشّط الحاضر يوماً بيوم.

بدأ حياته باسم منير عسل، فوقّع بعض كتاباته بهذا الاسم وهو في عمر الـ 16، حين كتب في صحيفة «فلسطين» التي كانت تصدر في القدس. صار اسمه منير شفيق، وبهذا الاسم وقّع باقي مسيرة حياته، كتبه الكثيرة التي ناهزت السبعين، وآلاف المقالات، وبهذا الاسم تولّى إدارة مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، وبه، أيضاً، عاش طهرانياً بين الأطهار من المقاومين الفلسطينيين. استشهد بعضهم، وبعضهم الآخر لم يزل على الطريق يقاوم بأشكال مختلفة، منها العسكري، ومنها الأدبي، ومنها السياسي. وبعض قليل من هؤلاء استقال من حياته الماضية أو تنكّر لها، وجلس يقارعها بحاضر بائس ينحاز فيه إلى القاتل من باب أربابه.

لا يبحث عن فلسطين، لأنه يعرف الطريق إليها جيداً، يدركها بالقلب والعقل والعين، ولأنه كذلك، نظّر لها في مقالات وكتب ومساهمات، وتطويرات رؤيوية للثورة، فكان منها مثلاً: «حول التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية»، و«موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية» وغيرهما الكثير حتى اليوم. لم يسلك نحو فلسطين طريقاً أخرى، فقد أسّس في هذه الطريق في سبعينيات القرن الماضي مع إخوته ورفاقه في حركة «فتح» نبتاً اسمه «الكتيبة الطلابية» التي صار اسمها «كتيبة الجرمق». وهذا النبت الأصيل كبر، وتطوّر مع «أبو فادي» وإخوته، فأخذ شكله الجديد في ثمانينيات القرن الماضي، بجوهره المقاوم ذاته المنطلق من روح الشعب وثقافته. وحين لاحت التسويات في أوائل تسعينيات القرن الماضي، لم يغب عن قناعاته وثوابته، وكان «أوسلو» الذي رفضه، فنقده ونقضه وقزّمه وقزّع من وقّعه، فحلّله وفكّكه، وأشار إليه بوصفه تفريطاً كاملاً بالحقوق، ولا فائدة منه مهما كانت.

جاءت الألفية الحالية، وكانت الانتفاضة وما فيها من اجتياحات للضفة، وخروج الاحتلال من غزة، والانقسام الفلسطيني الفلسطيني، وجاءت الحروب المتعددة على قطاع غزة، من ضمنها حرب 2014، و«سيف القدس»2021، حتى جاء 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، فكانت عملية «طوفان الأقصى». فلم تعزّز هذه العملية إيمانه بالطريق التي يعبرها نحو فلسطين، لكنها أكّدت لديه المؤكد، وقدّمت له إثباتاً جديداً على صوابية الطريق، وهو الذي عبّر عنه في أكثر من منبر. فمنذ بدء هذه الحرب، وهو لا يهدأ، (مقالات ومقابلات، تحليل وتفكيك وتدليل)، والأهم، بالتوازي مع ذلك، دفع الروح المعنوية لدى الناس إلى الأعالي، إلى المكان الذي يرى فيه القضية الفلسطينية متخذة مكانتها، خاصة أنه وصف العملية بأنها «نقلت المقاومة الفلسطينية من مرحلة الدفاع الاستراتيجي، والهجوم التكتيكي، إلى مرحلة "شبه التوازن الاستراتيجي" – مرحلة الإعداد للهجوم العام» («المقاومة بين السلبيات والإيجابيات»، «الجزيرة نت»، 2024/1/28).

روحه وطريقُه طريقةً، في صياغة الفهم للأمور، وللأمر الواقع، ولموازين القوى، وطريقةً في أي نقاش يجريه في جلساته مع الشباب الذين لولا طول تجربته وعُمْقها وعمقها لظنوا أنه في سنهم، ولا سيما حين يلقي بدعابة أو طرفة أو قصيدة تكون في الغالب دالة في الموضوع المفتوح الذي يدور الحوار حوله، وهو بلا شك فلسطين ومقاومتها وشعبها.

تحل النكبة هذه السنة في ذكراها السادسة والسبعين، ومناسبة هذه المادة عن منير شفيق، هي هذه الذكرى، ومناسبتها الأخرى الحرب الإسرائيلية المسعورة على قطاع غزة. والرابط بين العناوين السابقة، أن هذا الرجل الذي خطا في الثامنة والثمانين من عمره، وعايش النكبة مع أسرته، لم تهزه الصعاب، ولم تقهره الويلات، لا لشيء سوى أنه على إيمانه الأول بفلسطين، وبجدوى المقاومة من أجلها، وقد قضى عمره لأجلها بكل ما للكلمة من معنى.

ولأن النكبة لم تفتّ في عضده، ولا النكسة، ولا الانكسارات اللاحقة، ومنها استشهاد الكثير من أحبابه كشقيقه جورج عسل، وصديقه سعد (عبد القادر جرادات)، فإن متتبعاً ما لشفيق قبل 7 أكتوبر 2023، يكون قد انتبه أن شفيق كان على يقين الثوريين، بأن «العبور» آت لا محال. ولعل القارئ ذاته، إن رجع سنوات أخرى للوراء، لقرأ لشفيق ما يؤكد له أن فلسطين ستحرر، والطريق إلى ذلك إعطاء الأولوية للمقاومة: «إن إعطاء الأولوية لهدف تحرير فلسطين يعني بالضرورة الانتقال بأشكال النضال إلى مستوى العنف الجماهيري المسلح، وإعطاءه الأولوية على أشكال النضال الأخرى دون إغفال ضرورة استخدام مختلف أشكال النضال الأخرى ولكن تحت قيادة حرب الشعب» («منطلقات أساسية لاستراتيجية الثورة الفلسطينية»، مجلة «شؤون فلسطينية»، العدد 17، 1973).

إنّ نكبة فلسطين كانت الفضّاحة الأولى للوهن العربي، وإنّ حرب غزة الحالية فضّاحة أخرى، وما بينهما الكثير، لكن «أبو فادي» الذي يرفض لعن الأمة، لكونه لا يقبل بإخراج القضية الفلسطينية

عن بعدها العربي والإسلامي والعالمي، يؤمن بأن للشعوب كلمتها التي تقولها وستقولها عالياً، وهي التي ستبقى ذخر فلسطين.

وطالما أن هذه المادة عن منير شفيق، في مناسبة النكبة، وفي أجواء الحرب الدائرة في غزة، والتي تتجهم لتتنقل إلى أنحاء فلسطين في أي لحظة لأن العين على الضفة، وعلى باقي الفلسطينيين في الأرض المحتلة، فالحال هنا يشير إلى قراءة النكبة مجدداً، قراءتها بعيني رجلنا في هذه المادة، وأعين أمثاله، فمنير شفيق لا يفسح مكاناً لليأس، ولا يعطي مجالاً للضعف، ولا يسمح بالمساومة، رجل عاش ليرى فلسطين، ويؤمن أن عودته إلى فلسطين حقيقة، وقد اقتربت، وهو القائل في كل مقام يخص فلسطين: «الشمس رح تطلع».

الأخبار
al-akhbar
السبت 11 أيار 2024 العدد 5195

صيف 2024

الفنانون العرب يزحفون إلى بيروت... رومانسيّة في زمن الحرب!

ضرب عمرو دياب موعداً جديداً مع الجمهور اللبناني

زكية الديراني

يصف أحد المتابعين للوضع في الساحة الفنية اللبنانية بأنّه يشبه العيش في بلدين. ففي الوقت الذي تشهد فيه غالبية مناطق جنوب لبنان معارك بين المقاومين والعدو الإسرائيلي مستمرّة منذ أكثر من سبعة أشهر، تستعدّ بيروت لاستقبال باقة من المغنّين العرب. اللافت أن غالبية الفنانين يحيون أولى سهراتهم في العاصمة، وهذا الأمر بمنزلة مغامرة لا تُعرف نتائجها. هذا التناقض في الوضع الداخلي، يطرح عدداً من علامات الاستفهام، حول الجهة التي تغامر في التعاقد مع الفنانين لقاء مبالغ باهظة. إذ يُحكى أن كل حفلة ستقام في بيروت يتخطى أجر الفنان الذي يحييها الـ 300 ألف دولار أميركي. تلك السهرات لا تقام في ظروف عادية، بل استثنائية تصل إلى حدّ الخطورة، في ظلّ تطورات أمنية صعبة يمرّ بها البلد من السابع من تشرين الأول (أكتوبر) الماضي وراح ضحيتها مئات الشهداء والجرحى اللبنانيين. مع العلم أن نجاح الحفلات الفنية يتوقّف بشكل كبير على عدد المغتربين الذين يحرّكون السوق الفني. وحتى اليوم، لم تتضح بعد صورة حركة المغتربين في الصيف، في ظل استمرار العدوان الإسرائيلي على مناطق الجنوب والبقاع.

هكذا، في انتظار بيروت صيف حافل بالسهرات، وعلى قائمة حفلات المغنين كل من: أصالة نصري، وعمرو دياب، وكاظم الساهر، ومحمد رمضان، وتامر حسني وغيرهم.

في هذا السياق، فاجأ متعهد الحفلات ربيع مقبل المتابعين بإعلانه أخيراً عن تعاقده مع المغني عمرو دياب ضمن سهرة ستقام في 16 حزيران (يونيو) المقبل عند واجهة بيروت البحرية. تأتي حفلة صاحب أغنية «قمرين» بعد نجاح سهرته التي أحياها الصيف الماضي وحضرها قرابة الـ15 ألف شخص من مختلف المناطق، وكانت بمنزلة عودته إلى الجمهور اللبناني بعد غياب 12 عاماً. وكانت تلك السهرة قد أثارت بلبلة بسبب الشروط التي فرضها المنظمون على الصحافة التي تتعلق بعدم التصوير ومنع انتقاد السهرة.

لم يكتفِ المتعهّد ربيع مقبل بالإعلان عن حفلة دياب فقط، بل كشف أيضاً عن سهرة أخرى هي للفنان العراقي كاظم الساهر ستقام في الخامس من تموز (يوليو) المقبل في واجهة بيروت البحرية أيضاً. وتأتي إطلالة الفنان العراقي بعد غيابه عاماً عن بيروت على إثر الظروف الأمنية التي جمّدت الأنشطة لمدة طويلة.

على الضفة نفسها، تعاقد المنتج حسين كسيرة صاحب شركة GMH للإنتاج مع المغنية أصالة نصري لإحياء حفلة هذا الصيف في بيروت، ولكنه لم يحدد تاريخها إقامتها أو مكانها بعد. كذلك تعاقد كسيرة مع المغني المصري تامر حسني في سهرة ستُقام في الـ «فوروم دو بيروت» (شمال بيروت) في الثالث من آب (أغسطس) المقبل.

تكرّ سبحة حفلات الفنانين العرب في بيروت. هذه المرة مع المغني محمد رمضان الذي أعلن عن أول حفلاته في بيروت سيحتضنها الـ «فوروم دو بيروت» في 17 آب (أغسطس) المقبل. فور الإعلان عن السهرة المنتظرة، بدأ الكلام عن دعوات لمقاطعة المغني المصري المتّهم بالتطبيع مع العدو الإسرائيلي بعد انتشار صورة له قبل أربعة أعوام برفقة مغنٍّ إسرائيلي يدعى عومير آدام خلال حضورهما حفلة في دبي.

حرّيات

عن شادن فقيه و«الراعي الأكبر»

بول مخلوف

أمور كهذه اعتدنا على حدوثها في بلدٍ يزهو بمكانة طوائفه وأدوارها السلطوية مثلما يزهو بطبيعة مناخه. عند كل فصلٍ من فصول السنة، يصاب الجسم اللبناني بنزلة بردٍ غالباً ما تؤدي إلى الحمى بسبب مزحة رديئة من هنا أو كلام مسرّب ضل طريقه من هناك. عندئذٍ، إن السيناريو الذي بات معروفاً يتكرر: ترتفع الحرارة، يطوف المكبوت، تُقطع الطرقات، تُحرق الدواليب، والبعض يقول إنه مستعدٌ للذهاب أبعد من ذلك. على ما يبدو، لهذا الجسم مناعة ضعيفة جداً. فهو هشّ معرّض للانتكاس في أيّ لحظةٍ. كلما طاولته عطسة نقلت إليه عدوى فأفقدته صوابه وكادت تدفعه إلى شنّ حربٍ أهلية. الحساسية الطافحة التي فاضت في اليومين السابقين على إثر الفيديو المسرب للستاند-أب كوميديان شادن فقيه ليست غريبة على الإطلاق، هذه عوارض موسمية اعتدنا على حدوثها، تماماً كاعتيادنا على الخطوة التي قامت بها دار الفتوى في تقديمها إخباراً إلى القضاء اللبناني بحق فقيه بتهمة التجديف و«تعكير الصفاء بين عناصر الأمة». الصفاء بين عناصر الأمة إذاً، ولتحقيقه، الأمر منوط أولاً وقبل أي شيء بالعودة إلى الدستور وتنفيذ المناصفة، وهذا إن عنى شيئاً، فهو يعني أن البارحة كان «فصِل» الأبونا، أما اليوم، فقد جاء «فصِل» الشيخ. الفصول تتغيّر، و«الحساسية الطائفية» تتغيّر بدورها، واحدة تتحسس على فيلم فيما الأخرى تتحسس على نكتة عابرة، هذه طبيعة لبنان، في النهاية لا بدّ من السيرورة أن تأخذ مجراها... والعدالة كذلك.

شادن فقيه «مُدانة» إذاً بالجرم المشهود. جريمتها أنها استهزأت بشعائر دينية بما أنها أثناء عرضها «الكوميدي» تطرقت عبر السرد واللعب المسرحي إلى شقاء الوصول للمسجد حيث تقام صلاة يوم الجمعة، والمكابدة التي قد يعانيها المرء عند إصغائه للخطبة التي تلقى بصوتٍ مرتفع، واحتمال أن يُسرق حذاؤه كما سبق أن حدث مع النائب السابق خالد الضاهر، وأحداث أخرى يبدو الكلام عنها سوقياً لكنها بديهية ومن المحتمل حدوثها. وضعت فقيه جمهورها في ذاك العرض أمام سلسلة مواقف متراصة، تشكل في المطاف الأخير «حالات حادة» لتصوِّر عبثية ما، عبر الاسترسال في وصف الشدة والتعثر، والمبالغة في تصوير المشقة، والإفراط في التعقيب عن العناء، وهذا أسلوب ترى صاحبته أنه يخدم غرضها الفكاهي الذي يستعين بالبذاءة، وإطلاق العنان للانفعال، والشتم. في المناسبة تلك العناصر هي مقوّمات أساسيّة في البناء الكوميديّ. على أنّ الشتيمة التي استعملتها فقيه، غالباً ما تفرزها حالات قهر لا يتقصد قائلها، عند استعمالها، الكفر أو التعرّض المباشر للإله. على أحدنا رد الشتيمة إلى سياقها لفهم مدلولها. وهذا لا يعني أن ما قالته لا يخدش شعور المؤمن، أو أنه ليس من حق المؤمن الامتعاض والتذمر، أو أنّ هذه الشتيمة وجب على الحسّ العام تقبلها أو اعتبارها أمراً مألوفاً (لن تعود شتيمة)، ولكن هذا يعني أيضاً أنه ليس ضرورياً تبريرها في عرض فقيه، ذلك أنّ العرض الذي قدمته هو عرض خاص (على عكس كما جاء في بيان نقابة الممثلين الصادر أمس محاولاً اللحاق بهمروجة الإدانة)، ومن يتقصد حضور هذا العرض لن يرتاب مما سمع.

ليس الحديث هنا عن «كوميديا» تستمد مواضيعها من ثقافةٍ معاصرة يمكن تعريفها - بل اختزالها - بعبارة «بشيل»، تبدأ بـ «Awkward» (مسرح العرض) ولا تنتهي بـ«مترو المدينة» وتعرّف عن حالها بأنها «البديل» و«الحداثة»، هذا موضوع آخر قد يناقش لاحقاً، إنّما عن ممارسة «الكوميديا» بغض النظر عن ضحالة مستواها وركاكتها أم براعتها وحذاقتها. المسألة الأساسية هنا هي القضية القضائية، أي الإدانة والملاحقة القانونية لفقيه التي لم تقدّم خطاباً تحريضياً، ولم تنشر الكراهية، ولم تهدد بـ«كيّ الزيتي»، ولم تدعو إلى إثارة العنف، كما أنها لم تنشر الهرطقة أو الزندقة أو الإلحاد، وقد قالت ما قالته في غرفة مؤصدة، مقفلة، على المتفرج - الذي يعلم مسبقاً أنه على موعدٍ مع معجمٍ بذيء وأداء ابتذالي ساخر - أن يدفع ثمن البطاقة لقاء الفُرجة.

أما خارج تلك الغرفة المقفلة، فهناك شخص لا يتوانى عن التدخل في شتّى المجالات: السياسية، والأخلاقية، والشخصية... في عدد من المساحات المفتوحة. في بلد الرعايا لا دولة المواطنين، فإن المرجع الطائفي، أو «الراعي الأكبر» بما هو الموجِّه، والوصي، والعليم بالصراط المستقيم فلا يتأخر عن تأدية دور البطل و«إنقاذ» مجتمعه من «الفتنة» و«الخطر الداهم». وهذا الدور يتطلب من صاحبه أن يزيد من شدّة الحمى بدلاً من إخمادها، والأهم أن يعلو صراخه فوق صراخ جميع رعاياه. العالم برمته على صفيح ساخن وهناك من يتقصد الدخول إلى حفلة غير مدعو إليها، تستوقفه نكتة يتأبط منها، فيصدح عالياً: «أوقفوا هؤلاء المجرمين!». الحروب (الفتن لا فرق) تبدأ بالاستعراض.

مفكرة

سمير تماري: «الحياة حلوة»

«بما أنّ مصيرنا محدّد بالفعل، فمن الأفضل أن نستمتع بالحياة ونقدّر كلّ لحظة كما تأتي». بهذه العبارة، يدعونا الفنّان اللبناني سمير تماري إلى احتضان الحياة بخفّة وفرح في معرضه الجديد Refresh، المستمرّ في غاليري «مايا» حتى 16 أيّار (مايو). يشكّل المعرض متنفّساً للزوّار، يُلهيهم عن الواقع الصعب عبر ألوان تماري الصاخبة وشخصيّات لوحاته المرحة.

معرض Refresh: حتى 16 أيّار (مايو) ـ Maya Art Space (شارع عبد المالك، وسط بيروت). للاستعلام: 76/355858

مازن سعد الدين في حديقة الأسرار

بدءاً من 22 أيّار (مايو)، سيكون الجمهور على موعد مع «إلى حدا ما» على خشبة مسرح «بيريت». تتناول المسرحيّة الثامنة للمخرج والمنتج اللبناني الشاب مازن سعد الدين (الصورة)، قصّة ممرضة تلتقي بمريض في حديقة مستشفى الأمراض العقليّة. يعتبر كلاهما أنّهما عالقان في المستشفى، ولكن لكلّ منهما سبب مختلف. يكتشف الجمهور خلال المسرحيّة التي يؤدي بطولتها عمر ميقاتي وسولانج تراك ورالف س. معتوق أسراراً لم يتوقعها عن الشخصيتين.

مسرحية «إلى حدا ما»: ابتداءً من 22 أيّار ـ مسرح «بيريت» (الأشرفية ـ بيروت). للاستعلام: 03/596086

ادعم وطنك وحافظ على البيئة

يفتتح ملتقى Kulturnest معرضاً للفن البيئي في 18 أيّار (مايو)، يضم أكثر من 17 متجراً محليّاً، وأكثر من ثلاثين فناناً، ليقدّموا أعمالهم الإبداعية، الصديقة للبيئة والقابلة للاستخدام اليومي. تهدف هذه المبادرة إلى دعم التجارة المحلية، وتحفيز المستهلكين على شراء منتجات صديقة للبيئة وأكثر استدامة. يوضح الملتقى أنه يحرص على أن تباع المنتجات بأسعار مقبولة تناسب جميع الزوّار.

«معرض الفنّ البيئي»: يوما 18 و19 أيّار ـ ملتقى Kulturnest (سن الفيل) ـ للاستعلام: 03/008245

متحف سرسق منصّة للشباب

يتعاون «متحف سرسق» مع «نادي لكلّ الناس» لتقديم النسخة الـ 16 من «مهرجان الفيلم العربي» الذي ينطلق في 13 أيّار (مايو). يُعد المهرجان السنوي بمنزلة منصّة لصنّاع الأفلام الشباب من لبنان والعالم العربي لعرض مواهبهم وانشغالاتهم، فيما تتوزع الأفلام المشاركة في مسابقة المهرجان على مدى خمسة أيّام. إضافةً إليها، يتضمن البرنامج ندوتين، وعروضاً لأفلام قصيرة وطويلة إضافيّة.

«مهرجان الفيلم العربي القصير»: بدءاً من 13 حتى 17 أيّار (مايو). «متحف سرسق» (الأشرفيّة). للاستعلام: 01/202001

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 11 أيار 2024
العدد 5195 السنة الثامنة عشرة
Samedi 11 Mai 2024 nº 5195 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

أدباء لبنان المنسيّون

[2_5]

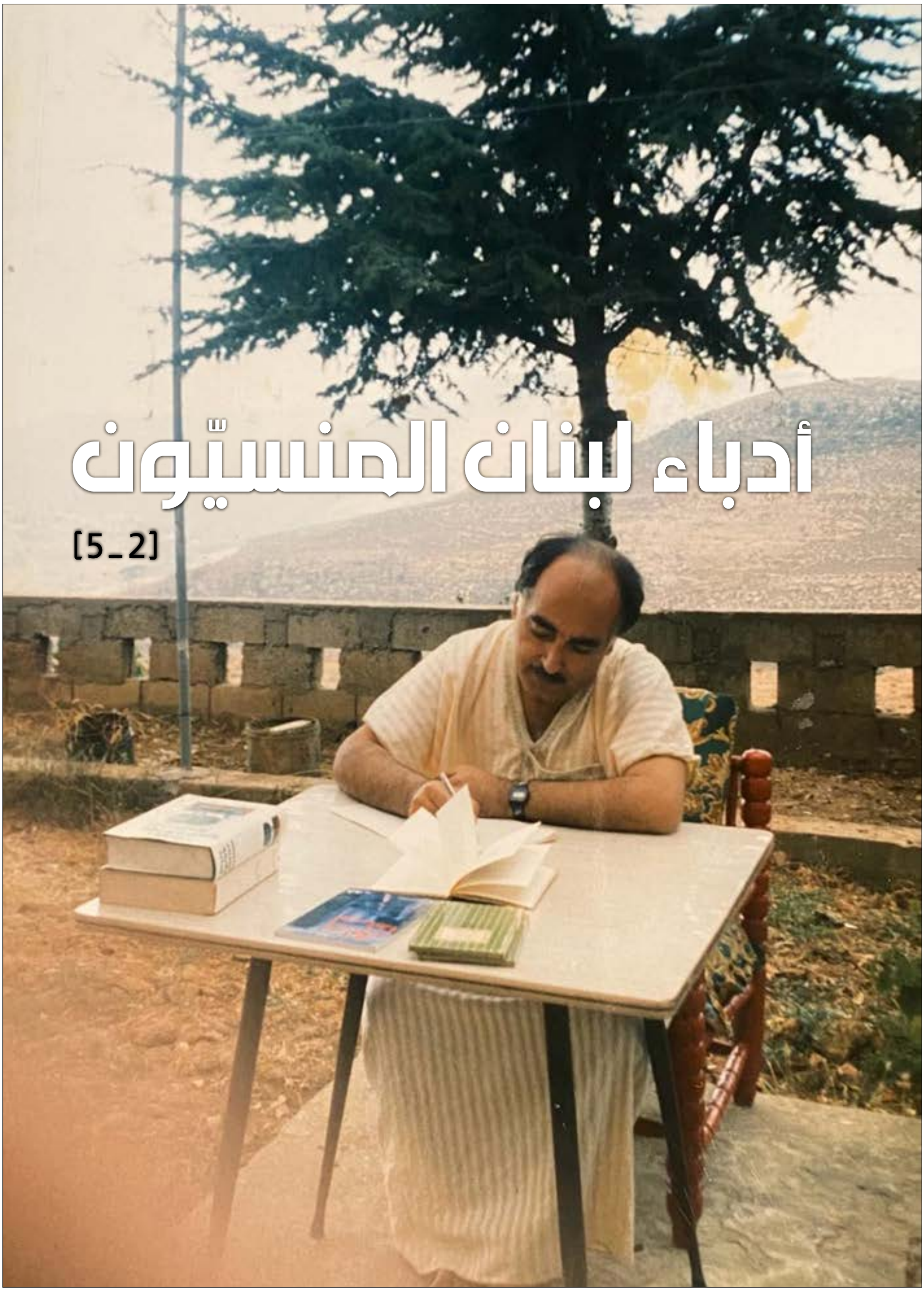

صفوان حيدر (1950-2024)

ملفّ

إنهم أدباء لبنانيون «منسيون»: نفدت كتبهم من المكتبات، ولم تحجز أسماؤهم لها محلاً على قوائم الجوائز القصيرة ولا الطويلة، ولم تُطلق أسماؤهم على شارع او حتى زقاق صغير في بيروت او برج البراجنة او رشميا او حاروف الجنوبية. لا بل إنّ شبكة الإنترنت تضنّ على المتصفح حتى بتاريخ ميلادهم أو وفاتهم، رغم أنهم كتبوا أدباً تاسيسياً يلامس القضايا الشائكة، مثل جدلية الريف والمدينة، والذكورة والانوثة، وبعضهم لو قدّر له أن يعيش حياة أطول او لم تعانده الظروف والمصاعب لكنّا أمام ادب يشبه في فحاشته ما كتبته سيمون دوبوفوار او فرانتز كافكا. كما وقفوا في مواجهة الراسمال والإسمنت الهاجم على المدينة وصيّاديها وأفقها المفتوح على البحر والحرية، وتمرّدوا على الأب والمؤسسة بنوع من القتل الفرويدي والجرأة العابثة. بعضهم عاش حياة شعرية بالكامل نُسجت حولها حكايات واساطير. نستذكرهم في «كلمات»، ونلقي الضوء على سيرتهم الادبية ونستعرض نتاجهم في صفحة «إبداعات»، لنَنفض الغبار عن «شمسهم المصلوبة»، عسى ان تقوم مبادرة قريبة بإعادة إحياء اعمالهم من القيمين على الثقافة ودور النشر اللبنانية والعربية، لانها كما قال احدهم: «اشياء لا تموت»

إعداد **محمد ناصر الدين**

آخرهم صفوان حيدر الذي انطفأ في مستشفى الأمراض النفسية

أدباء لبنان المنسيّون... لنَنفض الغبار عن «شمسهم المصلوبة»

◄ محمد عيتاني... المورّخ الادبي لتحولات بيروت

لا نكاد اليوم نعثر في مكتبات بيروت كلّها على عمل واحد لمحمد عيتاني (1921-1988)، وهو كاتب ملحمة بيروت وتحولاتها، ولا سيما في كتابه الأبرز «أشياء لا تموت» (دار الفارابي ـ 1987) وهو المؤرخ الأدبي للمدينة المستعصية في حركة انتقالها المأساوي من الحالة القروية إلى بؤرة البنايات الحديثة والمدينة الإسمنتية الهجينة. التقط محمد عيتاني ببراعة تحولات المدينة التي غدت بؤرة لتوليد المال وتوالده، وبيع زخرف الأزياء والفنون والصحف وشتى الصفقات حيث تتوالد وتتصارع وتتفاعل الأفكار والأموال والنزعات الثورية، وحيث يمتزج كل ما هو زائف بكل ما هو حقيقي. في أقاصيص محمد عيتاني كلّها الصادرة عن «دار الفارابي» من «تحت حوافر الخيل ومتراس أبو فياض» (1974) و«مواطنون من جنسية قيد الدرس» (1975) وانتهاء بـ«حبيبتي تنام على سرير من ذهب» (1986) حنين إلى بيروت القديمة، ومحلة رأس بيروت بالذات (مساحة ريفية منفتحة على البحر وقوارب الصيادين). حنين هو نفسه إدانة من موقع الشيوعي الذي كانه للراسمال الذي يطحن المساحات الخضراء ونفوس الفقراء، وكان عيتاني من الموقع التقدمي ذاته قد أشرف على ترجمة أولية لكتاب ماركس «رأس المال» (مكتبة المعارف ـ 1978-1981) وكتاب بعنوان «النضال المسلح في الإسلام» (دار العودة ـ 1981). في رسالة قديمة لصديقه الراحل محمد دكروب، يعبّر عيتاني عن هذا الصديق اليوتوبي لبيروت: «كنت أرى نفسي مشدوداً إلى أيام الطفولة تلك، وإلى جدران تلك المحلة وبساتينها وسواحلها وأشجارها وفلاحيها وطرائفها، إلى منارتها البيضاء المقلّمة بالأسود، وأبراج حمامها الشامخة فوق أشجار المقاسس، طبّالها الذي تطارده كلاب الفرنسيين، ومؤذنها الذي يشمّر عن ساقيه عند صعوده إلى المئذنة»: أدب محمد عيتاني يبقى ضرورياً لكل عاشق لبيروت، للصيادين وللباعة و«الزكرتية» والقبضايات ومؤجري الدراجات الهوائية والشعراء الشعبيين والنساء الفاتنات «لأن ترابها (بيروت) وأغصان توتها الغبراء وجذوع تينها التي رسمت عليها حدود قلوبنا صارت شيئاً واحداً هي وأحلامنا وذكرياتنا وآثار الجراح في الأقدام منّا والركب».

◄ منى جبور... سيمون دوبوفوار لبنانية

«هذا الجسد يعذبني. يعذبني ثديايَ والثوب الذي ينسدل فوق عضوي الأنثوي. فأنا أكفر بهذا الجسد الهزيل الجامد أمام المرآة... أكفر بهدف نفور الرمّانتين من صدري، فأنا أكره أن يرضع فم منهما حليباً». تشبه منى جبور (1943-1964) تلك الورود الربيعية الهشة التي تزهر في الشمس وتقتلها لفحة من هواء: كان الشاعر الراحل أنسي الحاج أول من اكتشف بذور الكتابة في ابنة بلدة القبيات الشمالية، فكان أول من نشر لها مقاطع أدبية في «النهار» (1957) لتسهم من بعدها في الصفحات الثقافية لمجلة «الحكمة» وصحيفة «الحياة». ماتت جبور عن روايتين لا ثالث لهما: «فتاة تافهة» (1956) و«الغربان والمسوح البيضاء» (1966) وقد صدرتا عن «دار ومكتبة الحياة» (بيروت) في طبعة أولى نفدت بسرعة، ويبدو الحصول عليهما اليوم بنسخة ورقية ضرباً من المستحيل. التيمة الأساسية في روايتي جبور هي الأنوثة الصعبة في مجتمع بطركي يحارب المرأة في كينونتها وبقوليها كماكينة للجنس والنسل: ندى، بطلة «فتاة تافهة»، التي تذكرنا بليلى فياض بطلة ليلى بعلبكي في «أنا أحيا»، تحمل منذ البداية لواء الرفض لهذه الأنوثة الاختزالية وتواجه المجتمع بخطاب أنثوي شجاع سبق الكثير من الحركات النسوية اليوم، وبضمير المتكلم في جمل هي أقرب إلى الصواعق المتفجرة كما في افتتاحية الرواية: «القرْم المكوّم في الزاوية يمط شفتيه قائلاً: العلويون يفلحون على المرآة... والمعلّم ينبح: بلا جدال، المرأة مخلوق ضعيف الشخصية والإرادة، والمرأة مخلوق يكمله الرجُل، ومن واجبها أن تخضع له. كذاب. كذاب هذا الوقح. سأجادل... سأخرج، فأنا لست ضعيفة لأتعلم. ليتني أقوى على إظهار البرهان في تحطيم هذا المقعد على رؤوس التلامذة وفي مرمغة أنف المعلّم بحذائي لأريه أنني كيان مستقل. جررت النظر إليه، فإذا على أسنانه خيوط صفراء، والبصاق يفور من شفتيه، وسخ... خنزير». وفي «الغربان والمسوح البيضاء»، تتابع جبور ثورتها النسوية، إذ تحول البطلة «كوثر» الرواية إلى سجل للخطاب الواعي واللاواعي عن تعقيدات علاقات المرأة بالرجل الذي يريد أن يجعلها مكملاً لنقصه، وموضوعاً لرغبته من دون أن ترتقي هي الأخرى إلى مقام «الذات» القادرة على الحب والمعرفة والاستقلال. «أنا أهرب أهرب أهرب عبر كل حرف وكلمة ونظرة... قبل مؤلفي الأول، كنت أدرك أن تفجيراً ما سيكون خلاصي الوحيد في الحياة... لكني لم أكن واثقة أنه الأدب: «يقال إنّ منى جبور قد أنهت حياتها منتحرة، والبعض الآخر يعزو تلك الوفاة إلى اختناق بتسرّب للغاز، ومهما يكن، فلو قدر لهذا المشروع الروائي النسوي أن يكتمل، ربما كنا اليوم أمام «سيمون دو بوفوار» لبنانية، إذ بدأت الفتاة الشابة مسيرتها الأدبية من حيث انتهى إليه كثير من الروائيين المكرّسين اليوم.

◄ عبد المطلب الأمين... صورة الأب ونقيضه

لم يكن عبد المطلب الأمين (1916-1974)، الدبلوماسي والحقوقي والشاعر وابن العلامة الراحل محسن الأمين، يكترث بحفظ شعره أو جمعه في مصنّف أو ديوان. لذا إنّ الكثير من قصائده السياسية والوجدانية والغزلية والخمرية صارت في ذمة التاريخ وبعضها نُسب غفلة إلى غيره من الشعراء الكبار (مثل قصيدة «غنّت فيروز مغزّلة» التي تنسب إلى الشاعر نزار قباني). ولولا جهود من الصحافي السوري هاني الخيّر الذي عثر على مقطوعتين شعريتين في أرشيف المكتبة الظاهرية في دمشق، كان الأمين قد نشرهما وهو في الخامسة عشر من عمره في جريدة «الناقد» الدمشقية سنة 1931، عندما كان لا يزال طالباً في «مدرسة التجهيز الأولى» في دمشق، لما كان ممكناً تتبّع مسيرة الأمين الشعرية منذ بواكيرها الأولى، ليُعنى نجل الشاعر، محسن الأمين، من بعدها بتجميع سيرة والده وأشعاره في كتاب «ديوان الشاعر عبد المطلب الأمين» في إصدار عن «جمعية إحياء تراث العلامة السيد محسن الأمين» (2015). في أشعار عبد المطلب الأمين، نستشف تلك الروح القلقة التي طبعت تلك الكوكبة من أبناء المراجع الدينية الذين سيطلق عليهم تسمية «الشيعة الشيوعيين» لانخراطهم في النضال الطبقي والجماهيري وتطعيمه بالروح الكربلائية المفعمة بالرفض والثورة عبر التاريخ. عاش عبد المطلب الأمين نزوات القلم، فطرد من سوريا (التي حصل على جنسيتها) بعد ثورته على انقلاب حسني الزعيم وكتب زاوية في جريدة «النداء» يوقعها تحت اسم «القاضي الفاضل». وإذا كان الشعر الذاتي صدى لأحوال النفس، ففي الوطنيات والمراثي هو ظل لوالده المرجع، لكنه في الشعر الوجداني والذاتي يرسم لنفسه صورة هي أقرب إلى الفرويدية في قتل هذا الأب. كما أن الطرافة التي طبعت حياته لا نجد لها حيزاً كبيراً في هذا الشعر، إذ تروى عن الأمين هذه القصة: عام 1944، عُيّن الأمين قائماً بأعمال السفارة السورية لدى الاتحاد السوفياتي. بعد ثلاثة أشهر من تعيينه، طلب مقابلة وزير الخارجية مولوتوف الذي عُرف بالرجل ذي المطرقة الحديدية من دون استجابة لطلبه. وأمام إصراره، وافق مولوتوف على مقابلته، وكان عابساً متجهماً وسأله عن السبب من الزيارة. أجاب الأمين بابتسامة: «لقد جئت إلى هنا لأنقل إليكم باسمي وباسم حكومتي وباسم الشعب العربي السوري و لأطمئنكم وأطمئن حكومتكم وشعبها بأنه ليست لدينا أيّ مطامع استعمارية في الاتحاد السوفياتي». انفجر مولوتوف ضاحكاً حتى كاد يغشى عليه، ثم طلب تأجيل كل مواعيده، وأشعل سيجارة وهو يبتسم ابتسامة عريضة ليسأل الأمين: «ما هي قصتك؟»، فيجيبه الأخير: «إن كان ما قلته لك يدعو للضحك، فلماذا تراقبني الأجهزة الأمنية السوفياتية صباح مساء ولا تترك لي فرصة التنفس؟».

◄ فؤاد كنعان... الناسك العابث

كان فؤاد كنعان (1920-2001) شجاعاً بقول الجديد، وقحاً بحق المألوف، متمرداً، عبثياً في كل الأوقات، ضعيفاً وهشاً حيال كل ما يتعلق بالذاكرة والحب، والتفاصيل تكاد تكون هاجسه: ابن بلدة رشميا البقاعية، سحرته كتابة القصة منذ نعومة أظافره. نشرت جريدة «الرابطة» له قصة بعنوان «الشهيدان» ولّما يبلغ الخامسة عشر. كما نشر بعض القطع الأدبية في مجلة «المكشوف» عام 1937، لتنال قصصه المنشورة إعجاب الأديب مارون عبود الذي شجعه وكتب مقدمة مجموعته الأولى «قرف» الصادرة في عام 1947 عن «دار المكشوف». كنعان الذي التحق بـ «المعهد الحقوقي الفرنسي» عام 1939، ثم تولى تحرير مجلة «الحكمة» (1951-1958) وكانت له زاوية خاصة في «لسان الحال» بعنوان «على رأس اللسان» بتوقيع «لسان» وزاوية أخرى في جريدة «الاتحاد اللبناني» بعنوان «حبر على ورق»، يعتبر اليوم في عداد المنسيين في الأدب اللبناني. صدرت آخر مجموعاته القصصية بعنوان «مدرسة كان وأخواتها» عن «دار النضال» سنة 1999، ونفدت كل طبعات مجموعاته السابقة مثل «أولاً وآخر وبين بين» (دار الفكر الجديد ـ 1977) و«على أنهار بابل» (دار لحد خاطر ـ 1987) و«كان لم يكن» (دار الجديد ـ 1992). استعادة كتبه وأدبه اليوم أكثر من ضرورية لأن هذا الأدب قد أطلق الرصاص بأسلوب عدمي وسخرية لاذعة متعرضاً للأعراف والقوانين ومهرّجاً في «سيرك» الوجود في وجه كل أشكال «المؤسسة»: ضد المؤسسة الدينية حين لم يز فيها جامعاً يجمعها بعالم اليوم لفرط ما غابت عن هموم الناس واهتماماتهم، وضد الزواج حين يتحول إلى «مشروع» روتين وكآبة وازدواجية، وضد الحرب باعتبارها «حرب عملاء وحرب باعة، باعة جماجم وباعة أوطان، وباعة كذب. وأما القضية، فهي المراحيض»، إضافة إلى حربه الشعواء على الفساد الأزلي في الدولة التي لخّص أحوال مغارة علي بابا فيها بصرخة مطعون: «قرفتُ أن أكون لبنانياً، قرفت. أريد أن أبعد... لا حياة لي في بلادي ما لم أبع وأشترِ وأسمسر وأهرّب وأعكرت وأزوّج امرأة!».

◄ صفوان حيدر... دونكيشوت الحمرا ومقاهيها

«الدولة لم تجد له مكاناً في دير الصليب فالقته في السجن. وحين أعيد إلى المستشفى زرناه أنا وشريل. بدا كلامه عادياً، مجارياً إيانا، ثم تحوّل، بقفزات منتالية، إلى الكلام عن مؤامرات ومخابرات وجواسيس كمنوا له وتمكنوا منه... هكذا كان يحدث حين نلتقيه خارج المستشفى وخارج السجن: يبدأ يتكلم مثلنا ثم ينحرف به مرضه، فيصير يحكي عن مغامرات تُرفع فيها السيوف وتصهل الأحصنة كما لو أننا في حرب تجري في العصر الجاهلي»، هكذا وصف الروائي اللبناني حسن داوود الأيام الأخيرة لصفوان حيدر (1950-2024)، الذي رحل بصمت في مستشفى الأمراض النفسية والعصبية الذي انسحب إليه منذ سنتين. رحيل لا يليق بالحضور الصاخب لصاحب «أورفليس» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ 1982) الذي صدّره بصورة مضيئة له أثناء دراسته العليا في الآداب والفلسفة في «جامعة برلين الحرة» (1976-1982) كتب تحتها: «هؤذا رجل ثلوج هملايا... يجرّ ظهراً وتحت الأمطار في شوارع برلين، غرباً وشرقاً، الشمعة في اليد، واللهفة في القلب، باحثاً عن أورفليس، كي لا يموت وحيداً في البرج العاجي». نزل ابن بلدة بدنايل البقاعية والمولود في حمص السورية بالفعل من البرج العاجي للثقافة إلى الحياة، ليشتبك بكل تفاصيلها ويحوّلها بطريقته الخاصة إلى حياة شعرية خالصة، أشبه بدون كيشوت وتابعه سانشو ليس سوى الكلمات. رويت عن صفوان حيدر قصص كثيرة، وحيكت حوله روايات طريفة، لكن عند تحليلها تتحول إلى مشاهد سينمائية شعرية، كأن يراقب فتاة في مقهى «الكوستا» لستة أشهر كاملة من دون أن يتبادلا الكلام، ثم يتوجه إليها بالقول: «علاقة الحب التي بيننا قررت أن أنهيها من طرف واحد». كانت حياة صفوان حيدر بأكملها بحثاً عن «أورفليس» على الحد الفاصل بين الجنون والعبقرية، والمتتبع لمسيرته الشعرية والأدبية يمكنه أن يحلّق في جملة شعرية في «نوارس الندم» (دار أمواج ـ 2001) مثل: «كلما ودّعته امرأة جديدة من برج البحر/ غيّر نوع سجائره وهندامه/ ومقهاه الجديد» لنعثر في «أمطار الشمس كلام» (دار الخيال-2011) على هذيان سوريالي مختلط بالشعر والسياسة يصيب القارىء أحياناً بالحيرة ويصدمه بجمل صريحة ومنفرة. ليست القصص الطريفة التي تروى عن صفوان حيدر هي ما سيبقى من تجربته، بل الأهم لئلا يصبح أدبه طيّ النسيان هو إعادة قراءته كناقد للشعر والرسم والموسيقى وتمييز الغثّ من السمين في «أقلام وأنغام» (2014) و«خطوط وألوان» (2016)، وكشاعر نثر شفاف ولا سيما في «تساؤلات من مدينة لماذا» و«أورفليس» وكخالق لرؤية وحالة شعرية في حكايات «نوارس الندم»، الذي يصدّره بقول لشاعر مجهول: «إننا في هذه الحياة لكي نضحك، لأننا لا نستطيع الضحك، لا في الجنة ولا في الجحيم».

شيلي تريغوينغ ـ «الكاتب» (زيت على كتان ـ 152 × 122 سنتم ـ 2019)

◄ بلقيس الحوماني... مخاض المدينة الصعب

إنها بامتياز راوية المخاض الصعب لانتقال الريفيين، ولا سيما العاملين الجنوبيين منهم إلى المدينة الكبيرة (بيروت) بعد منتصف القرن الماضي للسكن والعمل وما يترتب عنهما من مؤانسة واجتماع وسياسة، والسؤال الصعب الذي ينبثق من هذا النزوح إلى الضواحي: من هو الغريب في المدن الكبيرة؟ وكيف تعامل المدينة غرباءها؟ وإذا كان الاندماج الكبير في المدينة، وفقاً للباحث اللبناني شوقي دويهي قد تحقق لأبناء الطوائف الأخرى من موارنة ودروز عن طريق الجمعيات العائلية والملّية، فإن الطائفة الشيعية قد ارتضت نموذجاً مختلفاً: إنه التجمع في أحياء المدينة على أساس مسقط الرأس في القرى والأرياف والدخول إلى سوق العمل على هذا الأساس (نستذكر هنا جملة عصام العبدالله «بيروت عنقود الضيع»): كانت رواية «حي اللجا» (1969) التي نشرت على حلقات متقطعة في جريدة «الديار» منذ 1964 لبلقيس الحوماني (؟-2017) ابنة حاروف الجنوبية بهذا المعيار. رواية تأسيسية كبيرة تحفر في ثنائية المدينة/ الغريب وتصوّر جدلية القبول والرفض بأبهى صورها، ولا سيما ذلك المطلع الممتاز: «تعالت الشتائم من بين شفتي الأب الذي كان يكسر الحطب في «المرْحلة» أمام عتبة البيت، بينما أخذت الأم تروح وتجيء بصمت في أرجاء البيت الكبير المؤلف من غرفة واحدة متسعة بثلاث قناطر على الطراز القديم الشائع في القرى. على المصطبة بجانب الجدار، تكوّمت «فطوم» تنتحب بصوت خافت، لقد زُفّت فطوم ذات الأربعة عشر عاماً إلى ابن عمتها البارحة فقط. ما كان في عرسها ما يثير. فقد غسلت جسدها امرأة من قريباتها حيث أعطت ملاحظة عابرة عن عدم وجود شعر أو زغب في جسدها». إعادة الاعتبار لأدب الحوماني اليوم أكثر من ضرورية، ولا سيما أنها أشارت في مقابلة صحافية قبيل وفاتها، إلى باقة كبيرة من مؤلفاتها لم تجد سبيلاً إلى النشر مثل «سأمر على الأحزان» (عن واقع الفلسطينيين ومعاناتهم)، و«اللحن الأخير»، و«خبز وزيت وكرامة» (مجموعات قصصية)، و«حول الأسرة البيضاء» (رواية طويلة)، إضافة إلى مسرحيات وقصص للأطفال.

> سمّوا بـ«الشيعة الشيوعيين» لانخراطهم في النضال الطبقي وتطعيمه بالروح الكربلائية المفعمة بالرفض والثورة

◄ خضر نبوه... «مفقود الأثر»

«هكذا صارت حبيبتي للخازبر والتماسيح، وصار بابها مفتوحاً لبائع اللحم، صار مفتوحاً لبائع القماش... أنا الوحيد الذي حكموا عليه بأن يتفرّج على حبيبته وهم يغتصبونها»: يكاد يكون خضر نبوه (1934-2009) صاحب هذه الجملة الشعرية الجميلة والقاسية من ديوانه الوحيد «كفى» (منشورات غالبري واحد ـ 1972) كاتباً «مفقود الأثر»، إذ يتعذر حتى على الإنترنت الحصول على تاريخ ولادته أو وفاته، ناهيك بأعماله الغزيرة التي توزعت بين القصص الكثيرة مثل «ربيع الأمل» (مكتبة البيان ـ 1956) و«الشمس المصلوبة» (1957) و«إنسانية الفنران» (مكتبة راس بيروت ـ 1966)، إضافة إلى تسع روايات أهمها «الجوع» (المكتب التجاري ـ 1961) و«سجناء الرون» (دار الكاتب العربي ـ 1963)، ومسرحيتان: «الزواج والقتلة» (1966) و«الجثة» (1970) وكتب فلسفية مثل «اللاعائلية» يلخص فيها نظرته إلى العائلة والزواج و«المؤسسة». ابن برج البراجنة صاحب المسيرة العلمية الحافلة بين «معهد مونبلييه للعلوم الزراعية» (1957) وشهادة الدراسات العليا في الفلسفة من «الكلية اليسوعية» (1969) والمجاز في التاريخ من «جامعة الكسليك» (1975) وجد ضالّته في الأدب، إذ نعثر في «إنسانية الفنران» على نفس كافكاوي بديع لو استمر صاحبه في تطويره، لكان نبوه قادراً على العبور بما كتب من المحلية إلى العالمية. والأعم الغالب أنّ تلك المجموعة كتبت أثناء إقامته في فرنسا وتفاعله مع التيارات الروائية في حينها. الكلمات الأدبية المفتاح في أدب خضر نبوه هي الجوع، والفقر والحرب والسجن، إذ ينحاز في كتابته إلى الفقراء فيلتزم بقضيتهم، ويؤسس مع زميله الأديب عبدالله لحود حركة اللاعنف سنة 1967، وربما يكون هذا الضغط الاجتماعي والطبقي هو الذي ألقى بظله على التجربة برمتها وأخذ بها إلى مجاهل النسيان، إذ كتب نزار مروة في جريدة «النداء» سنة 1979: «قد يكون خضر نبوه من هؤلاء الكتّاب الذين لم تكن الكتابة لهم مجزية بأي شكل من الأشكال، بل كانت مجازفة لا حدود لها، وأي مجازفة أكبر من أن يستمر الكاتب في الكتابة أكثر من عشرين عاماً وفيها تختلف أنواع الفنون الأدبية من قصة قصيرة وشعر ورواية ومسرح، ثم يجد نفسه بعد هذه المسافة الزمنية الشاسعة غير متمتع بمجد الكتابة أو بشهرة المهنة الأدبية؟».

ملفّ

أدباء لبنان المنسيّون... مختارات إبداعية

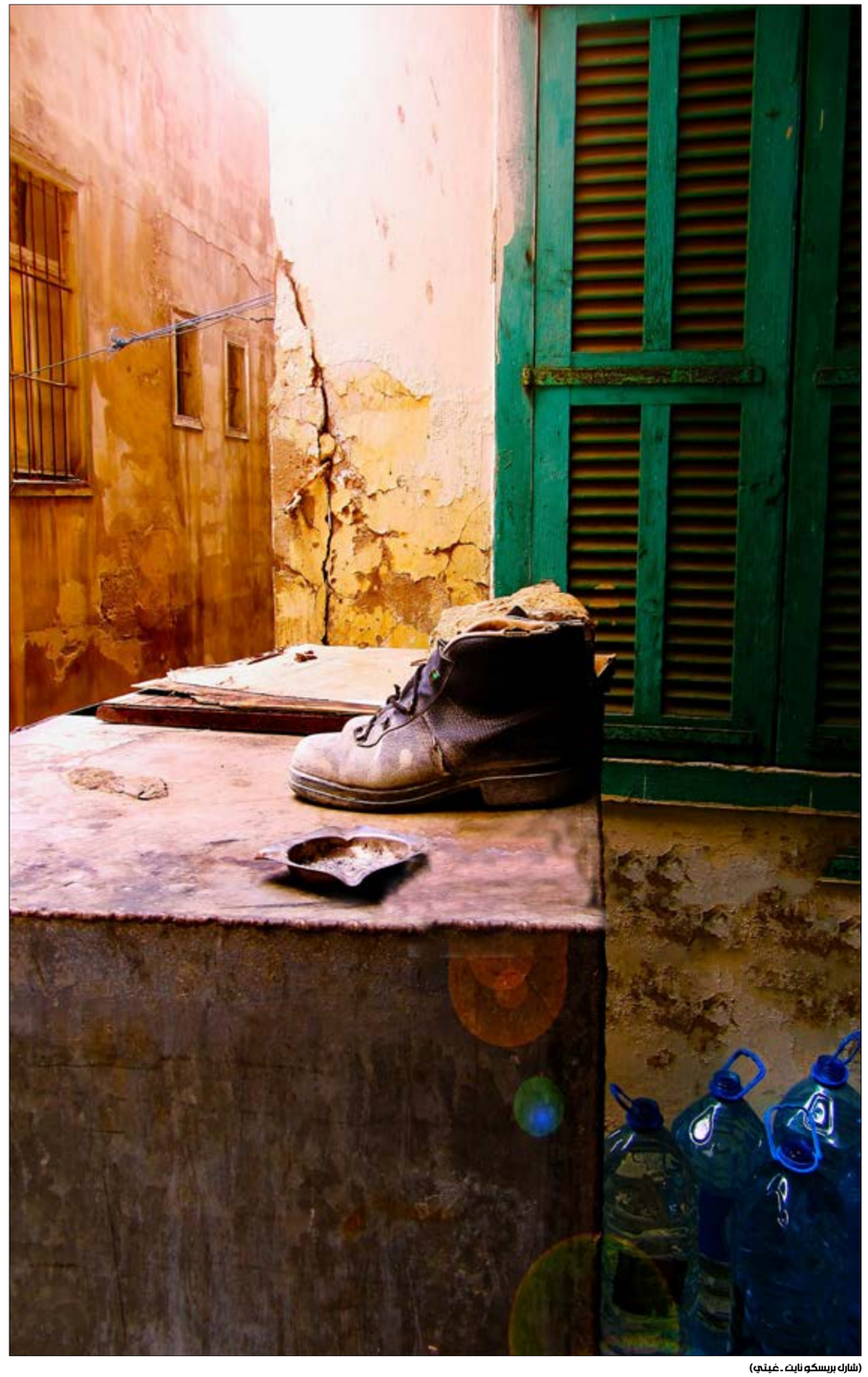
(شارك بريسكو نايت ـ غيتي)

1- بلقيس الحوماني
مقطع من «حي اللجا»

ابتدأ الأرق عند فطوم يأخذ شكلاً جديداً... ففي كل ليلة، كان يبتدئ بصورة واحدة لا تتغير. هي صورة أسعد وقد تمدد في التابوت هادئاً ساكناً، كانت فطوم تجلس قرب الميّت مع غيرها من النسوة وقد عصبت جبينها بالعصابة السوداء، ومضت تستمع إلى المؤبّنة المحترفة تتلو مآثر الميت وتستدر بتفجعها الدموع. لم تكن فطوم تبكي... ولكن أحاسيسها وكلّ مشاعرها كانت مركزة في عينيها المشدودتين إلى ذلك الجسد المسجّى أمامها والمغطّى بغطاء أخضر. وفجأة، ارتفعت صرخة حادة وارتمت سعدى على الجسد الممدد، مادّة يدها تزيح الغطاء عن وجه ابنها ثم تنكب عليه تغمره بالقبلات والشهقات. وقامت إليها النسوة يرفعنها عن جسد الميت بينما كانت هي تزداد تشبثاً بالجثة وهي تطلق صرخات هستيرية. ولم تتحرك فطوم، وإنما بقيت عيناها عالقتين بوجه الميت وقد اتسعت حدقاتها بنظرة ثابتة مسحورة. لم تكن فطوم قد رأت ميتاً في حياتها من قبل. وكان ذكر كلمة «ميت» تبعث دوماً في جسدها قشعريرة باردة ويدفع شفتيها إلى النطق باسم الله. «ميّت»... إنه شيء غامض رهيب لا يمتّ إلى عالمنا هذا بصلة، يكمن في النهار في جوف قبر موحش، ويقوم منه عند انتشار العتمة ليجول بين القبور أو يزور منازل أعدائه ملقياً في قلوبهم الرعب... ولكن في هذه اللحظة، لم يكن ذلك الممدد أمامها مجرد ميت... لقد كان أسعد... نعم أسعد... بدا لها مختلفاً عما رأته عليه لآخر مرة في بيروت... لقد ارتدّ الآن إلى أسعد القديم... أسعد الوديع الطبيب... الرجل الوحيد الذي لمست منه الود والعطف وأشعرتها نظراته بالحنان والطمأنينة. لقد ارتدّت الآن إلى وجهه تلك المسحة التي افتقدها منذ زمن طويل... مسحة الهدوء والدعة... لقد بدا وجهه كما لو كان يصلي.

2- منى جبور
مقطع من «الغربان والمسوح البيضاء»

ودخلت الغرفة. أمسكت حدة أعصابي وبدأت أقهقه أمام حبل المشنقة، أغلقت الباب بسرعة وأخذت أقهقه بقوة وفجور. لا، صوتي لا ينسجم بعد مع المؤامرة. رفعته قوياً وبدأت أقهقه. وأخيراً هل ينهزم خيال الموت لو قهقهت حتى الغد، هل يختفي من عيني خيال الخروف المعلق في المسلخ. هل تفقد التجربة أقدامها؟ تعرّى عجزي بوضوح وألم. قفزت وشددت الزنار وقطعته عن عقدته وعضضته وعضضته وعضضته حتى استقرت أضراسي في بدنه وارتميت على السرير. انتهى الآن بطل التجربة، تمزّق، أستطيع أن أعاود القهقهة والقفز. أستطيع أن أقف أمام النافذة وأفتح صدري للهواء وأزغرد مع الهواء وأرقص الفالس مع الهواء، الهواء أمير أسمر يلبس بذلة إسبانية مقصبة. له ذراعان من الحديد والحرير، وعينان بلا لون ولا قعر وصوت قوي وحنون وصدر واسع كبستان التفاح المقابل... الهواء أمير أسمر... أدرت المذياع. انتشرت موسيقى «الباسا دوبلي». ضممت الهواء إلى صدري وبدأت أرقص. جمد خيالي في المرآة، وقفت: خروف معلق في مسلخ، الوليمة الكبرى المعدة للاستمرار. هرب رأسي من النافذة. إذا لحقه صدري وخصري وأردافي أهوي بكليتي فوق الكرسي الحجري في الأسفل وأتمزق وأموت، لم يمت بطل التجربة، أمسكت طرفي المرآة. اهتزت وارتجفت وقد تترك مكانها وترتمي فوق رأسي وأتحطم وأموت. بطل التجربة لم يمت... أنا وحدي المعرضة هنا للموت... معرضة للموت معدّة للموت، مهيأة للموت. أستقبله ببرودة وبثياب النوم وبلا أقواس نصر، يدخل، يمسك عنقي يقتلعه بسهولة ويمضي. يرتطم جسدي على البلاط. تنبعث منه رائحة، تشتمه خادمة الفندق وهي تكنسه وترميه بين قشور الموز والليمون وعظام الفراريج المحمرة... اعترفت وتناولت القربان الأقدس. قلت لها: من رجع من هاتيك الدنيا وقال شيئاً؟ نهرتني: لا تكفر. دعك من الله! تحدّيتها: كلها أوهام! كالحشرات ناتي وكالحشرات نعيش ونعشّش ونكثر وكالحشرات نموت. وليس أنا أو أنت مديناً بوجوده لأكثر من سانحة لذة. وشددت على سانحة لذة. اشرأبّت نفسها. خفقت نفسي. خامرني حدس خفي بأن الواقعة واقعة وأن نوشا تدور وتدور حول قبرتي. بارحتني إلى غرفتها. عادت، بيدها مكواة. لم أحفل. بادرتني: بعد حمام الصباح صفعني الهواء. أجبتها: كل همّ إلى فرَج! قالت: أريدك تكوي ظهري. لم أفهم. وضعت المكواة قرب سريري. انطرحت كشفت لي عن ظهرها. سنون وسنون تبدّت على ظهرها. ألقت عليه قميصاً مطوياً بضع طيات. دنوت حائراً. دنوت خائراً. رجفت يدي. تحركت المكواة. ذهبت. أبت. - نزّلها. نزّلها. ارفعها. ارفعها. اكبس. بعد. بعد! لم أفهم. لم أفهم. رحت أستبين دليلاً في وجهها. طمرت وجهها. هرّبته من وجهي. لاصقتني. كدنا نهوي.

رقص الرفاص!

فتى أحلامها صرت، فارسها الأول. خشبة خلاصها الوحيدة قبل المغيب. وصرت أشاطرها ثديين لها سائلين وفخذين مبرغلين وقلباً يحسب ويتحسّب لنسبة غلاء المعيشة... وصارت تشاطرني راتبي ورتابتي وضجري. وضجري مقعد لا يبارح، طفا أسنه على ملامح وجهي: عينان غائبتان مازجت بريقهما مشحات خيبة. خدان ثنيتان وخطوط ذاهبة آيبة حول الأنف، في الصدغين، في الجبين. وشعر يتضاءل ويشيب شيباً فشيباً. وسؤال يسأل: أأنا جاد؟... أأنا الإكليريكي الذي أنزله أبوه الخوري فرام (رحمه الله) من قريته راس الميّ ليُنذره كاهناً للرب، فعاف النذر، وعاف البيت، وعاف القرية. لا جواب لديّ. لا جواب، سوى حاضر تفاه اجترّه ورائي: خمسين سنة ملأى باللاشيء. وثلاث محاولات انتحار ولا انتحار، لا جراة لي على هذه البطولة. ومحاولة سفر، محاولة هروب من ماضيّ، من حاضري، من غدي، ولا هروب. أبعد من غرفتي في أحد زواريب حي اليسوعيين لم أبعد. بلى، رجعت مرتين إلى راس الميّ: مرة لأدفن أمي، وثانية لأدفن أبي. ورجعت مرة ثالثة لأبيع الرزق والبيت. وبعدها رحلات بين مكتبي وغرفتي وحانة أبي نواس، على مرمى حجر من غرفتي.

3- خضر نبوه
مقطع من «إنسانية الفئران»

الناس ولدوا في أسرّة من حرير وأنا ولدت في مجرور ماء. الناس ظهورهم رشيقة عضلية تنتصب كالشهب وأنا ظهري تقرقش واحدودب. الناس يعيشون مع ناس مثلهم وأنا أعيش في مقبرة تموج بالقذارة والجثث وليس فيها من الأحياء سوى أنا والفئران. واعتزمت أن أخرج إلى سطح باريس: يجب أن أعرف، بأي ثمن، من أنا؟ فإن فأراً، فلأبقى في المجارير، وإن إنساناً، فلأبقَ وسط الناس. كنت أرتدي ثوب العمل الأزرق وجزمة (ما زالت بشكل جزمة) وقبعة زال شكلها ولونها وكنت أحتفظ باجرة شهر كامل في جيبتي الخلفية هي مجموعة من أوراق العشر فرنكات. إذن، فشكلي كان أكثر من أي وقت يحرّضني على أن أعيش في العالم الإنساني، وما عليّ إلّا أن أمارس إنسانيتي مثل كلّ الناس. فسرت في الشوارع المزدحمة بالناس في هوس ولد. وكنت أذكّر نفسي بأني إنسان بعد كل لحظة حتى لا أنسى وأنا بالمداس الملتحف بالقذارة والثياب البلدية وسط الأحذية اللامعة والطقوم وسيارات الرينو الملائكية... وغرزت فأرة أسنانها بلحم صدري وصرخت: «قبضت عليك أيها المزيف». وبقدر ما أساءني أن تتخذ الفئران مني عدواً - وأنا الذي ما عاديت أحداً - سررت أن تؤكد إحساسي بأنني لست فأراً، وقفزت الفأرة من عنّي وهي تصوصئ بازدراء عائدة إلى المجارير! لم أهتم. ومع ذلك، فقد تملّكني الخوف بعدما اختفت عن عيني. إن لم أكن من البشر، فكيف سأقدر على العودة إلى عالم الفئران وقد اكتشفوا زيف فئريتي؟ عدت أتأمل في شكلي، فأبدد خوفي مؤكداً على أني لن أعود إلى عالم الفئران وأني إنسان مثل كل الناس ومن حقي أن أعيش في وسطهم. ولكي أحسم المشكلة، قررت حالاً أن أمارس على نفسي تجارب إنسانية. قلت لنفسي: سأرتاد المسرح الليلة ولا بأس أن أمارس التجارب الأخرى في الأيام التالية. كان مسرح الأوبرا أقرب المسارح إلى النقطة التي وصلت فيها. ولم أكن شاهدت منه طوال خمسين سنة سوى المجارير. وكان رائعاً أن انطلق من بابه الرخامي لأزهو بإنسانيتي وسط قاعاته ذات المرايا البلورية والتماثيل الفنية وتحت أنظار شرفاته المتلألئة بالحلي والأنوار.

4- فؤاد كنعان
من «أولاً وآخر وبين بين»

كنت يومذاك في غرفتي... ولم يكن أنور يشاركني في غرفتي، ولا كان في البال. أعدّت نوشا ركوة قهوة. كانت عائدة من قداس الفصح: - الدين، الدين، عندي قبل كل شيء، قالت... وأجباتها الدينية كواجباتها الجسدية سواء بسواء. هكذا تبينت في ما بعد. تؤثر الإيمان على الكفر، فيه راحة لضميرها، كما تقول، وليس فيه أي خسارة. أبسط خطيئة خطيئتها السادسة. لا أحبها. لا أكرهها. أتداخلها وأخرج، مليحاً قبيحاً، سيّان! كنت يومذاك في غرفتي، قلت، ولم يكن أنور يشاركني في غرفتي، ولا كان في البال. كانت نوشا عائدة من قداس الفصح. جلسنا في الغرفة وجهاً لوجه، نشرب القهوة ونسوكر. بشّرتني أنها اعترفت وتناولت القربان الأقدس. قلت لها: من رجع من هاتيك الدنيا وقال شيئاً؟ نهرتني: لا تكفر. دعك من الله! تحدّيتها: كلها أوهام! كالحشرات ناتي وكالحشرات نعيش ونعشّش ونكثر وكالحشرات نموت. وليس أنا أو أنت مديناً بوجوده لأكثر من سانحة لذة. وشددت على سانحة لذة. اشرأبّت نفسها. خفقت نفسي. خامرني حدس خفي بأن الواقعة واقعة وأن نوشا تدور وتدور حول قبرتي. بارحتني إلى غرفتها. عادت، بيدها مكواة. لم أحفل. بادرتني: بعد حمام الصباح صفعني الهواء. أجبتها: كل همّ إلى فرَج! قالت: أريدك تكوي ظهري. لم أفهم. وضعت المكواة قرب سريري. انطرحت كشفت لي عن ظهرها. سنون وسنون تبدّت على ظهرها. ألقت عليه قميصاً مطوياً بضع طيات. دنوت حائراً. دنوت خائراً. رجفت يدي. تحركت المكواة. ذهبت. أبت. - نزّلها. نزّلها. ارفعها. ارفعها. اكبس. بعد. بعد! لم أفهم. لم أفهم. رحت أستبين دليلاً في وجهها. طمرت وجهها. هرّبته من وجهي. لاصقتني. كدنا نهوي.

رقص الرفاص!

فتى أحلامها صرت، فارسها الأول. خشبة خلاصها الوحيدة قبل المغيب. وصرت أشاطرها ثديين لها سائلين وفخذين مبرغلين وقلباً يحسب ويتحسّب لنسبة غلاء المعيشة... وصارت تشاطرني راتبي ورتابتي وضجري. وضجري مقعد لا يبارح، طفا أسنه على ملامح وجهي: عينان غائبتان مازجت بريقهما مشحات خيبة. خدان ثنيتان وخطوط ذاهبة آيبة حول الأنف، في الصدغين، في الجبين. وشعر يتضاءل ويشيب شيباً فشيباً. وسؤال يسأل: أأنا جاد؟... أأنا الإكليريكي الذي أنزله أبوه الخوري فرام (رحمه الله) من قريته راس الميّ ليُنذره كاهناً للرب، فعاف النذر، وعاف البيت، وعاف القرية. لا جواب لديّ. لا جواب، سوى حاضر تفاه اجترّه ورائي: خمسين سنة ملأى باللاشيء. وثلاث محاولات انتحار ولا انتحار، لا جراة لي على هذه البطولة. ومحاولة سفر، محاولة هروب من ماضيّ، من حاضري، من غدي، ولا هروب. أبعد من غرفتي في أحد زواريب حي اليسوعيين لم أبعد. بلى، رجعت مرتين إلى راس الميّ: مرة لأدفن أمي، وثانية لأدفن أبي. ورجعت مرة ثالثة لأبيع الرزق والبيت. وبعدها رحلات بين مكتبي وغرفتي وحانة أبي نواس، على مرمى حجر من غرفتي.

5- محمد عيتاني
من «حبيبتي تنام على سرير من ذهب»

وصلت الآن إلى صالون السيدة نهاد. رائحة ويسكي وعطور نسائية وضحكات رنانة. لست وحدك. السيدة العظيمة جالسة تبتسم في زاوية الصالون. وهج ذهب على شعرها. وابتسامتها الرقيقة الساخرة هي ذاتها وسألتك وأنت تنفض عن كتفك العريضة بتلات الأزهار الحمراء والبنفسجية:

- من هو إبراهيم هذا الذي تتشاجر معه داخل ذاتك يا أستاذ عصام؟ ضحكت لكما الصحافية رينيه فرهود، بيضاء سمينة، طيبة العتمات، وعيناها نجلاوان شديدتا السواد كحبّتي عنب أسود، قالت رينيه بصوتها القوي الرنان: القصاصون المبدعون يحدثون أنفسهم دائماً بصوت عال! جلست قرب رينيه. ضغطت على يدها. الحضور زهاء خمسة عشر أو ثمانية عشر صحافياً وفناناً وهاوي تُحف. المسألة أقرب إلى المؤتمر الصحافي، لم تعطك نهاد، بواسطة الأستاذ صاحب الجريدة، موعداً خاصاً، في زاوية الصالون شيء كبير أشبه بسرير غطي بغطاء أسود واسع من المخمل الأطلس. دارت أنطوانيت، الخادمة المعهودة بكؤوس الويسكي. قطع الثلج الصغيرة ترن بين الجدران الدائرية المسماء. عالم الصالون. قرب هذه الأريكة النبيذية الطويلة، القبلة الأولى، وفي الداخل، وراء هذه الجدران الأرجوانية الغامقة، كانت «نعم» الأولى، وتحت هذا الجدار المزين بصورة مريم العذراء، والمضاءة تحتها شمعة خالدة أقسمت نهاد لك على الإخلاص الأبدي، وعلى هذه الأريكة الزرقاء الكحلية وضعت يدها أخيراً على يدك وقالت: دعنا من الماضي يا عصام. أنت شاب أمامك مستقبل. وأنا امراة اوشكت على الانتهاء. ولماذا التشبث بكومة رماد؟ كاذبة أم صادقة؟ لست تدري. لكنك كنت تعباً، كتبت عدة مقالات في الصباح، ودرت على عدة دائنين، تريد أن تستدين لتنفق على نهاد دون أن تدري بحقيقة وضعك المالي إذا صحّ القول إن لك وضعاً ما، بعد الظهر انصرفت إلى المطالعة في موضوعات النقد الفني والتاريخ. وقرأت صحف النهار.

قالت السيدة الحسناء نهاد م. وهي تضع كوب الويسكي على الطربيزة الصغيرة: أيها الأصدقاء، أرحب بكم في منزلكم. ولا بد أنكم قراتم في الصحف نبأ السرير الفضي التاريخي العظيم الذي حصلت عليه مؤخراً. كم كلّف السرير؟ ليس أمراً مهماً! من سيشتريه؟ ليس أمراً ذا بال، هناك عدة مليونيرات مليارديرات، لبنانيون وعرب وعالميون، يتنافسون عليه. وتتعهد صاحبته بأن لا تبيعه إلا في مصلحة لبنان. التصفيق من محرر جريدة «النور»، وجريدة «الجبل»... أجل لن أبيع هذا السرير إلا في مصلحة لبنان لكنني لم أدعُ أصدقائي الصحافيين لألقي عليهم خطاباً في حسنات هذه التحفة الفنية النادرة. بل دعوتكم ليتشرف السرير برؤيتكم له. ونهضت نهاد م. وسط التصفيق وتقدمت من الشيء الكبير المغطى بالأطلس الأسود وراحت تنزع عنه الغطاء على مهل شيئاً فشيئاً، وحين بدا جانب من ذلك المخبوء اتضح تماماً أنه ليس بالمرة سريراً أنيقاً، ولا هو شيء فضي. إيه! ما هذا يا أنطوانيت؟ وصرخت السيدة نهاد وشعرها الأشقر الناعم يتطاير مع هزة رأسها المنفعلة: ما هذا يا أنطوانيت؟ وكأنما السيدة نهاد خافت من سرقة رهيبة أو كارثة ما، فسارعت مرتعشة لإماطة اللثام نهائياً عن الشيء المخبأ، ورأى جميع الحاضرين، بأعين مندهشة، متعجبة، أو ساخرة مزدرية، سريراً حديدياً عادياً أسود القضبان، وعليه فراش أحمر رقيق أشبه بالحصير أو أشبه بلحاف اللاجئين، وفوق الفراش ألعاب أطفال عدة: سيارات شحن زرقاء وحمراء، وكلاب ودببة من البلاستيك والصوف، زهرية وباج وبنية، ومرشة ماء بلاستيك، وجرائد قديمة عنوان إحداها - هبت - و - المانشيت سوبيستيك الربيع! وقطعة حقيقية بيضاء مرقطة بالأسود تمسك بمخالبها فأراً صغيراً حقيقياً تلاعبه وتقفز حوله على اللحاف وتسد عليه الطرقات والمنافذ مستعدة لالتهامه بعد هذه الملاعبات القططية الرهيبة. وصرخت السيدة نهاد: أنطوانيت تعالي إلى هنا!

-أمر يا معلمتي؟

- هل قلت لك أن تسحبي إلى هنا سرير أولادك أم سرير نابوليون الثالث؟

- بل سرير نابوليون السادس يا سيدتي. ولكن لست أنا الذي سحبته بل العتال أبو حسين الفيل. وصاحت السيدة نهاد: ليس يوجد عندنا نابوليون السادس. قال مراسل جريدة معارضة: بل عندنا شارلي الثاني لبنانياً والثامن عشر إذا بدأنا العد من شارل-كنت. ضحك بعض الصحافيين. وقال أحدهم، وهو كبير السن بعض الشيء: النابوليونات ثلاثة فقط يا سيدتي. وهناك نابوليون الذي على ليرة الذهب.

والآن أين هو السرير الحقيقي؟

نظرت السيدة نهاد، وهي تمد ذراعيها البيضاء العارية نحو أقصى الغرفة المجاورة، وانتقلت معها أنظار جميع الحاضرين: إنه هناك، أيها السادة. وركز الجميع أنظارهم على زاوية الغرفة المجاورة، وعبر السجاد العجمي، التبريزي والقاشاني الثمين، ووراء الموائد الصغيرة، وتحت التابلوهات البديعة المعلقة في الجدران، كانت في زاوية من الغرفة، كتلة متوهجة بيضاء، تتألق تحت أضواء النيون.

وتساءل عصام ناجي في دخيلته وهو يحدق من بعيد في هذه التحفة الغريبة: أتكون هذه القطع المسبوكة من الفضة، وهذه القبة من الحرير الرمادي والأحمر، وهذه القوائم الفضية المسبوكة بذوق وإتقان، هي سرير نابوليون الثالث، رجل المؤامرات والانقلابات والمطارات، الناجح الأكبر في المعارك ضد الطبقة العاملة الباريسية والفاشل الأكبر بعد هزيمة كومونة باريس، السجين الصغير في سجون ألمان، الشارب من دماء عمال النسيج في ليون، والواغ في دماء شعب الجزائر، والمرسل زوجته الإمبراطورة أوجيني لتنهب أموال الشعب المصري أيام احتفالات تدشين قناة السويس. نابوليون الثالث، الذي وقف ضده يوماً فيكتور هيغو، شاعر فرنسا الكبير، يصيح في وجهه وسط مجلس الشيوخ: ماذا؟ هل لأنه كان لنا نابوليون الكبير، يوماً، أصبح حتماً علينا أن يكون لنا نابوليون الصغير؟! وكان أستاذ الحقوق الدستورية في الجامعة اليسوعية يقول لعصام ناجي ورفاقه: ولم يدر فيكتور هيغو، أنه بتمجيده الملحمة النابوليونية الأساسية الكبرى، إنما كان يفتح الطريق واسعة بشعره لمجيء النابوليونات الصغار، بصرف النظر عن أسمائهم.

6- عبد المطلب الامين

أ ـ حلمي المخمور

يا حلمي المخمور من رؤعك؟/ ويا ظلام الصبح من أطلعك؟

حتى على الأحلام ران الأسى/ يا مصرع الأحلام ما أروعك!

يا كوكبي الهادي ويا جنّتي/ ما أظمأ الدنيا وما أترعك!

مات الهوى والشوق في مهجتي/ وماتت الآهات إلّا معك.

■■■

ب ـ مناجاة

امنحي الروض في الخريف ابتسامه/ تُذكّريه أقاحه وخزامه

وابعثي الحب للشباب مدامه/ تسكريه وتوقظي أحلامه

أنت مثل الربيع يغذو الكمامه/ من ندى الفجر أو رذاذ الدموع

سورة الحب للقلوب حميما/ فاملأي الكاس من شعاع المحبّا

وابعثيه مع الخيال إليّا/ تمنحيني الحياة شيأ فشيا

أنت مثل النجوم تكسو الثريا/ حلة النور وازدهار الربيع

إن سمعت هزار شعري يناجي/ ربّة الشعر في سكون الدياجي

فاشاحت بنورها عن سراجي/ ابعثي النور من خلال الرتاج

أجّتني في الضلوع أزكى نتاج/ خمرة الحب في كؤوس الدموع

7- صفوان حيدر
قصائد من «أورفليس»

أ ـ لزيتونة غافية

نامت ولم يسحبوا جثة الشمس من جفنها.

نامت ولم يشربوا ولو بعضاً من إغفائها

كان المساء يرخي سدوله منتحباً فوق نهديها الخشبيين. وبعد بكاء طويل، وبرَ من ضباب أبيض حكيم

راح يتجمع فوق وريقاتها.

عندها، بدت وديعة كالفجر

مستسلمة كالمغيب، متعبة كيوم طويل.

ب ـ للبندقية ـ الوردة:

حامل البندقية

لا تليق به رقّة القلب

وحامل الوردة

لا تليق به قسوة القلب

وحامل الاثنتين معاً

لا تليق به براءة القلب.

ت ـ ليسوع:

عارياً كالدودة خرجت من رحم أمي.

وعارياً كالدودة أعود إلى رحم الأرض.

ها قد قبلت بمجيئي إلى هذه الدنيا

فلماذا لا أقبل برحيلي عنها؟

ها قد قبلتُ الصفعة على خدي الأيمن

فلماذا لا أقبلها على خدي الأيسر؟

ث ـ لفصول السنة

الشتاء ثوب فرو

الربيع فجر دائم

الصيف شراب منعش

والخريف قهوة للضيوف المسنّين

فلسفة

يوجين ثاكر: مانيفستو التشاؤم

يخوض الفيلسوف والشاعر الأميركي وأستاذ الدراسات الإعلامية غمارَ البحث في التجارب الوجودية القصوى، والتفكير في العبث الذي يبسط ظلاله على العالم. بعد ثلاثيّته «رعب الفلسفة»، كتب مؤلَّفاً عن التشاؤم والعدمية بعنوان «التشاؤم الكوني»، ليصدر أخيراً بنسخته العربية ضمن جزأين: الأول «في التشاؤم» والثاني «قدّيسو التشاؤم»

بول مخلوف

ينتمي الفيلسوف الأميركي يوجين ثاكر إلى شلّة من المتأملين في سراديب الوجود البشري والغموض الذي يكتنزه. بحثه هو بحثٌ في ذاك النفق المحتجب الذي ما إن يُعتلَن أمام المرء حتى يشعر بأنه على وشك الانهيار أو على شفير الهاوية. في كتابه «في التشاؤم» الذي انتقل أخيراً إلى المكتبة العربية (دار الكرمة ــ ترجمة أنور الشامي)، يشرّح ثاكر التشاؤم بوصفه علّة أنطولوجية وليس مجرّد مزاج سيّئ أو غواية تجذب محبّي التذمّر والاشتكاء، بل مُعطى وجودي وحقيقة ميتافيزيقية. إننا ملزَمون بمهمة لم نختَرها، وهي العيش، في «أسوأ العوالم الممكنة». يخطو ثاكر بعيداً ويتبدّى التشاؤم معه بما هو تحقيق وليس عرضاً، متجاوزاً البُعدين الذاتي والموضوعي: إنه حدثٌ كوني (كوسميّ مرتبط بالكوسموس)، هُناك خواءٌ، غياب للمعنى عند الباحثين عنه في عالم يكتنفه الغموض واللامعقول، وهذه المرارة متاصلة حتى في «العالم من دوننا». هذا يعني أنّ التشاؤم لوثة تصيب الجميع، عدوى لا ينفلت منها أحد. ثمة تهديد مستمر يطاول النظام بشكله المنسجم والمتناغم، لا كلمات مخلصة للدلالات ولا أجوبة نهائية للأسئلة، لذلك علينا، بحسب المؤلف، التعاطي مع التشاؤم من منظور جديد. في نثر آخاذ يلامس الشعر، يكتب يوجين ثاكر شذرات منضبطة ومكثّفة، ما يسمح له بإزالة الضباب عن التشاؤم حتى تنكشف لنا الرؤية شيئاً فشيئاً: التشاؤم نشيد جنائزي طويل يرثي العالم بقدر ما يرثي صاحبه، وهذا الرثاء قادرٌ على فكّ السحر عن العالم لأنّ المتشائم على يقين بأن الوجود، في نهاية المطاف، منذور للعدم، فلا الأساطير، ولا القداسة، ولا البطولة تشفع لتغيير هذه الحقيقة أو تجميلها. فالمتشائم يعلم أن لا عزاء لتعاسته الوجودية، وبذلك فإنه متسلّح بتشاؤمه الذي يسمح له بتقبّل هذا الوجود المضني والإذعان لمساراته. التشاؤم إذاً هو «حب القدر»، هكذا يحبّ المتشائم قدره، لكن بطريقته الخاصة، هو منصاع لصيره، لا يضع آمالاً مثلما لا يأبه بالمآلات القادمة. قائمته المعيارية بيضاء، لا تعريف عنده لما هو الأسوأ ولا يمتلك ملامح لما هو الأفضل، جلّ ما يطمح إليه هو السكون علوياً عن الخوضات التي تدفعه غالباً نحو اللجوء إلى كهفه، أو الغوص وحيداً في تذمره، أو الغرق في السأم. والتشاؤم عند ثاكر هو نفيٌ تام، وبالدرجة الأولى نفيٌ للقائم، أي للبداهة، لحالة الأمور كما «هي عليه»، مثلما هو رفض مطلق للتفكير بطريقة أخرى، ملتوية، تتمثل بسؤال: «ماذا لو كان الأمر على هذا المنوال؟». ذلك أن العالم علوياً بالاحتمالات السلبية، وكل محاولة للتجاوز قد تُعرّض صاحبها إلى الوقوع في مأزق تراجيدي جديد، يفوق بتراجيديته الموقف الذي سبقه. ليس للفشل علاقة هنا. العلاقة السببية غامضة أساساً، إذ غالباً ما تبرز النتيجة في حين يبقى السبب مخبوءاً. إنّ المتشائم يدرك «جوهرانية» الفشل، أي حقيقة وجوده، واشتغاله الخفيّ، وفي حال حدث وفشل المرء، فالمتشائم لا يتساءل عن السبب إنما عن التوقيت.

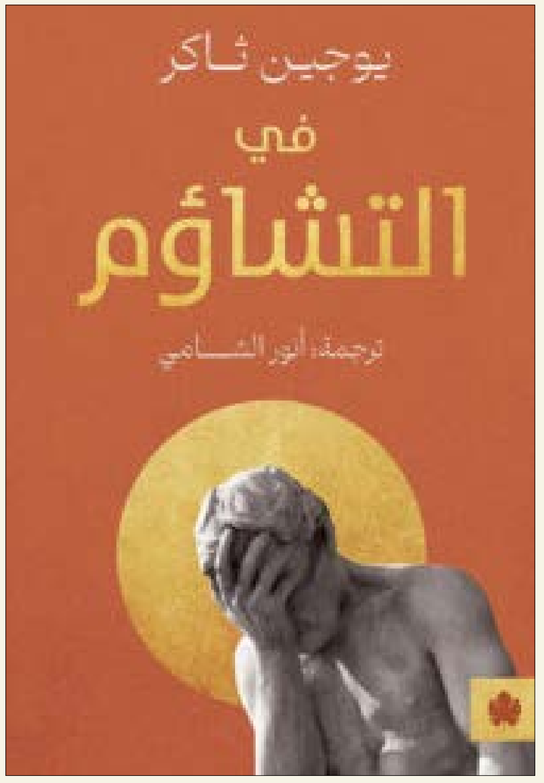

يشرّح التشاؤم بوصفه علّة انطولوجية وليس مجرد غواية تجذب محبّي التذمر

هكذا يتيح التشاؤم لصاحبه أنّ يقرّ إقراراً جلياً أنّ الحياة مجبولة بالقساوة، وأن اللااكتمال هو الشكل الذي تتخذه الأشياء المحكومة بنظام مبهم، وما من خيار أمام المتشائم سوى المضي قدماً متمسكاً بذريعة تلخّص بالتالي: على الأقل لقد حاولت. وهذا ليس تمسكاً بريئاً بالأمل فقط بما يستخلص الكاتب، إنما هو التفاؤل بعينه.

ينزع ثاكر الطابع السطحي الذي اتّسم بالتشاؤم، ويقرر أن يكون نداً للتاريخ الذي أمعن في هجاء المتشائمين، وغرِسا لـ«ارث الطويل من الرفض الذي لحق بالتشاؤم وطرده بعيداً عن مواضيع التفكير. في كتاب «في التشاؤم»، يهشّم ثاكر تلك الدلالة (التشاؤم/ المتشائم) التي خنقتها وظيفة الوصف؛ بعدما صار التشاؤم ملازماً لتوصيف المزاج السيّئ والطباع المعكّرة والنظرة المضطربة السوداوية. يصقل المؤلف في المقابل معنى التشاؤم باعتباره حالة البداءة، والحقيقة الوحيدة المغمّسة بالمرارة التي لا مفرّ إلا عبر النظر من عدستها. ستتيح هذه العودة إلى التشاؤم عند ثاكر قراءة الوجود والعالم من جديد، في تنظير لا يخفي انحيازه، ينبثق من ذاتية فاقعة تنزلق أحياناً نحو الاعتباطية، كانطلاقة صاحبها من مسلماتٍ ليست مثالاً القديسة كاثرين الاسكندرانية أو بدا كتابه المعنون «في التشاؤم»، الذي كاثرين ذات العجلة، حيث كُتبت باداة التعذيب التي عُذبت بها»، يذهب ثاكر إلى تدوين سيرة فلاسفة كانوا أشدّ المتشائمين مغالاة. وما دام التشاؤم، كما آخبرنا في الجزء الأول («في التشاؤم»)، ليست له فلسفة بل العكس، حيث ليس من فلسفة للتشاؤم بل هناك متشائمون كانوا فلاسفةً، يأخذ ثاكر على عاتقه تدوين سيرة هؤلاء. لسنا أمام سيَر ذاتية، حيث غرض الكتابة التوثيق والتاريخ، بل أمام لحظاتٍ لها طابع استثنائي بأنها حاولت غريبة حصلت في حياة هؤلاء المتشائمين. ما يهم ثاكر في «قديسو التشاؤم» هو الالتواء الذي حصل، ما جعل المتشائم/ الفيلسوف ينعطف عن مساره المعهود. ثاكر معنيٌ بالحبكة وغير معنيٍ بتتبع المراحل، وتعقّبها، والإسهاب في كتابتها. هكذا لا يعود السرد فضفاضاً بل محصور في نطاق محدد، وقد برَز خطوته بحجة لامعة «إن سير القديسين غالباً ما تتضمّن روايات لا تعيى العين بالتحقق أو الإثبات». ومن بين كثيرين يمكن الكتابة عنهم، اختار ثاكر بشكلٍ تعسفي، كما اعترف، قلّة لتدوين سيرتهم. بنظرة سريعة لتاريخ الأدب المتمثل برواية «الأم فيرتر»، أو «أناشيد مالدورور» أو مسرح أنطونين آرتو، يجيز حضور التشاؤم أو ربما نستنتج أن التشاؤم في الشوط الأخير هو عرّاب الأدب، لكن ثاكر يترك الأدب جانباً ويتمسّك عوضاً عن ذلك بالفلسفة. هناك خيط رفيع يفصل بين التشاؤم والتفاؤل في الفلسفة حتى يكاد التمييز بينهما في حالات كثيرةٍ يكون مستحيلاً.

كان كارل ياسبرز قد ركّز في فلسفته على ما سمّاه «المواقف الحديّة»، وهي المواقف التي تدفع المرء إلى الحافة ويجد نفسه مقيداً بما يحدث فيها. على النحو نفسه، يرصد ثاكر الحالات القصوى التي حصلت في حيوات الفلاسفة الذين اختاروا تدوين سيرتهم، ما سيتيح لنا قراءتهم بوصفهم أشخاصاً يمارسون الفلسفة في بحثهم لأنفسهم عن أبواب خلفية، عن باحات كبيرة تسمح لهم بالركض بحرية، ذلك أنّ الانفلات من هذا التشاؤم لا يحصل سوى بالتوجّه صوبه والانصهار فيه. نحن إذاً نقرأ شكلاً من أشكال الفلسفة التي سمّاها ثاكر «فلسفة صغرى»، حيث الفلاسفة في صدد تطبيق فلسفتهم وليس فقط الانشغال النظري بها كما هو حالها كـ«فلسفة كبرى». وحيثما «في سير القديسين يُكنى القديسون عادةً باسم مكان ما»، سيُعبر ثاكر اهتماماً للمكان كفضاء جغرافي. هكذا سنقرأ عن مكتبة كيركغارد الضخمة، وقاعة شوبنهاور الفارغة من المستمعين، وسنتخيل غرفة بليز باسكال حيث حدثت «رؤياه»، كما سنتخيل عزلة نيتشه وهو منهمك في كتابة رسائله المجنونة. ورغم أنّ التشاؤم في نظر ثاكر خلل أنطولوجي في الأصل، ولا أحد ينجو منه، غير أنه في كتابه الثاني يظهر لنا أنه دواءٌ بقدر ما هو داء. سنجد أن الأمراض المستعصية المزمنة هي سمات يشترك فيها جميع من كتبت سيَرهم، كذلك لا انتماهُمعلصعرهم كما الإحساس بالاعتلال حيال الوجود والنظرة السقيمة تجاه العالم، إلا أن كل هذه الأمراض ستجد لها في الكتابة و«البحث عن الحقيقة» -حقيقتها - ترياقاً. والحال، أننا سنعثر على الأهم، سنجد «محبّة القدر» تلك، حيث الإذعان للقدر هو الشرط الأساسيّ الذي يتوجّب على المحبّ قدره التحلي به. ففي هذا الإذعان، كما سنكتشف، انصهار المريض مع مرضه، وبالنسبة إلى ثاكر هذا ما يشكل مفتاح الشفاء. حين تصل إلى الضوء الكامن في نهاية النفق المظلم، لن ترى أنّ النفق مظلم من الأساس. لعلّ هذه هي القناعة التي تُتيحها الفلسفة عندما تفكّر في التشاؤم، كأنّ الفلسفة عند يوجين ثاكر هي المخرج الوحيد من هذا الشقاء، ومهمّتها تقتضي الحفر عميقاً في جذور العلّة وليس مجرّد الوصف والمحاكاة أو التخمين والتخييل كما يشتغل الأدب وكما تفرض طبيعته عليه. أنْ تسير وسط العتمة كمن يرى. أن تعترف أن البصر يجترح نفسه من العماء. لا يتخيّل يوجين ثاكر سيزيف سعيداً وعلى الأرجح أنه لا يبتغي ذلك، بيد أنّ جلّ ما يريده هو تصوّر كيف يمكن للعيش أن يكون ممكناً.

العائم الذي يتركه العنوان. عندما كان «للفلسفة قديسون، ولكن حكايتهم ليست بالحكايات السعيدة، هناك مثلاً القديسة كاثرين الاسكندرانية أو كاثرين ذات العجلة، حيث كُتبت باداة التعذيب التي عُذبت بها»، يذهب ثاكر إلى تدوين سيرة فلاسفة كانوا أشدّ المتشائمين مغالاة. وما دام التشاؤم، كما آخبرنا في الجزء الأول («في التشاؤم»)، ليست له فلسفة بل العكس، حيث ليس من فلسفة للتشاؤم بل هناك متشائمون كانوا فلاسفةً، يأخذ ثاكر على عاتقه تدوين سيرة هؤلاء. لسنا أمام سيَر ذاتية، حيث غرض الكتابة التوثيق والتاريخ، بل أمام لحظاتٍ لها طابع استثنائي بأنها حاولت غريبة حصلت في حياة هؤلاء المتشائمين. ما يهم ثاكر في «قديسو التشاؤم» هو الالتواء الذي حصل، ما جعل المتشائم/ الفيلسوف ينعطف عن مساره المعهود. ثاكر معنيٌ بالحبكة وغير معنيٍ بتتبع المراحل، وتعقّبها، والإسهاب في كتابتها. هكذا لا يعود السرد فضفاضاً بل محصور في نطاق محدد، وقد برَز خطوته بحجة لامعة «إن سير القديسين غالباً ما تتضمّن روايات لا تعيى العين بالتحقق أو الإثبات». ومن

قصة

باسم سليمان يلاحق «فراشاته البيضاء»

يطرح قضايا الإنسان المعاصر مؤنسناً عناصر الطبيعة البكر

رولا حسن

انعكست العلاقة الوثيقة بين الإنسان العربي وحيوانات بيئته على عالمه النفسي، كما تجلت في إرثه الثقافي المتنوع منذ مدة مبكرة من تاريخه. التوسل بلسان الحيوان، ليس بالفن الجديد على الثقافة العربية، ولم يكن كتاب «كليلة ودمنة» أول عهده بها، وقد بلغ هذا الفن ذروة سامقة في توظيف رمز الحيوان في السياقات الإنسانية المختلفة ومحاكاة قيمته الرمزية المتولدة عن تشاكله مع عالم الإنسان، ما منح المبدع إمكانات تعبيرية أرحب لتحقيق المقاصد المختلفة، فالسرد القصصي على لسان الحيوان من أقدم الأنواع القصصية الموجودة في التراث القصصي العربي التي تعزو الأفعال والأقوال إلى الحيوان بمقاصد كثيرة، اجتماعية وسياسية وثقافية تنتقد الوضع القائم، محمّلة بمواقف وتصورات كشفت أبنية الفكر السياسي، وجدلياته مع ما يحدث في الواقع السياسي والثقافي تحت إطار نصوص سردية قصصية على لسان الحيوان، تمتزج فيها الحقيقة بالوهم، والجدّ بالهزل، والواقع بالخيال.

من هنا يمكن قراءة باسم سليمان في مجموعته القصصية «فراشات بيضاء» (دار ميسلون) وفهم ميله إلى الانجذاب نحو الأبطال غير البشريين، إذ يجعلنا نستعيد حكايا الجدات في حكاياته الصغيرة والغريبة، وأجوائها وتكشفاتها المفاجئة ورؤيتها المتبصرة. في حكايات سليمان التي تتناول المخلوقات ومصائرها، تتشوّش الحدود بين الذات والموضوع، وبين الحي والجماد، وتفضح دعوى التفوق كأن هذه الحكايات تقرّ بقوة الأسئلة بدلاً من الإجابات.

هنا لا يمكننا إلا أن نتذكر كتاب «كليلة ودمنة» الذي صدر في القرن الرابع الميلادي، سارداً حكاياته على لسان الحيوانات عبر سلسلة من القصص التخيلية والأسطورية التي تتناول أكثر من موضوع، وأهمها علاقة الملك بشعبه وبعض المواعظ الشعبية والحكمة السياسية، فماذا أراد باسم من هذا التناص أو المحاكاة؟

عبر قصصه القصيرة، يجتهد صاحب «جريمة في مسرح القباني» في طرح قضايا معاصرة، ولكن بلسان الحيوانات والحشرات والطيور. هل لأنّه ما من طريقة أخرى لقول كل ما أراد قوله أو بعبارة أخرى ما أراد إيصاله؟ لم يعطِ سليمان البطولة للبشرية التي تقتتل على الأرض وتقاتل من أجل السلطة والمال بل أعطاه لكائنات صغيرة وبريئة. وكما يوضح باسم، فإنّ القصص في «فراشات بيضاء» هي أنسنة مضادة أو لنقل إنّ القاص الإنسان تنحّى جانباً وترك الكائنات الحية تقصّ تجربتها الخاصة، فالدجاجة تكسر بيضتها في قصة «وسكتت عن الكلام المباح» احتجاجاً على جدال الفلاحين السفسطائي كأنها شهرزاد التي ترفض الاستمرار في ترويض شهريار الإنسان ولو كان السياف/ الثعلب مسروراً بالقضاء عليها.

حاول باسم تحويل المقولات الشعبية إلى حكايات غير عادية لها كثير من الإيحاءات والدلالات، موقظاً القارئ من استرخائه اللذيذ بحسب مالارميه عبر إستراتيجية سردية، شارحاً كيفية استنباط هذه الدلالات التي تشعب على قسمين: الأول بقراءتها في زمن قولها، أي العودة إلى تاريخ القول وبيئته الثقافية التي تفتح مغاليقه، والثاني استجرارها إلى عصرنا لتنطبق مع آنية أفكارنا. يمكن القول هنا إنّ سليمان يلعب لعبة الدلالة والإيحاء بذكاء، فالحكاية حكايتنا وليست حكايتنا، وبين «البين بين» يبني سليمان نصه القصير على كثرة الإحالات وتوالي الإشارات المعرفية في النص السردي، فيحتشد بتداخل الثقافات، وبالتالي تداخل الإشارات. ففي قصته «قائمة طعام»، كانت قناعة الحمل الثائر على المرياع بأن الخطر الوحيد الذي يهدد الخراف هو الذئاب، لكن عندما هرب من الحظيرة إلى الغابة، وجد النمر يأكل الخراف. وهنا ترتج ثقافة الحمل الثائر على تقاليد الخراف، لكن هذه المعرفة الجديدة لم تؤتِ ثمارها لأن النمر كان قد التهمه. إن بنية القصص عند سليمان تتجاوز في رأيه التعريف النقدي للقصة بأنها تكثيف لحدث معين منتقى كشريحة من نهر الأحداث، بل إنّ بنية القص في المجموعة تقوم على العكس من ذلك بمدّ لحظة الحدث الكثيفة والموجزة كما يفعل الرسام مع اللون لتغطية مساحة معينة في اللوحة. من هنا جاءت القصص كضربات ريشة تعبيراً عن لإمكانية قولها إلا بتلك الطريقة كضربة سكين بحسب تعبيره. يلعب العنوان في قصص سليمان لعبته الاستهلالية كشيء أولي، فهو والحال كذلك جزء مهم من المبنى الإستراتيجي للنص، وعلاقته بالنص بالغة التعقيد من حيث طاقته التوجيهية. وهنا تجدر الإشارة إلى سلطة العنوان التي لا يمكن تجاوزها، فهو أحد المفاتيح المهمة التي يمتلكها النص وحده ليدخل القارئ إليه وبالتالي يصبح قادراً على فك شيفرته ودخول عوالمه المتداخلة.

يستخدم سليمان ضمير الشخص الثالث أو ضمير «الهو»، فهو يسمح للقارئ بأن يلتحم بعالم النص، ليقدّم رؤية مغايرة عن رؤية الآخرين وتبقى هوية السارد مختفية، ما يساعد على تأكيد القول القصصي أو تثبيت الأفكار المختلفة داخل النص وهذا الضمير مرتبط بالحكاية منذ ولادتها.

يتميز السرد عند سليمان بالتكثيف من دون مماطلة للوصول إلى ما يريد قوله، حيث امتاز بتعدد حقوله الدلالية وبإثارته للتأويلات المختلفة لدى القارئ حتى يكاد يصبح شريكاً في إنجاز النص. أفاد سليمان من مهارته في اللعب على الشكل والبناء والتكثيف وآختزال الحدث المحكي مستغلاً مهارته اللغوية في القص، وهذه الأطر مجتمعة مكّنته من فتح فضاءات دلالية جديدة متنوعة عبر اللعب على الإيحاءات والرموز التي تمثلها الشخصيات، وبالتالي اللعب على الفضاء الافتراضي الذي تمنحه إياه اللغة، إضافة إلى الإحالات التناصية التي تفتح مسارات واسعة للتأويل.

يكثير من الحذق والهندسة والكثافة والاقتصاد والتركيز في اللغة والحوار والفكرة والصورة القصصية، يقدم باسم سليمان فراشاته البيضاء، وهو يطرح قضايا الإنسان المعاصر شؤونه وشجونه مؤنسناً عناصر الطبيعة البكر لتنطق بما لا نُجرؤ على قوله وتحتج على ما لا نستطيع الاحتجاج عليه عبر قصة تشبه الحكاية، وحكاية هي قصتنا جميعاً.

لمحات

باسل الخواجا

يحاول باسل الخواجا في مجموعته القصصية «الأعباء» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) تسليط الضوء على معاناة الكثير من البشر من الاضطرابات النفسية والصراعات التي يخوضونها في مواجهة المرض والمجتمع معاً. يعتقد الخواجا أنّه للتغلب على العدو، يتعيّن علينا فهمه، ودائماً ما يقيت قضية المرض النفسي في الظلام، فإنها ستظل عبئاً لا يمكن تجاوزه بسهولة. تتمحور كل قصة حول مرض نفسي معين، ويترك الكاتب المجال للقارئ لاكتشاف ماهية هذا المرض عن طريق ما تعيشه شخصيات القصة من أحداث ونزاعات مختلفة، يهدف الكتاب إلى استعراض الأعباء النفسية التي يواجهها الإنسان في حياته، وكيفية تفاعل المجتمع مع المريض النفسي. يلعب القارئ دوراً مهماً في فهم الاضطرابات النفسية، واستيعاب التحديّات التي يُواجهها الأشخاص الذين يعانون من تداعيات المرض ومن النظرات السلبية أو المشبوهة التي يتعرضون لها من قبل أفراد المجتمع.

ريم نجمي

تتميز رواية «العشيق السري لفراو ميركل» (الدار المصرية اللبنانية) للكاتبة المغربية ريم نجمي بإحالتها على شخصية سياسية مهمة، هي المستشارة الألمانية السابقة أنجيلا ميركل. تطرح الكاتبة في روايتها سؤال الهوية عند اللاجئين السوريين ومدى الشعور بقيمة وجودهم داخل المجتمع الألماني في أعلى هرمه السلطوي. وقد اختارت الكاتبة هنا بطلاً لروايتها من أصل سوري يتخيل ويدّعي حبّه للمستشارة الألمانية، وقد ترسخت هذه العلاقة في قلبه وذهنه منذ طفولته، عندما زارت ميركل مدرسته وعاملته معاملة خاصة. تُسيطر ثيمة العشق على أحداث الرواية، خصوصاً الجانب السرّي الذي يرتبط بالمغامرة والدسائس والخيانة، ما يُعزّز التشويق القصصي الذي يدفع القارئ إلى متابعة العمل الإبداعي. تمتاز الرواية بالأسلوب الشيق، والسرد الفني المسترسل، والاستخدام المحترف لتقنيات الكتابة الروائية.

عاطف معتمد

يُحلّل الباحث المصري عاطف معتمد في كتابه «روسيا وأوكرانيا - حرب عالمية غير معلنة» (دار الشروق) الأسس التاريخية والجغرافية التي أفضت إلى اشتعال حرب جديدة في أوروبا الشرقية بين روسيا وأوكرانيا. هذه الحرب التي اصطف فيها عدد كبير من الحلفاء، والأعداء، حتى لتبدو حرباً عالمية ثالثة غير مُعلنة، تجاوزت رقعتها المُساحة «قلب الأرض» في شرق أوروبا، فبلغ أثرها بقية أرجاء العالم. لقد اندلعت هذه الحرب جراء تصدّعات بُنيوية ورثها الإقليم منذ تفكك الاتحاد السوفييتي قبل ثلاثة عقود، ولا سيما النزاع على الأهمية الاستثنائية لشبه جزيرة القرم، ووجود الأسطول الروسي في البحر الأسود. والزحف المنتظم لحلف الناتو على وسط أوروبا وشرقها، والصدام بين ميراث الثقافة الشمولية ووعود الليبرالية في الثقافة الغربية. يتتبّع هذا الكتاب قصة هذه الحرب وجذورها منذ بدايتها قبل ألف سنة، ويُحلّل التراكم التاريخي والجغرافي الذي أوصلنا إلى مشاهد العنف الحالية التي انطلقت شرارتها في شباط (فبراير) 2022.

مجلة الدراسات الفلسطينية

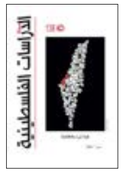

صدر العدد الأخير (العدد 138) من «مجلة الدراسات الفلسطينية» (ربيع 2024) تحت عنوان «غزة ترد» بالكتابة». يُضيء العدد على الظروف الصعبة التي يواجهها الشعب الفلسطيني جراء الإبادة الجماعية التي يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي، ويؤكد أهمية الرد بالكتابة كأداة للتعبير والمقاومة. يتضمن العدد افتتاحية لإلياس خوري بعنوان «كل فلسطين هي غزة» وافتتاحية أخرى لعبد الرحيم الشيخ بعنوان «حفظنا الوصية» وترجمة عربية لمقالة للشهيد رفعت العرعير بعنوان «غزة تردّ بالكتابة: رواية فلسطين»، يتحدث فيها عن تجربته في تحرير مجموعة قصصية أنجزتها شابات وشبان من غزة باللغة الإنكليزية. في الداخل، نجد أربع مقالات عن غزة لسنان أنطون، وواسيني الأعرج، وجلبير الأشقر ومحمد برّادة. في باب مقالات، كتب فيصل درّاج «ساطع الحصري: العربي المنتصر والهزيمة المبكرة»، وفارس اشتّي عن «انتفاضة المطلة وتداعياتها الاستيطانية». كما أعدّ عبد الباسط خلف تقريراً بعنوان «فلسطين في 3 أشهر» وغيرها من النصوص.

رولان بارت

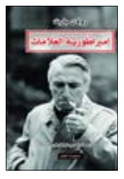

يُعتبر كتاب «إمبراطورية العلامات» (1970) الصادر بنسخته العربية عن «منشورات الجمل» (ترجمة توفيق قريرة) من روائع رولان بارت، ونقطة تحوّل حاسمة في حياته المهنية. يحكي الكتاب قصة سفر المُفكر الفرنسي الشهير إلى اليابان بأسلوب يمزج فيه بين أدب الرحلات والخطاب العلمي والنصوص النظرية وبين صور اليابان ومدينة طوكيو وبورتريه النساء اليابانيات. يدوّن بارت ملاحظاته عن اليابان، ويُبرز الوجود الكبير للعلامات في الحياة اليومية. كما يعيد وضع العلاقات بين اليابان وفرنسا في سياقها الطبيعي، بعد الاستعمار الفرنسي لشرق آسيا والتوتر الذي نتج عن ذلك. اليابان وفقاً لبارت هي «أرض العلامات»، حيث يجد الأجانب أنفسهم في حالة من الارتباك المستمر. يصل هذا البلد إلى مستوى عالٍ من الكمال والرقيّ في عدد من المجالات التي يستكشفها بارت ببراعة. يعرض عدداً من الأمثلة ويحلّلها بدأً من المواقف، والطعام، والتصوير الفوتوغرافي، وشعر الهايكو، والكتابة اليابانية وانتهاء بالمسرح الياباني.

وضاح أبو جامع

في مجموعته الشعرية الأولى «عالم محقون بالبوتوكس» (منشورات «راية» ـ الشارقة)، يلجأ الشاعر الفلسطيني المقيم في بلجيكا وضاح أبو جامع، إلى تقنية الكولاج الشعري كي يحكي عن سخطه على الواقع وتمرده على مفاهيم الحاضر والوجود والقيم السامية. تتنوع المجموعة بين قصائد قصيرة بحجم الهايكو، وقصائد متوسطة وطويلة، وتعرض لنا مواجهة حقيقية وصادمة يخوضها الشاعر مع مفهوم اللغة ووظيفتها، خصوصاً بالنسبة إلى الوجود الفلسطينيّ الغزيّ. تتميّز القصائد بقدرتها على البوح والفكاك من نظام سلطويّ لغويّ وأخلاقيّ، وتميل إلى النجاة من المحرقة الجماعية والمحرقة الفردية التي يعيشها الفلسطينيون كلّ يوم. يستخدم الشاعر الغريزة والفطرة ليُعبّر عن صوت فرديّ-جمعيّ يعاني من عدم الأمان. يتخلّى أبو جامع في بعض قصائده عن السرد الشعري المرتبط بالذات ويتخذ من صورة المرأة رمزاً للرفض والفقدان والتجدُّد.

أوراق

الفتنة الكبرى

قراءة أوّليّة في تجديد الكتابة التاريخيّة لدى هشام جعيّط

بثينة بن حسين*

يُعتبر كتاب «الفتنة الكبرى» من أهمّ الكتب التي كتبها المؤرّخ هشام جعيّط وتناول فيها أكبر انشقاق في المجموعة الإسلاميّة (29 - 650/41-661م)، وهو ما عبّر عنه بـ«تمزّق الأمّة». كما كانت الفتنة مهمّة في نتائجها، إذ نشأت بعدها مباشرة الدولة الأمويّة التي كانت أوّل دولة تركّز الملك. كما ظهرت التيّارات السياسيّة الدينيّة من خوارج وشيعة. تميّز هذا الكتاب بأهميّة دراسة ظاهرة تعمّقِ الديني وتطوّرِ الدنيوي أو الملك بما يشمله منَ محاباة الخليفَة عثمان بن عفّان لأقاربه وإثراء على حساب بيت مال المسلمين.

تطوّرُ الدنيوي

تولّى عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة (576-656م) الخلافة بعد اغتيال الخليفة عمر بن الخطّاب، وكان يُعدّ من العشرة المُبشّرين بالجنّة، ومن ذوي السّابقة والقدمة في الإسلام. لكن منذ تولّيه السلطة، عمل على تغيير نمط الحكم بإدخال المحاباة، فعيّن أقاربه في مناصب حسّاسة كتعيين شقيقه من أمّه الوليد بن عقبة عاملاً على الكوفة سنة 654م عوضاً عن سعد بن أبي وقّاص الذي كان قائد القادسيّة وأحد كبار الصّحابة. وكان الوليد معروفاً بإظهاره لشرب الخمر، فبدأت تظهر في صفوف قرّاء الكوفة حركة تململ. وطبّق الخليفة عثمان بن عفّان نفس السياسة في مصر حيث عيّن عبداللّه بن سعد بن أبي سرح لولاية مصر سنة 636. وهو ابن عمّ عثمان وشقيقه بالرّضاعة عوضاً عن عمرو بن العاص. وهو من الشخصيّات الإسلاميّة، حيث كان من قوّاد فتح الشّام، كما تولّى فتح مصر. ولم يكن عبداللّه بن سعد من أصحاب السابقة، بل كان ممّن نادى الرسول بهدر دمه لأنّه ادّعى القدرة على اختلاق آيات كالقرآن. وتطوّرت الأزمة بعد غزوة أفريقيا سنة 648 حيث منح عثمان مروان بن الحكم، ابن عمّه، خمس الغنائم متجاوزاً المبادئ الإسلاميّة التي توصي بتخصيص هذه الأموال لبيت مال المسلمين. وعيّن عثمان قريبه عبداللّه بن عامر على البصرة سنة 649 رغم صغر سنّه.

إضافة إلى هذه التّعيينات الخاضعة لعامل القرابة الدمويّة البحت، عمل الخليفة عثمان بن عفّان على تكسير سياسة الخليفة عمر بن الخطّاب، ومدّ يده إلى بيت المال، فأصبح يستعمل الأموال ليوزّعها على أقاربه، خصوصاً مروان بن الحكم. كما استعمل هذه الأموال لأغراضه الشخصيّة من بينها بناء قصر في المدينة. ووزّع أراضي العراق الخصبة على أقاربه.

رجع عثمان إلى التقاليد الما قبل إسلاميّة لبني أميّة، وهم فرع من بني عبد مناف في قريش. وقد تطوّرت هذه التقاليد بقوّة في فترة الخلفاء الأمويين حيث ظهر الملك والسلطة الفرديّة المتعارضة مع التقاليد الإسلاميّة التي فُرضت في الفترة الأولى للخلافة مع أبي بكر وعمر بن الخطّاب. كما نقمت المجموعة الإسلاميّة على عثمان لحرقه كلّ نسخ القرآن وإبقائه على نسخته المكتوبة على لسان قريش.

غذّت الفتنة الأولى تطوّر النزعة الإسلاميّة التّي كانت سبباً لمقتل الخليفة عثمان، ودافعت عن هذه النّزعة فئة الصّحابة في المدينة كعليّ بن أبي طالب والزّبير بن العوّام وطلحة بن عبيد اللّه وعائشة أمّ المؤمنين وزوجة الرسول، والقرّاء من الصّحابة والتّابعين. وهم من كتب وجمع القرآن في الأمصار خصوصاً في الكوفة والفسطاط في مصر والبصرة.

> يُعتبر هذا الكتاب حول الفتنة الكبرى كتاباً ثوريّاً ومجدّداً في التاريخ الإسلامي

تعمّقُ الدّيني

تأسّست المعارضة ضدّ عثمان في الكوفة انطلاقاً من فئة الصّحابة خاصّة، منهم عبداللّه بن مسعود وعمّار بن ياسر. وهم من فئة الصحابة المستضعفين الذين رفعهم الإسلام. وكانوا من المدافعين عن مبادئ الرّسول وأبي بكر وعمر. فقد كان عبداللّه بن مسعود مؤسّس مدرسة الفقه والحديث في الكوفة حيث كان يجلس للناس ويعلّمهم مبادئ الدين منتقداً الخليفة عثمان، فطبّق عليه عثمان عنف الدولة بضربه ضرباً شديداً. وكانت هذه السياسة الجديدة صدمة للصّحابة الذين رفع عنهم عثمان «الحصانة». ونشأت حركة المعارضة الدينيّة لعثمان داخل فئة القرّاء أي المتعمّقين في قراءة القرآن وتفسيره وتدوينه. كما تكتّل الصحابة في المدينة كعليّ بن أبي طالب والزّبير بن العوّام وعائشة زوجة الرّسول ضدّ سياسة تهميش الصّحابة وتغييب «المبادئ الإسلاميّة» وتعويضها بالتقاليد الما قبل إسلاميّة. وكانت فكرة تطبيق المبادئ القرآنيّة أهمّ سبب لمقتل عثمان بن عفّان من قبل الثوّار.

يُعتبر هذا الكتاب حول الفتنة الكبرى كتاباً ثوريّاً ومجدّداً في التاريخ الإسلامي، حيث درس حركة انقسام أبرزت هشاشة الخلافة الأولى وفئة الصحابة. فقد ظهرت الاختلافات داخل قريش بين فئة من أهل السّابقة والقدمة، وفئة من الطّلقاء أفادت من صعود عثمان إلى سدّة الحكم. كما حاولت فئة الصحابة المحافظة على المبادئ الإسلاميّة، ونشأت فئة جديدة في الأمصار، خصوصاً في الكوفة دافعت عن القرآن.

ظهرت مقدرة هشام جعيّط على قراءة المصادر ومقارنتها ببعضها، كما وضّح دور الأمويين في تطوير الدولة والمحافظة على الأمّة الإسلاميّة رغم كلّ الحملات التي تعرّضوا لها.

* كاتبة ومؤرّخة تونسية

Samedi 11 Mai 2024 no109
السبت 11 أيار 2024 العدد 109

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

روزنامة
الجرائم الإسرائيلية

تجدون على موقعنا حصيلة جرائم العدو الإسرائيلي يومياً في فلسطين ولبنان

التلفزيون هو القاضي؟

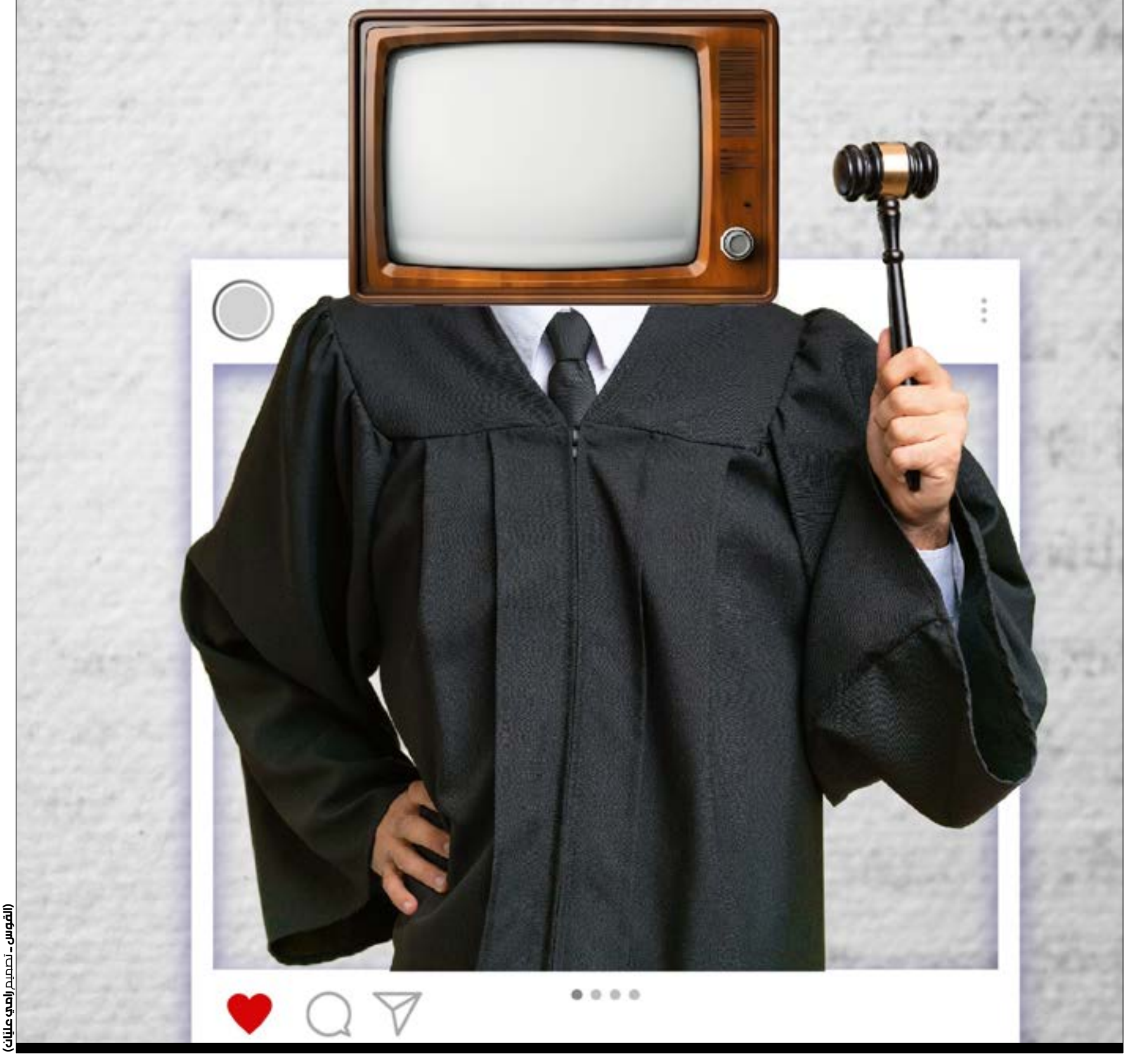

(القوس - تصميم راضي عليان)

في الواجهة

في لبنان كل شيء مباح، ونقف أحياناً عاجزين امام حفلة الجنون التي نعيشها يومياً. والكل يسأل هل لا نزال نعيش في دولة أم أننا في غابة، البقاء فيها للاقوى؟ كيف نحمي أطفالنا وأي مستقبل سنقدم لهم في ظل غياب كامل لأي خطط تربوية وإجتماعية؟ مجتمع مفتوح على كل الإنتهاكات والتجاوزات من دون أي رادع، مراكز التوقيف والسجون تكتظ بالموقوفين الإحتياطيين بسبب بطء المحاكمات والإضرابات المتتالية لمكوّنات الجسم القضائي وعدم اهتمام السلطة بشكل جدي بإصلاح القضاء. ما يجري ينذر بإنهيار إجتماعي كبير بينما ترتفع نسبة الجرائم الكبرى (قتل – سرقة – مخدرات) وتتزايد ظاهرة إستيفاء الحق بالذات، ولم يصدر قرار قضائي واحد لوضع حد لها. وان دل ذلك على شيء، فعلى إنهيار الثقة بمؤسسات الدولة وعلى راسها مؤسسات السلطة القضائية. الجمعيات والهيئات والمنظمات الحقوقية والإنسانية العاملة في لبنان بالمئات، منها ممول ومنها يعمل باللحم الحي، لكن جميعها تتشارك قاسماً مشتركاً واحداً، وهو ان مشاريعها الرنانة تبقى فقط على الورق. أما المؤسسة التي احتفل لبنان بإنشائها ليخرج عن اللائحة السوداء للدول التي لا تحترم حقوق الإنسان فهي الهيئة الوطنية لحقوق الإنسان، المتضمنة لجنة الوقاية من التعذيب التي أُقرت على الورق من دون أي موازنة أو اعتمادات، حتى باتت شاهد زور بإسم حقوق الإنسان على كل ما يجري من إنتهاك يومي لهذه الحقوق. فكيف لنا في ظل هذه الفوضى ان نواجه جريمة بحجم جريمة «عصابة التكتوكرز» لاغتصاب الأطفال العابرة للحدود؟

التلفزيون هو القاضي؟

فداء عبد الفتاح

بعد كل جريمة ضخمة يهتز الرأي العام وتبدأ ردود الفعل بين مستنكر ومستغرب ومطالب بإنزال أشد العقوبات، وتبدأ المحاكمة الشعبية والإخلاقية والتربوية قبل أن يصل الملف الى أي قاض، ويلبس الجميع ثوب العفة وتبدأ جولة جديدة من هيستيريا الإنتهاكات القانونية.

تتحرك أجهزة الدولة المعنية وفقاً لكل قضية، ولا ننكر انه تُسجل لبعض الأجهزة الأمنية مهنية وخبرة عالية في كشف جرائم كبرى وإجراء تحقيقات أولية لا تشوبها شائبة في العديد من القضايا.

السباق بين المعنيين على إختلاف درجاتهم واختصاصاتهم يصبح أمراً مشروعاً لأن كل طرف يعنيه أن يسجل الإنتصار له في قضية تحوّلت إلى قضية رأي عام، فيبدأ التراشق بالإتهامات وتحميل المسؤوليات من الجهة التي تقع عليها مسؤولية ما جرى، ولا يخلو المشهد العام من نكهة عنصرية في حال كان المرتكب يحمل جنسية غير مرحب بها لدى البعض.

صباح 30 نيسان 2024، ضجّت وسائل التواصل الإجتماعي ومواقع الأخبار العاجلة بخبر توقيف «تيكتوكر» شهير (ناشط على تطبيق «تيكتوك» للتواصل الاجتماعي) يعمل حلاقاً رجالياً، ولديه الاف المتابعين، وسبق أن استضافته إحدى الشاشات باعتباره انه نموذجاً فريداً وفنانا بدع في قصّات الشعر الغريبة، بتهمة استدراج القاصرين واغتصابهم. وبعد ساعات قليلة، بدأت تتوالى أسماء المتورطين، وأن «التيكتوكر» الشهير هو واحد من عصابة كبيرة متعددة الجنسيات وعابرة للقارات يصل تعدادها الى نحو 50 مشتبهاً به، وأن من بين الموقوفين قاصرين يملكون حسابات معروفة على تطبيق «تيكتوك».

تسريب التحقيق جريمة

قبل ان ندخل في مجريات التعاطي مع هذا الملف، من الضروري أن نذكر أن ملحق «القوس» كتب مرات ومرات عن خطورة تسريب التحقيقات الأولية وأن لا شيء يبرر هذا الفعل المخالف للقانون ولأصول التحقيق (راجع «القوس»، العدد رقم 1، «العدالة في قبضة «مصادر متابعة للتحقيق»)، إلا ان لا حياة لمن تنادي. ومن أجل رفع نسبة المشاهدة وحصد الإعجابات لا بأس بخرق أهم مبدأ قانوني يرتكز عليه كل مسار التقاضي وهو سرية التحقيقات الأولية الى أن تصبح المحاكمة علانية على قوس المحكمة. ليس خبراً بسيطاً ولا عابراً كشف عصابة تستدرج الأطفال عبر تطبيق «تيكتوك» الأكثر انتشاراً بين الكبار والصغار، لتنوع مواضيعه وسهولة إستخدامه ولأنه أصبح مصدراً للشهرة والكسب المادي السريع لكثيرين بغض النظر عن المحتوى المقدم.

في أقل من 48 ساعة، بدأ تسريب التحقيقات الأولية، وبدأت بعض الحسابات الخاصة تنشر صوراً للمشتبه بهم مع أسمائهم الكاملة، ومن بينهم ثلاثة قصار. وقرر بعض ناشطي «السوشل ميديا» إصدار الأحكام بحقهم، وبدأنا نسمع دعوات لانزال عقوبة الإعدام بكل الموقوفين. كما أن بعض الحسابات استغلت بشاعة الجريمة ومتابعة الآلاف لمجريات أحداثها حيث باتت مادة يومية لمعظم رواد السوشل ميديا لنقل آخر مستجدات التحقيق (الذي منع المحامون من حضوره خلافاً للقانون) أو لنشر صور وأسماء للموقوفين والمشتبه بهم، كما ذهب البعض الى أسلوب التهكم والسخرية من خلال تصوير فيديوهات تمثيلية داخل صالونات الحلاقة مستخدمين أطفالا للتصوير، كانت نتيجتها تدخل قاضي الأحداث في بعبدا القاضية جويل ابي حيدر التي أصدرت قراراً بوقف حساباتهم، من دون أن يتضمن القرار أي إشارة إلى مسؤولية أهل هؤلاء الأطفال.

القانون والرعاية الابوية

تنظم القوانين كافة نواحي حياتنا، ونلجأ إليها لضبط حركة المجتمع، وعلى كل المعنيين بتطبيقها أن يضعوا نُصب أعينهم المصلحة العامة للمجتمع لكي تحقق النتيجة المرجوة من التشريع، وهي تحصين المجتمع وتمتين بنيته الإجتماعية والإقتصادية والثقافية والتربوية ومواكبة التطور من خلال تطوير التشريعات وتحديثها.

نص قانون العقوبات في المادة 501 منه على عقوبة الحبس مع التشغيل لمدة ثلاثة أشهر وبالغرامة على كل أم وأب يتركان ولدهما الشرعي أو غير الشرعي أو المتبنى من دون إعالة أو اهملا تأمين الوسائل التي تمكنه من الحصول عليها، أي أن يتركاه من دون تعليم أو من دون إمكانات تجعله غير قادر على تأمين العيش بسبب والديه.

وجاء قانون حماية الاحداث رقم 422 الصادر عام 2002 لينظم كل ما له علاقة بالأحداث وكيفية حمايتهم ورعايتهم وإعادة تأهيلهم. ونصت المادة الأولى منه على أن هذا المرسوم يطبق على كل حدث أتم السابعة من عمره ولم يتجاوز الثامنة عشرة إذا ارتكب جرماً يعاقب عليه القانون أو وجد متشرداً أو متسولاً أو معرضاً للإنحراف أو مهدداً في صحته أو سلامته أو أخلاقه أو تربيته. وفرض القانون تدابير مانعة وغير مانعة للحرية وتدابير احترازية:

اللوم (توبيخ يوجهه القاضي إلى الحدث ويلفته فيه الى العمل المخالف الذي ارتكبه ويتم ذلك شفوياً وبموجب قرار مثبت لهذا اللوم، مادة 7)

> يتسابق بعض الصحافيين لنشر التحقيقات بحجة أنهم صحافة إستقصائية فيأخذون دور الضابطة العدلية وقضاة التحقيق

الوضع قيد الاختبار (وفقاً لشروط يحددها القاضي، ويقضي بتعليق اتخاذ اي تدبير آخر بحق الحدث طيلة فترة زمنية تتراوح بين ثلاثة أشهر وسنة يخضع خلالها لمراقبة من قبل المندوب الاجتماعي، مادة 8)

تدبير الحماية (تسليم الحدث الى والديه او أحدهما او الى وصيه الشرعي او الى اسرته شرط ان تتوافر في المسلم اليه الضمانة الاخلاقية والمقدرة على تربيته تحت اشراف المندوب الاجتماعي، مادة 9)

الحرية المراقبة (وضع الحدث تحت مراقبة المندوب الاجتماعي او المرجع المعين لهذه الغاية تحت اشراف القاضي، مادة 10)

التدبير الاصلاحي (وضع الحدث في معهد الإصلاح، مادة 13)

عقوبات مخففة (مادة 15)

وترك القانون العقوبات المخفضة كآخر تدبير وركز في كل مواده على الرعاية الإجتماعية وأهمية إعادة التاهيل.

كيف تطبق النصوص على ارض الواقع؟

من خلال ما جرى مؤخراً في قضية «التيكتوكرز»، يمكن أن نعتبر هذه القضية نموذجاً لدراسة حالة تحمل في فصولها جملة من الانتهاكات والمخالفات القانونية موزعة على كل أطرافها، سواء من جهة طرفي القضية، مدّعين ومشتبه بهم، أو لناحية كيفية تعاطي الأجهزة الأمنية والسلطة القضائية، إضافة الى تعاطي المحامين والمجتمع، الطرف الأساسي في هكذا جرائم والمتابع لكل تفاصيل هذا الملف، وبعض وسائل الإعلام التي تلعب كل الأدوار على شاشاتها إلا دورها الإعلامي وفقاً لما ينص عليه قانون تنظيم المهنة، وطبعاً من دون أي محاسبة أو مساءلة للدور السلبي الذي تتحمله العديد من الشاشات والإقدام في تسطيح وتسخيف الوعي الجماعي من خلال المشاركة في نشر ثقافة التفاهة. (راجع «القوس»، العدد 13، «السبق الإعلامي أولاً»).

في لبنان بات شائعاً تسريب التحقيقات الأولية، وتفشّت هذه الظاهرة بشكل واسع مع بدء الأزمة السورية وسلسلة الإغتيالات والتفجيرات التي حصلت في لبنان، وتم استغلالها في البازارات السياسية بهدف تحقيق مكاسب سياسية لفريق على آخر. وكمعظم القضايا، على اختلاف أنواعها، تتحول أي قضية الى قضية رأي عام إذا قرر أي طرف معني بها ذلك، والأسباب أيضاً متعددة، منها ما هو مشروع ويدخل ضمن آليات التقاضي الإستراتيجي، ومنها غير مشروع ولأسباب شخصية بهدف الضغط والإبتزاز.

وتبدأ تسريبات التحقيقات الأولية ونشر صور المشتبه بهم والأسماء الكاملة للموقوفين أو المتهمين من دون أي مراعاة للخصوصية أو السرية. وباتت ظاهرة تسابق بعض الصحافيين لنشر التحقيقات بحجة أنهم صحافة إستقصائية، فيأخذون دور الضابطة العدلية وقضاة التحقيق ويبدأون بنشر تحقيقات ومعلومات ما زالت سرية، ولم تصل الى أروقة المحاكم لتصبح علنية. وهذا الأسلوب بالدرجة الأولى يشكل جريمة يعاقب عليها القانون، وقد جاء في المادة 48 من قانون حماية الأحداث: "يحظر نشر صورة الحدث ونشر وقائع المحاكمة او ملخصها في الكتب والصحف والسينما وبأي طريق كانت ويمكن نشر الحكم على ان لا يذكر من اسم المدعى عليه وكنيته ولقبه الا الحرف الأول. كل مخالفة لأحكام هذه المادة يستهدف مرتكبوها للعقوبة المنصوص عليها في المادة 420 من قانون العقوبات " (المادة 420 تعرض المخالف لعقوبة السجن من ثلاثة اشهر الى سنة وللغرامة من مليون الى خمسة ملايين ليرة أو لإحدى هاتين العقوبتين)

لم يراع الحد الأدنى من أصول المحاكمات في قضية «التيكتوكرز». ومنذ فضح هذه الجريمة أمام الرأي العام، لم تتوقف المخالفات القانونية من لحظة توقيف بعض المشتبه بهم وتسريب الأسماء كاملة رغم وجود قاصرين بينهم، الى قرار النائب العام الإستئنافي في جبل لبنان القاضية غادة عون بمنع المحامين من حضور التحقيقات الأولية خلافاً لنص المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية، إلى تعاطي الإعلام المتابع لهذا الملف بأسلوب لا مهني يستدعي تدخل القضاء لمنع التداول بأي ملف لا يزال قيد النظر. ليس من المفترض تحويل كل قضية إلى قضية رأي عام، لأن ذلك يتطلب الإلتزام بقواعد وأصول التقاضي الإستراتيجي. ففي العديد من القضايا، قد يكون الرأي العام سيفاً ذا حدين، فإما يدفع باتجاه الإسراع في كشف الحقائق والوصول إلى الجاني ومعاقبته كقضية اغتصاب ومقتل الطفلة لين طالب، أو يؤدي إلى ضياع العديد من الأدلة وتشويه سمعة أشخاص قد يتبين بعد التحقيقات براءتهم خصوصاً في حال وجود قاصرين، كما يجري في قضية «التيكتوكرز» اليوم، حيث تم نشر صورهم وأسمائهم منذ اليوم الأول من دون أدنى اعتبار لسمعة هؤلاء الضحايا وحقهم بالحماية الاجتماعية وإعادة التأهيل.

تلفزيون الواقع وابطال الشاشات

هذا الملف الذي بات حديث البلد يتم التعاطي معه وفقاً لآليات تلفزيون الواقع، وبدأ السباق لنشر معلومات سرية عن التحقيق، وبدأ كل نشر بجملة «مصادر موثوقة» او «من مصادرنا الخاصة»، فمن هي تلك الجهات التي تسرّب التحقيقات للإعلام ما دام التحقيق الأولي لا يطّلع عليه سوى المحقق والنائب العام ووكيل المتهم؟

المادة 47 ليست اختيارية

في ملف «التيكتوكرز»، منعت القاضية عون حضور المحامين في التحقيقات الأولية مخالفة بذلك نص المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية. ونشر موقع «محكمة» بياناً صادراً عن القاضية عون تبرر فيه قرارها معتبرة «أن النص لا يمكن أن يكون مجتزأ، فيتم تطبيق جزء منه ويهمل الآخر، مع أن النص المذكور سمح بوجود محام عن المشتبه به في أثناء التحقيق الأولي، الا أنه أوجب أيضا ان يتم تسجيل هذا التحقيق بالصوت والصورة، وهذا أمر ضروري لكي تطلع النيابة العامة على كل مجريات التحقيق. فكيف يمكن بالتالي السماح لأحد الخصوم في الدعوى المشتبه به فيها أن يحضر مع وكيله من دون تمكين النيابة العامة وهي الخصم في دعوى الحق العام من الحضور أو أقله من الاطلاع على مجريات التحقيق في ظل عدم تصوير الاستجواب؟».

أصابت القاضية عون لجهة أنه «لا يمكن أن يكون النص مجتزأ». إلا أن عدم الإجتزاء قد يُفسر لمصلحة المتهم وفقاً لقواعد العدل والإنصاف، لأن المتهم بريء إلى أن تثبت إدانته مهما كان حجم الجرم المرتكب، والنيابة العامة محدّد دورها في القانون لجهة توليها مهام ممارسة دعوى الحق العام التي لا يجوز التنازل عنها. وللقيام بمهامها أعطاها القانون صلاحيات واسعة لجهة التحقيق والتقصي وتحريك دعوى الحق العام، كما حدد الجهات التي تعاون النيابة العامة في أعمالها وهي الضابطة العدلية التي تعمل وفقاً لإشارات النيابة العامة، ونصت المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية على أن «يتولى الضباط العدليون بوصفهم مساعدي النيابة العامة المهام التي تكلفهم النيابة العامة فيها في إستقصاء الجرائم غير المشهودة». والمشتبه فيه أو المشكو منه فور إحتجازه لضرورات التحقيق يتمتع بالحقوق الآتية: الاتصال بأهله وحضور محام وطلب طبيب شرعي.

أما تعديل المادة لجهة تسجيل التحقيق بالصوت والصورة، فهي حق من حقوق المشتبه به لعدم تعرضه للضرب أو التعذيب لانتزاع الاعترافات بالقوة، وعدم تطبيق هذه الجزئية لأسباب تعلمها النيابة العامة بشكل دقيق هي لمصلحة المشتبه به لأن ذلك يؤدي إلى ضياع حق أساسي من حقوقه، والنيابة العامة في حال اعتبرت أن الضابطة العدلية التي تعمل وفقاً لإشاراتها لا تمثلها ولا تثق بها وأنها طرف ثالث في الدعوى، فهذا أمر بغاية الخطورة ويؤدي إلى إبطال كافة التحقيقات الأولية.

> «حفلة الزجل» القائمة على شاشات التلفزيون على خلفية قضية «التيكتوكرز» تستدعي إعلان حالة طوارئ قانونية وتشريعية

اعتبار القاضية عون أن هذا التشدد يهدف إلى حماية أمن المجتمع باعتبار أن وجود المحامي خلال التحقيق الأولي يضيّع التحقيق أو يطمس الحقائق، فكيف بالإمكان أن تضع النيابة العامة حداً لما يجري على الشاشات ووسائل التواصل من انتهاكات قانونية أطاحت بكل معايير الأمن والسلامة المجتمعية نتيجة انهيار الثقة الكاملة بمؤسسات الدولة وصمام الأمان المتمثل بالقضاء والأجهزة الأمنية؟

كما أن سؤال القاضية عون في بيانها عن مدى تطبيق الشرطة العسكرية لنص المادة 47 خلال التحقيقات الأولية ليس مستغرباً، لأن النائب العام الإستئنافي لا تعلم ما هي مجريات التحقيق لدى الشرطة العسكرية، وأنها تلتزم وبشكل كامل بمضمون نص المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية، والسبب قد يعود للفوضى الأمنية والقضائية والتشريعية التي نعيشها وغياب أي تنسيق بين كافة الأجهزة بهذا الخصوص.

اتباع نهج الدول الأكثر تطوراً في تأمين الضمانات للمشتبه به وإعطاء فرنسا والولايات المتحدة نموذجاً حيث في بعض الجرائم التي تتسم بالخطورة لا يُلتزم بوجود المحامي، هو مثال ناقص أيضاً ومجتزأ ولا يمكن الركون إليه، لأن المسار القضائي في كل دولة هو نتاج لنظام سياسي قانوني متكامل، ولا يمكن أن نقارن على صعيد الإجراءات ودور النيابات العامة في أي دولة (راجع «القوس»، العدد 60، «المتهم مدان حتى تثبت براءته؟»). ومنع المحامي من حضور التحقيق الأولي مع المشتبه به هو مخالفة قانونية فاضحة قد تؤدي في دولة مثل فرنسا أو الولايات المتحدة الى الملاحقة، فكيف في حالة وجود مشتبه به قاصر؟

لا شك في ان «حفلة الزجل» القائمة على شاشات التلفزيون على خلفية قضية «التيكتوكرز» تستدعي إعلان حالة طوارئ قانونية وتشريعية في أسرع وقت ممكن، لأن النظام القضائي والأمني برمته مهدد بالإنهيار الكامل بسبب الخفّة في التعاطي مع أزماتنا الكبرى.

في العمق

تسريبات التحقيق «لايك» يتفوّق على القانون؟

جنان الخطيب

في بلد يعاني من سلسلة أزمات اجتماعية واقتصادية معقدة، ويتعثّر سياسياً وظائفياً، ضمانته الوحيدة روابط أسرية صحية وقيم اجتماعية رادعة وقواعد سلوكية أخلاقية مهددة أيضاً بالتدهور في ظل الانحلال الأخلاقي الذي بدأ يعصف بالمجتمع. وكنا قد حذّرنا من مؤشرات جنائية مقلقة بعدما نشطت جرائم الاتجار بالبشر والتحرّش والاستغلال الجنسي للأطفال، وتطورت طبيعة الجرائم لتأخذ وجهاً آخر بواكب الصعوبات المالية والاقتصادية، وازدهرت مع التسرّب المدرسي «فلتان» الأطفال في الشوارع.

ومع سهولة وصول الأطفال والمراهقين إلى العالم الافتراضي ولجوء البعض إلى «التلتنيس» عن السلوكيات غير الأخلاقية والجريمة مقابل «الترند» وحصد المشاهدات، هل سيصبح أطفالنا ضحايا للمضطربين جنسياً؟ وهل الحملة الواسعة للمطالبة بإنزال أشد العقوبات بحق المشتبه بهم المدانين إعلامياً» بجريمة التحرش والابتزاز الجنسي بحق القاصرين مؤخراً هي الطريقة الصحيحة للتعامل مع هذا الخطر؟

لم تتكشّف بعد ملابسات جرائم الاعتداء والابتزاز الجنسي التي طالت عدداً من القاصرين من قبل أفراد إحدى العصابات المنظّمة، إضافة إلى إجبارهم على تعاطي المخدّرات، بحسب ما جاء في بيان قوى الأمن الداخلي في الأول من أيّار الجاري، والذي أوضح أنه «نتيجة المتابعة وجمع المعلومات، أوقف مكتب مكافحة جرائم المعلوماتيّة وحماية الملكيّة الفكريّة 6 أشخاص في بيروت وجبل لبنان والشمال، من بينهم 3 قُصّر ذائعي الصّيت على تطبيق تيك توك، وهم من جنسيّات لبنانيّة وسوريّة وتركيّة». وفي الخامس من أيّار، أصدرت شعبة العلاقات العامّة في قوى الأمن الداخلي بلاغاً عمّمت فيه صورة للمشتبه به ب. ن. الذي «تبين بحسب اعترافات القاصرين الضحايا والموقوفين انه اعتدى جنسياً على العديد من القاصرين، ومنهم مَن لا يزال مجهول الهوية». وطلب من كل ضحية التواصل فوراً مع مكتب مكافحة جرائم المعلوماتية.

تسريب تفاصيل التحقيق يُهدد سلامة القضية

انشغلت معظم وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي بنشر أخبار مسرّبة من دوائر التحقيق الاولي وإفادات قيل انها مدوّنة في محاضر الاستجواب. وسرعان ما تحول الأمر الى حملة واسعة للمطالبة بإنزال أشد العقوبات بحق المشتبه بهم المدانين إعلامياً، فيما طلب البعض إعدامهم وإخصاءهم كيميائياً، قبل ختم التحقيق من دون معرفة كل ملابسات الجرائم وتحديد جميع المتورطين وحجم تورطهم.

قد يكون الدافع الأساسي للمطالبين بإعدام المشتبه فيهم ومعاقبتهم «بسرعة» هو ردع المجرمين عن ارتكاب جرائم مماثلة من خلال تهديدهم بالقتل. لكن، بغضّ النظر عما إذا كان هذا يشكّل رادعاً حقيقياً أم لا، أليس من الضروري ان تظهر الحقيقة كاملة وتحديد جميع المتورطين قبل المطالبة بالعقاب؟

«تسريب التحقيق: جريمة» كان عنوان غلاف العدد الأول من «القوس»، في كانون الثاني 2022. وعلى مدار أكثر من عامين، ذكّرنا بوجوب الحفاظ على سرية التحقيق كي تنجلي الحقيقة ولا يفلت المجرمون من العقاب وتتحقق العدالة. وحذّرنا من خطورة تسريب التحقيقات ونشر المعلومات المضللة والإشاعات التي، في بعض الأحيان، قد يفبركها المجرمون لتضليل التحقيق وإبعاد الشبهات عنهم. لكن يبدو أن نشر أي معلومة يزعم أنها مسرّبة من دوائر التحقيق بطريقة مثيرة هو «ما يطلبه الجمهور» الذي يسارع إلى حسم الحقائق وإصدار الأحكام المسبقة والاستنتاجات المتسرعة في شتى القضايا والجرائم والحوادث، تاسفاً إحدى أهم الضمانات للإجراءات القضائية العادلة، وواضعاً عقبات أمام تقدم التحقيق ووصوله الى كشف جميع المجرمين.

أحياناً، يمكن أن يُشكل المجتمع والرأي العام عقبة رئيسية أمام تحقيق العدالة في جرائم التحرش

> **حذّرنا من خطورة تسريب التحقيقات ونشر المعلومات المضللة التي، في بعض الأحيان، يفبركها المجرمون لتضليل التحقيق وإبعاد الشبهات عنهم**

والاغتصاب، من خلال ممارسة الضغوط على نظام العدالة الجنائية للاسراع في إنزال أشد العقوبات بحق المشتبه بهم حتى قبل ختم التحقيق. وقد يؤدي تسريب تفاصيل التحقيقات والأحكام المسبقة إلى عرقلة تحقيق العدالة بشكل كبير، وأن يعرّض التحقيق للخطر من خلال تعريض حياة الشهود والمحققين للخطر، وقد يدفع ذلك المشتبه بهم إلى الفرار أو إتلاف الأدلة، كما يمكن أن يضلل الرأي العام من خلال معلومات مجتزأة أو غير دقيقة. وإلى ذلك، يؤثر تسريب المعلومات على سير المحاكمة من خلال انتهاك حق المتهم في محاكمة عادلة، وقد يؤثر على حيادية المحقق أو القاضي، ويمكن أن يمارس ضغوطاً على القاضي لإصدار حكم معين، ويصعّب على المحامين أداء عملهم في الدفاع عن موكليهم. علاوة على ذلك، يمكن أن يؤدي الضغط الناتج عن تسريب معلومات التحقيق إلى إدانة أبرياء، عبر الضغط على المحققين لتوجيه الاتهام إلى شخص محدد، أو التأثير على شهود العيان وتشجيعهم على تغيير شهاداتهم أو اختلاق معلومات خاطئة.

حياد المحقق: حجر الأساس لتحقيق العدالة

يُمثّل حياد المحقق وابتعاده عن العواطف حجر الأساس لتحقيق العدالة وإرساء سيادة القانون. فعندما يتخلّى المحقق عن أيّ تحيّز مسبق ويُقيّم الأدلة بشكل موضوعي ودقيق، يُمكنه الوصول إلى الحقيقة وضمان معاملة جميع الأطراف بإنصاف ومساواة. يُؤدّي حياد المحقق إلى كسب ثقة جميع المعنيين بالقضية، ممّا يُسهّل عمله ويُساعده على جمع المعلومات بشكل فعّال. كما يُساهم في اتّخاذ قرارات صائبة تُحقّق العدالة للجميع. لذلك، فإنّ المحققين مُطالبون باتّباع أعلى معايير الحياد والموضوعية في عملهم، ممّا يُساعد على بناء نظام قضائي عادل يُساهم في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع.

الاستخفاف بالجريمة وجعلها «ترند» على «تيكتوك»

انتشرت في الآونة الأخيرة فيديوهات على وسائل التواصل الاجتماعي تمثّل الاستخفاف بالجريمة وجعلها ترند على تيكتوك، ممّا يُشكّل خطراً حقيقياً على المجتمع. فمن خلال عرض «الحلاقة» بطريقة ساخرة أو كوميدية، يُساهم المجتمع في تطبيع العنف والتقليل من خطورته، ممّا قد يُشجّع على ارتكاب المزيد من الجرائم. كما يُمكن أن يُؤدّي هذا السلوك إلى التأثير على نفسيّة ضحايا الجرائم ويُفاقم معاناتهم ويُؤثّر على شعورهم بالأمان.

الإخصاء الكيميائي

يتضمن الإخصاء الكيميائي، المعروف أيضًا باسم «العلاج الكيميائي الجنسي»، استخدام أدوية لخفض مستويات هرمون التستوستيرون في الجسم بشكل كبير، مما يؤدي إلى تقليل الرغبة الجنسية والدافع الجنسي. من مزايا الإخصاء الكيميائي كعقوبة للمتحرشين الحد من خطر تكرار الجرم، وقد يُنظر إلى الإخصاء الكيميائي كبديل أكثر إنسانية للعقوبات القاسية مثل السجن مدى الحياة، خصوصاً للمتحرشين الذين يعانون اضطرابات نفسية أو هورمونية. في المقابل، يُثير هذا الإجراء قلقًا أخلاقيًا كبيرًا، إذ يُعتبر عقوبة قاسية ولا إنسانية تنتهك حقوق الإنسان الأساسية، خصوصاً أنّه لا يُمكن التراجع عنها بسهولة، كما أن هذه العملية لا تعالج الجذور النفسية والاجتماعية الكامنة وراء سلوكيات التحرش الجنسي، مما قد يُعيق عملية إعادة التأهيل وإعادة الإدماج للمتحرشين.

متابعة

لا رقابة لحماية المستهلكين وزيادة العائدات الضريبية

درس مجلس الوزراء اقتراحاً مقدماً من الجمارك يقضي بإعفاء المستوردين من إبراز بيان التصدير، من دون الاطلاع على راي وزارة الاقتصاد من جهة، وفي ظل تفلّت الاسعار والتهرّب الضريبي من جهة ثانية، من دون تقديم اي بديل يمكّن من تحقيق اي رقابة على البضائع الواردة سواء من قبل الجمارك او وزارة الاقتصاد. واستندت الحكومة الى اتفاقية منظمة التجارة العالمية رغم ان لبنان لم يصبح عضواً فيها بعد. المؤسف في لبنان ان المواطن الذي يتابع القرارات والمراسيم الحكومية يجد صعوبة في تقفي اثر المعلومة لسبب بسيط. وهو ضياعه بين الاسباب الموجبة للقرار ومتن القرار وبناءاته. فتمرّ الحقيقة من تحت عينيه من دون ان يدري. لذلك قامت «القوس» بتحليل هذه القوانين والمراسيم لتوضيح الهدف من إلغاء بيان التصدير الجمركي

صادق علوية

في 2024/4/26 طلبت وزارة المالية، بناء على اقتراح من الجمارك، الموافقة على مشروع مرسوم يرمي إلى إلغاء المادة السابعة من المرسوم 2020/7026 التي تفرض ضم نسخة عن بيان التصدير الأجنبي الى البيان الجمركي للسماح بإدخال البضائع المستوردة من أي بلد كان. الطلب جاء من نقابة مخلّصي البضائع وتجمع شركات النقل السريع في لبنان وفقاً لما أبلغت به المالية مجلس الوزراء، بحجة تعذر تأمين بيان التصدير الأجنبي عندما تكون الإرسالية واردة مع شركات النقل السريع لأن عملية التصدير إلى البلد المقصد تتم بشكل إجمالي مرفقة ببيان تفصيلي وليس هناك بيان تفصيلي لكل إرسالية، كما أنه في عمليات التجارة المثلثة عندما يكون البائع وسيطاً في غير بلد التصدير، يتعذر بشكل كلي الحصول على بيان التصدير لأسباب سرية التجارة بين المصنع والبائع، علماً إن القيمة المصرح عنها في هذه الحالة تفوق قيمة التصدير من المصنع. كما أن بيانات التصدير الألمانية لا تتضمن قيمة البضاعة، والإرساليات المشحونة من الولايات المتحدة الأميركية لا ترفق بها بيانات تصدير على الإطلاق وفقاً لما أفادت به الجمارك.

لم يوافق مجلس الوزراء على الاقتراح، وقرر تأجيل البحث في الموضوع. لكن اللافت أن هذا الأمر يجري بحثه من دون الاطلاع على رأي وزارة الاقتصاد. ولكن، ما هي حكاية هذا البيان؟

الدور المغيّب لوزارة الاقتصاد

بناء على القانون الصادر في 2006/12/8 (إلغاء المرسوم الاشتراعي رقم 31 تاريخ 1967/8/5 المتعلق بمكافحة الإغراق واستبداله بـ «قانون حماية الانتاج الوطني»)، صدر المرسوم التنظيمي لهذا القانون بموجب المرسوم رقم 1204 تاريخ: 2008/03/18 الذي نصّ بموجب المادة 2 على أن وزارة الاقتصاد والتجارة تعنى باتخاذ كافة التدابير والإجراءات لتنفيذ أحكام قانون حماية الإنتاج الوطني الصادر بتاريخ 2006/12/08 ومرسومه التنظيمي، وانشأ في وزارة الاقتصاد والتجارة - المديرية العامة للاقتصاد والتجارة - جهازاً لحماية الإنتاج الوطني يرتبط مباشرة بالمدير العام بموجب قرار يصدر عن وزير الاقتصاد والتجارة، على أن يتلقى الجهاز الشكاوى المتعلقة بمكافحة الإغراق والدعم والتزايد في الواردات التي ترد من الصناعة أو الزراعة المحلية أو من ينوب عنها ويتولى أمر تسجيلها وإتمام عمليات التبليغ والنشر وأية أعمال أخرى.

عندما تجد هيئة التحقيق المنصوص عنها في القانون أن شروط فرض رسوم مكافحة الإغراق قد استوفيت، تعد تقريرا بذلك وترفعه إلى وزير الاقتصاد والتجارة، وبعد استطلاع رأي المجلس الأعلى للجمارك، يوضع موضع التنفيذ بموجب قرار يصدر عن المجلس الأعلى للجمارك طبقا لمضمون المادة 7 من المرسوم رقم 4461، تاريخ 15 كانون الأول 2000 (قانون الجمارك)، وينشر في الجريدة الرسمية. وعند الاقتضاء، في وسائل الإعلام الوطنية الأخرى، بما فيها الوسائل الإلكترونية، لذلك يقتضي أن تكون الوزارة في الواجهة وليس وزارة المالية أو الجمارك منفردين.

وكانت الإجراءات المتخذة بهدف حماية بعض المنتجات الوطنية قد وضعت بناء على اقتراحات من وزارة الاقتصاد. وقررت الحكومة عام 2019 فرض بعض الإجراءات بهدف حماية بعض المنتجات الوطنية، فرضت رسوما إضافية على الرسم المطبق والنافذ حينذاك، وعدّلت تعريفة الرسوم الجمركية وفقا للنظام المنسق لعدد من المنتجات المحددة في متن القرار، بناء على اقتراح من وزارة الاقتصاد والتجارة

بموجب المادة 59 من قانون الموازنة العامة للعام 2019 القانون 2019/144 تم فرض رسوم نوعية على البضائع المستوردة لتحقيق الهدف نفسه، حيث نصت على فرض رسم مقطوع قدره 3% على المستوردات الخاضعة للضريبة على القيمة المضافة باستثناء مادة البنزين والمعدات الصناعية والمواد الأولية المستعملة للصناعة والزراعة والمستوردات العائدة للقوى العسكرية والامنية، على ان تحدد المعدات والمواد الاولية المشار اليها اعلاه بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزراء المالية والصناعة والزراعة والاقتصاد والتجارة.

وفي عام 2019 أيضاً صدر مرسوم يحمل الرقم 2019/5674 يرمي إلى إعفاء بعض الاصناف من رسم 3% الذي اقر بموجب المادة 59 من قانون موازنة العام 2019، وهكذا اختلط الإعفاء بالفرض.

ولتحقيق الغاية نفسها، تم تعديل تعريفة الرسوم الجمركية وفقا للنظام المنسق لفرض رسوم اضافية لمدة خمس سنوات بهدف حماية بعض المنتجات الوطنية وإعفائها من الرسم المقطوع 3%.

وبموجب المرسوم رقم 7026 تاريخ: 2020/10/15 في مادته السابعة الذي عدّل المادة الرابعة من المرسوم رقم 5497، تاريخ 23 آب 2019، ألزم إدارة الجمارك بعدم السماح بإدخال البضائع المستوردة من أي بلد ما لم يضم الى البيان الجمركي نسخة عن بيان التصدير الأجنبي، على أن تحدد دقائق تطبيق هذه المادة وفق الأصول المحددة في قانون الجمارك.

لبنان ليس عضوا في منظمة التجارة العالمية

لم يكتسب لبنان لغاية تاريخه العضوية في المنظمة، بل هو عضو مراقب، وهي الصفة التي حازها فور تقديمه طلب الانضمام، علما ان الانتساب الى المنظمة ونيل صفة عضو يخضع لعملية تفاوضية طويلة بين الحكومة والدول الأعضاء، تُعطى بموجبها الدولة طالبة الانتساب صفة المراقب بهدف التعرّف على ممارسات المنظمة ومتطلبات الانضمام لمراجعة السياسات التجارية، وتُجرى خلالها عملية تقصي الحقائق للتأكد من أن البلد يطبق أحكام الدول الأعضاء. ومن المعروف ان الدولة المراقب تبدأ بتغيير وتعديل قوانينها وأساليب عملها بصورة اختيارية وغير إلزامية لنيل العضوية الكامل ، مع الإشارة أن شروط العضوية عبارة عن تنازلات لا محدودة لا تراعي مصالح الدول النامية.

الإدارات لا تريد الرقابة

عام 2019 تم تعديل قانون التجارة البرية الصادر بالمرسوم الاشتراعي رقم 304 تاريخ 1942/12/4 وتعديلاته، وإضافة أحكام جديدة عليه، وتعديل المادة 844 من قانون الموجبات والعقود بموجب القانون رقم 126 تاريخ 2019/03/29. هذا التعديل نص بشكل أساسي على مكننة عمليات السجل التجاري، وكان الهدف وضع مهلة زمنية للنشر الكترونياً، للوصول الى الفوترة الالكترونية، الا ان الظاهر أن الإدارات المعنية من جمارك ووزارة العدل أو الاقتصاد لا ترغب بتطبيق القانون لرفع مسؤوليتها في الرقابة.

المستندات الواجب إبرازها عند الاستيراد

بموجب قرار المجلس الأعلى للجمارك رقم 172 تاريخ: 2022/12/13 فإن المستندات الواجب إرفاقها بالبيان التفصيلي عند الاستيراد هي التالية:

أ . الفواتير الأصلية.

ب . لوائح الإفراد التفصيلية إذا كانت الفواتير غير متضمنة التفاصيل الكافية.

ج . نسخة عن بوليصة الشحن أو ما يقوم مقامها.

د ـ نسخة عن مستند التصدير

> **من يتابع القرارات والمراسيم يصعب عليه تقفي اثر المعلومة لضياعه بين الاسباب الموجبة للقرار ومتن القرار وبناءاته**

المنظم في البلد الذي شحنت منه البضائع الى لبنان، وذلك في حالات الشحن البري.

هـ.التصريح الخاص المتعلق بعناصر القيمة، وفقاً للنموذج المعتمد اداريا لهذه الغاية والمرفق طيا مع دليل استعماله.

و . شهادة المنشأ وفقا لأحكام قانون الجمارك وللاتفاقيات الثنائية أو الجماعية المعقودة مع لبنان.

ز. شهادة تحليل أجنبية لكل إرسالية من الحديد المعد للبناء إضافة الى نسخة عن بيان التصدير الأجنبي.

ح . نسخة عن بيان التصدير الأجنبي للبضائع المستوردة من أي بلد كان، باستثناء:

الإرساليات التي يطلب بصددها الاستفادة من المعاملة التفضيلية بموجب أحكام الإتفاقيات التجارية أو أي معاملة خاصة أخرى.

السيارات والآليات.

المشتقات النفطية

الحالات التي يصرف النظر فيها عن تقديم الفاتورة الأصلية والمحددة في الفقرة الرابعة من مذكرة المجلس الأعلى للجمارك.

البضائع المعفاة من الرسوم الجمركية والضريبة على القيمة المضافة، كافة، بموجب النصوص القانونية المرعية الإجراء.

غرامات هزيلة لمخالفة أحكام الاستيراد والتصدير

تضمن المواد 421 وما يليها من قانون الجمارك، جزاءات نقدية هزيلة لا تردع ولا تقمع المخالفين، ولم يلجأ القيمون على الجمارك الى تعديلها رغم هزالتها، رغم أن هناك جزاءات إضافية تبلغ أضعافاً من الرسوم المتوجبة، ومنها على سبيل المثال جزاء نقدي قدره مئة ألف ليرة لبنانية في حال:

استيراد او محاولة استيراد بضائع معفاة من الرسوم بطريقة التهريب او من دون مانيفست او من دون بيان جمركي.

تصدير او محاولة تصدير بضائع معفاة من الرسوم، من دون بيان او بطريقة التهريب.

البيان الكاذب في الجنس او النوع او الصفة او المنشأ او الكمية او القيمة لبضائع معفاة من الرسوم، او الذي لا يعرّض للضياع رسماً ما.

عدم وجود مانيفست لدى الاخراج او عدم تقديم مانيفست الاخراج للجمرك والزيادة او النقص في الطرود المذكورة في مانيفست الاخراج والمتحقق منه بعد الشحن.

كل نقص او خطأ او إغفال في ذكر الدلالات او المعلومات التي يجب ان تتضمنها المانيفستات او المستندات التي تقوم مقامها.

ورغم أن مبلغ الجزاء النقدي المنصوص عليه في المادة 421 يقطع النظر عن المصادرات النظامية، يحدد في حالة حجز البضائع ووسائل النقل والاشياء التي استعملت لاخفاء الغش:

اذا كانت البضائع والاشياء غير ممنوعة او غير مقيدة او غير محتكرة: بمبلغ يعادل مثلي الرسوم الى ثلاثة امثالها.

اذا كانت هذه البضائع خاضعة لرسوم باهظة: بمبلغ يعادل ثلاثة امثال الرسوم الى اربعة امثالها.

اذا كانت هذه البضائع ممنوعة او محتكرة: بمبلغ يعادل مثلي القيمة الى ثلاثة امثالها، بما فيها الرسوم الجمركية.

اذا كانت هذه البضائع مقيدة: بمبلغ يعادل القيمة الى مثليها، بما فيها الرسوم الجمركية.

جزاء الكذب في البيانات

تستهدف لفرض جزاء نقدي معادل لمثلي الرسوم المطلوبة إلى ثلاثة أمثالها، المخالفات التالية:

البيان الكاذب الذي يرمي إلى الحصول، بدون حق، بأية طريقة كانت، على استرداد غير قانوني او غير نظامي، لكامل الرسوم الجمركية او لجزء منها، حتى ولو كانت هذه الرسوم مودعة تأميناً.

البيان الكاذب في الجنس او النوع او الصفة او العدد او الكمية او القياس او الحجم او الوزن او المنشأ، الذي يرمي الى الحصول على استرجاع رسم يتجاوز الرسم الذي يحق استرداده.

البيان الكاذب في القيمة، الرامي إلى الحصول على استرداد رسم يتجاوز الرسم الذي يحق استرداده، إذا كانت القيمة المصرح بها تزيد بنسبة 20/1 او أكثر عن القيمة التي يحددها الجمرك.

جرائم الاحتلال

لا تدابير مؤقتة ضد ألمانيا: هل خسرت نيكاراغوا؟

لونا فرحات

في 1 آذار /مارس 2024، قدمت نيكاراغوا طلباً أمام محكمة العدل الدولية للبدء بإجراءات قضائية ضد ألمانيا بسبب الانتهاكات المزعومة لاتفاقية الإبادة الجماعية، والقانون الإنساني الدولي، وغيرها من قواعد القانون الدولي العام في ما يتعلق بالأرض الفلسطينية المحتلة، ولا سيما قطاع غزة. وزعمت نيكاراغوا أنه عبر تقديم الدعم السياسي والمالي والعسكري لإسرائيل، ووقف تمويل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (أونروا)، فإن ألمانيا تسهل ارتكاب إسرائيل للإبادة الجماعية وتنتهك التزامها بضمان احترامها للقانون الدولي الإنساني. كما طلبت نيكاراغوا من محكمة العدل الدولية أن تشير إلى تدابير مؤقتة على سبيل الاستعجال الشديد في ما يتعلق «بمشاركة ألمانيا في الإبادة الجماعية المستمرة والانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي وغيرها من القواعد القطعية للقانون الدولي العام التي تحدث في قطاع غزة (راجع «القوس»، نيكاراغوا صوت غزة في لاهاي، 2024/3/9). واستمعت محكمة العدل الدولية لطرفي الدعوى في 8 و9 نيسان/ أبريل، وفي 30 منه أصدرت المحكمة بغالبية 15 صوتاً مقابل صوت واحد قرارها على أنه «بناء على المعلومات الواقعية والحجج القانونية المقدمة من كلا الطرفين، فإن الظروف كما هي الآن أمام المحكمة، لا تتطلب من المحكمة ممارسة سلطتها بموجب المادة 41 من نظامها الداخلي وإصدار التدابير المؤقتة التي طلبتها نيكاراغوا».

رهنا بالظروف... لم تأمر المحكمة بتعليق تصدير الأسلحة إلى إسرائيل

لم تأمر المحكمة بتعليق تصدير الأسلحة الحربية وغيرها من المعدات العسكرية إلى إسرائيل. فقد وجدت المحكمة أن الظروف كما هي الآن أمامها ليست على درجة تتطلب الإشارة إلى التدابير المؤقتة. وتم تفسير أمر المحكمة على نطاق واسع على أنه انتصار لألمانيا، وأن في إمكانها الاستمرار في تسليم الأسلحة إلى إسرائيل. لكن القرار في مضمونه يشير إلى عكس ذلك تماماً.

يرى قانونيون دوليون أن القرار غير عادي في جوانب عدة. فهو يعتبر أحد أقصر أوامر التدابير المؤقتة في تاريخ محكمة العدل الدولية. كما أنه لا يقدم أي منطق قانوني سليم، ولا يذكر على وجه الخصوص المتطلبات الراسخة لتطبيق المادة 41 والمتعلقة بالإشارة إلى التدابير المؤقتة، وهي الاختصاص الظاهري، والمقبولية الظاهرة، ومعقولية الحقوق المطالب حمايتها، والربط بين الحقوق المؤكدة والتدابير المطلوبة لحمايتها من خطر وشيك وضرر لا يمكن إصلاحه. وبدلاً من ذلك، استندت المحكمة إلى المعلومات الواقعية والحجج القانونية التي قدمها الطرفان. وتبين لها أن الظروف في الوقت الحاضر ليست على درجة تستدعي الإشارة إلى التدابير المؤقتة. وقد برر بعض القضاة في بياناتهم المنفصلة موقف المحكمة في أنها سعت إلى تجنب أي نقاش حول شروط تطبيق التدابير المؤقتة وابتعدت عن النقاط المثيرة للجدل بين القضاة الـ15، خصوصاً في ما يتعلق بما إذا كانت «إسرائيل» تعتبر طرفاً ثالثاً لا غنى عنه في الإجراءات المتعلقة في مرحلة التدابير المؤقتة. فوجدت المحكمة مخرجاً لها، في عدم الدخول في نقاش حول متطلبات الإشارة إلى التدابير المؤقتة واستندت فقط إلى الظروف الواقعية. تكشف القراءة الدقيقة لقرار المحكمة لماذا لم تشر المحكمة إلى التدابير المؤقتة. إذ رأت أنه لا يوجد خطر حقيقي وشيك من أن يتسبب سلوك ألمانيا في ضرر لا يمكن إصلاحه للحقوق المطلوب حمايتها قبل أن تتمكن المحكمة من إصدار حكمها النهائي. واستندت في استنتاجها هذا إلى المذكرات التي قدمتها ألمانيا. وفي الفقرات الأربع من أمرها، وهو الأقرب إلى التعليل القانوني، أشارت المحكمة إلى تصريح ألمانيا تسع مرات بأن إطارها القانوني الوطني الصارم يكفي لمنع تصدير ما يمكن استخدامه في ارتكاب جريمة الإبادة أو يشكل انتهاكاً لقواعد القانون الدولي الإنساني، وتلحظ المحكمة أن ألمانيا تؤكد انخفاض نسبة وحجم المساعدات العسكرية لإسرائيل منذ تشرين الثاني - نوفمبر الماضي. باختصار لم تكن هناك حاجة إلى إصدار أمر بوقف تصدير الأسلحة الحربية لأن ألمانيا لا تصدر حالياً مثل هكذا أسلحة. فالمحكمة أولت في هذه المرحلة وزناً خاصاً لما قدمته ألمانيا من أدلة على أن تسليحها لإسرائيل ليس تسليحاً هجومياً. وهو ما يعني أن ألمانيا عليها أن تلتزم بما أعلنته أمام المحكمة. وهو ما أكدته المحكمة عندما عمدت إلى تذكير ألمانيا بالتزاماتها الدولية المتعلقة بتزويد أطراف نزاع مسلّح بأسلحة، بأنه يجب عليها تجنب خطر استخدامها في انتهاك اتفاقية منع الإبادة والقانون الدولي الإنساني. وبالتالي فإن ألمانيا تخضع لالتزام «العناية الواجبة» عند تقديم الأسلحة لإسرائيل. فالمحكمة أكدت أن العملية العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة أسفرت عن قتل عدد كبير من المدنيين، وهدم هائل للمنازل والبنى التحتية وتهجير قسري. وبناء على ذلك، فالمحكمة هنا تؤكد وجود خطر حقيقي من شأنه أن يُبقي ألمانيا تحت التزام عدم تقديم أسلحة حربية لإسرائيل لاستخدامها في حربها في قطاع غزة.

> استخدمت المحكمة في قرارها لغة مرنة مستندة على أسس «وقائمية» لا قانونية ما يسمح لها أن تغير قرارها بتغير الظروف

تدابير مؤقتة محتملة

إن بقاء الإشارة إلى التدابير المؤقتة في أمر ممكن، ويتجلى ذلك في حقيقة أن المحكمة في البند التنفيذي من قرارها لم تستخدم عبارة «ترفض المحكمة» طلب نيكاراغوا. بل قالت: «تخلص المحكمة إلى أن الظروف في الوقت الحاضر لا تتطلب ممارسة سلطتها بموجب المادة 41 من النظام الأساسي للإشارة بتدابير تحفظية». لقد استخدمت المحكمة في قرارها لغة مرنة مستندة إلى أسس «وقائمية» وليست قانونية، يسمح لها أن تغيّر قرارها بتغير الظروف. فالمحكمة هنا وفي الوقت التي لم تصدر عنها تدبير مؤقتة ضد ألمانيا، إلا أنها ألزمت الأخيرة بقيود كبيرة وهي عدم توريد أسلحة من شأن استخدامها انتهاك اتفاقية منع الإبادة واتفاقيات جنيف. ما يعني أن أي خرق لألمانيا لالتزاماتها الدولية سيؤدي إلى تحرك نيكاراغوا مرة ثانية لطلب فرض تدابير مؤقتة، ويمكن أيضاً للمحكمة من تلقاء نفسها أن تأمر بها. لذا، في حين أن نيكاراغوا لم تحصل على أي من التدابير المؤقتة المطلوبة، إلا أن طلب التدبير المؤقت في حد ذاته حقق هدفه وهو منع ألمانيا من توفير الأسلحة لإسرائيل لاستخدامها في قطاع غزة.

عودة تمويل الأونروا بقرار ألماني

في ما يتعلق بطلب نيكاراغوا بإصدار أمر لألمانيا لاستئناف تمويل الأونروا، فالمحكمة قالت إن المساهمات للأونروا هي طوعية بطبيعتها، خصوصاً أن ألمانيا استمرت في دعم الوكالة عبر الاتحاد الأوروبي وفروعها خارج قطاع غزة. علماً أن ألمانيا وربما لأنها أرادت أن تتفادى أي انتقادات حول دورها في المساهمة بتجويع الفلسطينيين، فقد أعلنت قبل أسبوع من صدور قرار المحكمة عن نيتها استئناف التمويل المباشر لوكالة «أونروا» في غزة، وذلك بعد صدور تقرير عن الأمم المتحدة يؤكد عدم توافر الأدلة الدامغة حول تورط عاملين في الوكالة في أحداث 7 أكتوبر. وبالتالي فإن مطلب نيكاراغوا في عودة التمويل للأونروا قد تحقق فعلياً.

الدعوى مستمرة

قرار المحكمة الصادر في 30 نيسان/ أبريل تضمن أيضاً فقرة تقضي برفض طلب ألمانيا حذف الدعوى من قائمة الدعاوى أمام المحكمة لأنه لم يكن هناك نقص واضح في الاختصاص، وهذا يعني أن القضية ستمضي قدماً. ومن المتوقع كخطوة إجرائية تالية أن تثير ألمانيا اعتراضات أولية على اختصاص المحكمة ومقبولية طلب نيكاراغوا. وفي هذه الحالة ستعقل المحكمة الإجراءات بشأن الأسس الموضوعية وتعقد جلسات استماع علنية أخرى بشأن مسألتي الاختصاص والمقبولية وربما، كما يرى البعض، لن يحدث ذلك قبل نهاية عام 2025.

ملخص قرار محكمة العدل الدولية بشأن التدابير المؤقتة ضد ألمانيا

«20 - واستناداً إلى المعلومات الوقائعية والحجج القانونية التي قدمها الطرفان، تخلص المحكمة إلى أن الظروف في الوقت الحاضر لا تتطلب ممارسة سلطتها بموجب المادة 41 من النظام الأساسي للإشارة بتدابير تحفظية.

21 - وفي ما يتعلق بطلب ألمانيا رفع القضية من القائمة، تلاحظ المحكمة أنه يمكنها، كما فعلت في الماضي، في الحالات التي يوجد فيها افتقار واضح إلى الاختصاص، أن ترفع القضية من القائمة في مرحلة التدابير المؤقتة وعلى العكس من ذلك، عندما لا يكون هناك مثل هذا الافتقار الواضح للاختصاص، لا يمكن للمحكمة أن ترفع القضية في تلك المرحلة. وفي هذه القضية، نظراً إلى عدم وجود نقص واضح في الاختصاص، لا يمكن للمحكمة أن توافق على طلب ألمانيا.

22 - تذكر المحكمة بأنها لاحظت، في أمرها المؤرخ 26 كانون الثاني/ يناير 2024، أن العملية العسكرية التي قامت بها إسرائيل في أعقاب هجوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023 أسفرت عن «سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى، فضلاً عن الدمار الشامل للمنازل، والتهجير القسري للغالبية العظمى من السكان، والأضرار الجسيمة التي لحقت بالبنية التحتية المدنية». وبالإضافة إلى ذلك، لا تزال المحكمة تشعر بقلق عميق إزاء الظروف المعيشية الكارثية للفلسطينيين في قطاع غزة، ولا سيما في ضوء الحرمان المطول والواسع النطاق من الغذاء وغيره من الضروريات الأساسية التي تعرضوا لها، على النحو الذي اعترفت به المحكمة في أمرها المؤرخ 28 آذار/ مارس 2024 .

23 - تذكر المحكمة أنه عملاً بالمادة 1 المشتركة بين اتفاقيات جنيف، يقع على عاتق جميع الدول الأطراف التزام «احترام وضمان احترام» الاتفاقيات «في جميع الظروف». ويستنتج من هذا الحكم أن كل دولة طرف في هاتين الاتفاقيتين، «سواء أكانت طرفاً في نزاع معين أم لا، ملزمة بضمان الامتثال لمتطلبات الصكوك المعنية»، وهذا الالتزام «لا ينبع فقط من الاتفاقيات نفسها، بل من المبادئ العامة للقانون الإنساني التي لا تعبر عنها الاتفاقيات إلا تعبيراً محدداً». وفي ما يتعلق باتفاقية الإبادة الجماعية، أتيحت للمحكمة الفرصة لتلاحظ أن الالتزام بمنع ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية، عملاً بالمادة الأولى، يقتضي من الدول الأطراف التي تكون على علم، أو التي كان ينبغي أن تكون على علم عادة، بالخطر الجسيم لارتكاب أعمال الإبادة الجماعية، أن تستخدم جميع الوسائل المتاحة لها على نحو معقول لمنع الإبادة الجماعية قدر الإمكان. وعلاوة على ذلك، فإن الدول الأطراف ملزمة بموجب اتفاقية الإبادة الجماعية بعدم ارتكاب أي أعمال أخرى مذكورة في المادة الثالثة.

24- وعلاوة على ذلك، ترى المحكمة أن من الأهمية بمكان تذكير جميع الدول بالتزاماتها الدولية المتعلقة بنقل الأسلحة إلى أطراف النزاع المسلح، تفادياً لخطر استخدام هذه الأسلحة لانتهاك الاتفاقيات المذكورة أعلاه. وتقع جميع هذه الالتزامات على عاتق ألمانيا، بوصفها دولة طرفاً في الاتفاقيات المذكورة، في تزويدها إسرائيل بالأسلحة».

معتقل سدي تيمان للتعذيب

غوانتنمو اسرائيلي

تحتجز سلطات العدو الإسرائيلي الاف المعتقلين الفلسطينيين منذ بداية طوفان الأقصى المبارك في «اقفاص دجاج في الهواء الطلق» (كما وصفتها احد صحف العدو) وتمنع عنهم الطعام والشراب لفترات طويلة كما يؤكد وضع الرجال الذين أخلي سبيلهم أخيراً، حيث يصعب على بعضهم الحركة او المشي وحتى الكلام بسبب تدهور صحّتهم بشكل يستدعي علاجا طبيا ونفسيا طويل الأمد.

وقد عصبت أعين المعتقلين وقيدت أيديهم أثناء إخضاعهم لتحقيقات قاسية تم خلالها تسليط الأضواء عليهم بشكل مكثف وعدم اطفائها ليلاً، بهدف إنهاكهم وتعذيبهم.

وكانت صحيفة «هآرتس» نشرت الشهر الماضي تقريراً جاء فيه أن 27 معتقلاً لقوا حتفهم في منشآت عسكرية إسرائيلية، وأن الجيش الاسرائيلي رفض تقديم تفاصيل حول ظروف وفاتهم. كما نشرت الصحيفة تقارير عن ظروف احتجاز قاسية وعنيفة.

وكان المرصد الأورومتوسطي لحقوق الإنسان قد اشار الى إن المعتقلين الفلسطينيين يُمنعون من استخدام الهواتف للاتصال بأسرهم

الاجتماع بالمحامين

تلقى الرعاية الطبية من اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وأضاف المرصد أن «المعتقلين كانوا معصوبي الأعين ومقيدي الأيدي والأرجل، وإذا حاولوا طلب أي شيء، كانوا يقابلون بالإساءات والتهديدات». كما أفاد بعض المعتقلين المفرج عنهم أنهم شاهدوا سجناء مسنّين يتعرضون «للضرب القاسي والمعاملة المهينة».

التعذيب «روتيني»

العدد الدقيق للمعتقلين في «سدي تيمان» الذي يقع في منطقة بئر السبع غير معروف، معظمهم من المدنيين الذين اعتقلهم جيش العدو الإسرائيلي في شمال ووسط قطاع غزة، ومن بينهم أطباء وممرضون ومسعفون وموظفون اداريون في المستشفيات وفي منظمة الانروا وصحافيون ومعلمون. ويُحتجز المعتقلون من دون مراجعة قضائية ولا يُسمح لهم بلقاء ممثلي الصليب الأحمر والمحامين.

مطلع الشهر الماضي، نشر اعلام العدو الإسرائيلي رسالة أرسلها طبيب إسرائيلي عمل في المستشفى الميداني الذي أقيم في معتقل «سدي تيمان» إلى وزيري الدفاع والصحة في حكومة العدو يوآف غالانت وأوريئيل بوسو والمدعي العام غالي باهاراف ميارا. الرسالة تحذّر من أن إسرائيل «معرضة لخطر انتهاك القانون الدولي بسبب معاملة المعتقلين». كما ورد في الرسالة أنه «في هذا الأسبوع فقط، بترت ساقا سجينين بسبب إصابات ناجمة عن القيود، وهو حدث روتيني للأسف».

ويُنقل معظم الفلسطينيين الذين اعتقلهم جيش الاحتلال الإسرائيلي من قطاع غزة والضفة الغربية منذ تشرين الأول من العام الفائت الى معتقل «سدي تيمان»، وناشدت «جمعية الحقوق المدنية» في فلسطين المحتلة، وهي جمعية إسرائيلية، المدعي العام العسكري لدى العدو الجنرال يفعات تومر يروشالمي الإغلاق الفوري للمنشأة بسبب وجود أدلّة على حدوث تعذيب هناك. وشددت الجمعية القلقة من تعرّض «إسرائيل» للملاحقة القضائية الدولية، على أن معتقل «سدي تيمان» ينتهك حق المعتقلين في السلامة الجسدية ويعرض حياتهم للخطر.

ناقوس الخطر الاصم

تدق العديد من منظمات حقوق الإنسان ناقوس الخطر بشأن ما يحدث في هذا المعتقل بينما تستمر سلطات العدو الإسرائيلي بتعذيب المعتقلين بأبشع الأساليب. وقد شبّه احد الحراس «سدي تيمان» بمعتقل غوانتنامو الاميركي الذي انشأه

> يسعى العدو الإسرائيلي الى تبرير انتهاك ابسط الحقوق الإنسانية للفلسطينيين بحجة انهم «إرهابيون»

الجيش الاميركي بعد هجمات 11 أيلول 2001 لاعتقال «الإرهابيين». ويُحرم هؤلاء «الارهابيون» من كل الحقوق الإنسانية خلافاً للقانون الدولي ولشرعة حقوق الانسان. وبالتالي يسعى العدو الإسرائيلي الى تبرير انتهاك ابسط الحقوق الإنسانية للفلسطينيين بحجة انهم «إرهابيون». علماً أن عدداً كبيراً من المعتقلين في غواناتنامو اخلي سبيلهم بسبب عدم اثبات الجرائم الإرهابية التي اتهموا بها ودفعت الولايات المتحدة مبالغ ضخمة لهم لحثهم على عدم مقاضاة الاميركيين بسبب الاعتقال التعسفي والتعذيب والحرمان من ابسط الحقوق الإنسانية.

وزارة الصحة الإسرائيلية تساهم في التعذيب

ونشرت منظمة «أطباء من أجل حقوق الإنسان» أيضاً تقريراً عن «سدي تيمان» تضمّن شهادات من المعتقلين الذين تم إطلاق سراحهم ومن العاملين الطبيين والصحيين هناك. وتوصلت المنظمة إلى نتيجة مفادها أنه يجب إغلاق المعتقل فوراً وإدخال المعتقلين الذين يحتاجون إلى رعاية طبية إلى المستشفيات المدنية، لضمان حصولهم على الرعاية المناسبة التي تتوافق مع أخلاقيات مهنة الطب. وأشارت المنظمة بإصبع الاتهام إلى وزارة الصحة قائلة أن توجيهات الوزارة بشأن الرعاية الطبية في «سدي تيمان» «تسمح بانتهاكات خطيرة لأخلاقيات مهنة الطب... بما في ذلك التورط في ممارسات ترقى إلى مستوى المعاملة اللاإنسانية أو التعذيب».

كما حذّرت لجنة مناهضة التعذيب من الارتكابات الوحشية التي تنتهجها السلطات الإسرائيلية في السجون والمعتقلات، واعترفت الطبيبتان الاسرائيليتان بيتينا بيرمانز وتامار لافي لصحيفة «هآرتس» بالتعذيب. وقالتا إنه «بعد ستة أشهر من بدء الحرب، يمكننا أن نقول بوضوح: يبدو أن إسرائيل تدير نوعا من سجن غوانتانامو الخاص بها».

(القوس)

إعداد صادق علوية

جرائم «إسرائيل» بحق الإعلام خلال نيسان

ارتفعت حصيلة الشهداء بين الصحفيين منذ بداية العدوان الإسرائيلي إلى 135 صحفي وصحفية بحسب ما رصدته لجنة دعم الصحفيين

6 صحفيين بينهم صحفية قتلهم العدو الاسرائيلي نتيجة استهدافهم اثناء عملهم او من خلال استهداف منازلهم

شهداء الصحافة خلال الشهر الفائت:

طارق السيد ابو سخيل
صحفي
2024-04-04

امنة حميد
صحفية
2024-04-24

محمد بسام الجمل
صحفي
2024-04-25

إبراهيم الغرباوي
مصور صحفي
2024-04-27

ايمن محمد الغرباوي
مصور صحفي
2024-04-27

سالم ابو طيور
صحفي
2024-04-29

اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي:

حمزة حمدان
صحفي
2024-04-02

اسماء هريش
صحفية
2024-04-03

سيف القواسمي
مصور صحفي
2024-04-26

2024-4-1
تعرض الصحفي ليث جعار، مراسل قناة الجزيرة، لسلسلة من التهديدات من قبل الأجهزة الأمنية الفلسطينية، وذلك بسبب تغطيته للمواجهات والاشتباكات بين المسلحين والأجهزة الأمنية في مدينتي طولكرم وجنين

2024-4-3
احتجزت قوات الاحتلال الصحفيين مالك جعاري وليث جعارة من طاقم "قناة الجزيرة" واعتدت عليهم لفظيا بالشتائم اثناء عملهم

2024-4-12
استهداف مجموعة من الصحفيين الفلسطينيين عمداً خلال التغطية الإعلامية بمخيم النصيرات وسط قطاع غزة، ما اسفر عن إصابة مصور وكالة CNN الصحفي محمد صوالحي بشظايا فذيفة مدفعية اطلقها جنود الاحتلال صوبه واصابت يديه، فيما اصيب الصحفي سامي شحادة ببتر في الساق الايمن بعد استهدافه بقذيفة مدفعية

2024-4-15
إصابة الصحفي سائد نبهان بعد إلقاء طائرة قنبلة على مجموعة من المواطنين في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة

2024-4-17
عرقل جنود الاحتلال عمل 5 من الصحفيين وهم (رائد الشريف وجميل سلهب ومنتصر نصار واحمد عمرو والصحفي أحمد حميدات) ومنعوهم من تغطية عملية هدم منازل في بلدة "بني نعيم" شرق مدينة الخليل

2024-4-16
اعتقل جهاز الاستخبارات العسكرية الفلسطينية الصحفي الحر خليل ذويب بعد استدعائه لاستلام هاتفه النقال والذي كان قد صودر منه في الأول من تموز من العام الماضي

2024-4-17
اعتدت شرطة الاحتلال على الصحفية نادين جعفر بالضرب اثناء تواجدها في منطقة باب العامود لتغطية صلاة الجمعة

2024-4-24
اعتقل الاحتلال الصحفي سيف القواسمي اثناء تواجده في ساحات المسجد الأقصى واعتدت عليه بالضرب المبرح، ونقلته إلى مركز تحقيق "القشلة" حيث بقي ثلاث ساعات بتهمة التحريض وزعزعة أمن المستوطنين، وأفرج عنه بعد تسليمه أمر ابعاد عن المسجد الأقصى لمدة اسبوع

2024-4-24
احتجز جنود الاحتلال الصحفيان عامر الشلودي وطارقة خميسة لنحو ربع ساعة في أحد المحال المهجورة البلدة القديمة في مدينة الخليل لمنعهم من تغطية اقتحام المستوطنين للبلدة

2024-4-26
اعتدى عدد من عناصر شرطة الاحتلال على الصحفي أحمد جلاجل بالضرب بالهراوة والدفع اثناء تغطيته منع عدد من الشبان من دخول المسجد الأقصى

إعداد
لجنة دعم الصحفيين JSC

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com